مارس (آذار) ١٩٨٨، رجب ١٤٠٨

المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest March '88 Nº 112

رثاء زواج ١٠
جدار هادريان ٢٦
الاناناس مفخرة الفواكه ٣٠
الأم في المدرسة اليابانية ٣٤
مأساة فوق الجليد ٣٩
"الحب القاسي" لمدمني المخدرات ٤٤
محمية المياه المسمومة ٥٠
أنشدوا النجاح قبل الاربعين ٥٥
إعصار ١٨٨٨ .... ٦٠
الى ابنتي المراهقة ٦٥
نادي الاثرياء ٧٤
الخفير (قصة قصيرة) ٧٩

سنو وايت أحبتها كل الأجيال ٢٠

السرطان يختار ضحاياه ٨٣
أي مفكر أنت؟ ٨٨
لحظات لعوبة ٩٢
تائهون في المحيط ٩٤
ازدهار المشي ١٠٢
كمان أبي ١٠٩
حسناً فعل هتلر ١١٤
كتاب الشهر: محنة طبيب ١٢٠

تأملات معاصرة ١٩ – أصداء من عالم الطب ٥٨ – صور من الحياة ٨٧ – دائرة المعارف ١٠٧ – حديقة أفكار ١٤٤

اوسع المجلات انتشاراً في العالم

٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً

كومبيوتر الفراعنة

(ص ٣)

قاهر الكولستيرول

(ص ١٤)

اجمل بيكاسو

(ص ٦٨)

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولاتنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها

للحجز : فندق الشام - ص . ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.

الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.

الهاتف ٣٤٥٧٣١ – ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

© 1988 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.

Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

March '88 N° 112 (New Series) Vol. 10

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

ثمن العدد

لبنان ١٠٠ل – سورية ١٥ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١،٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٥ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

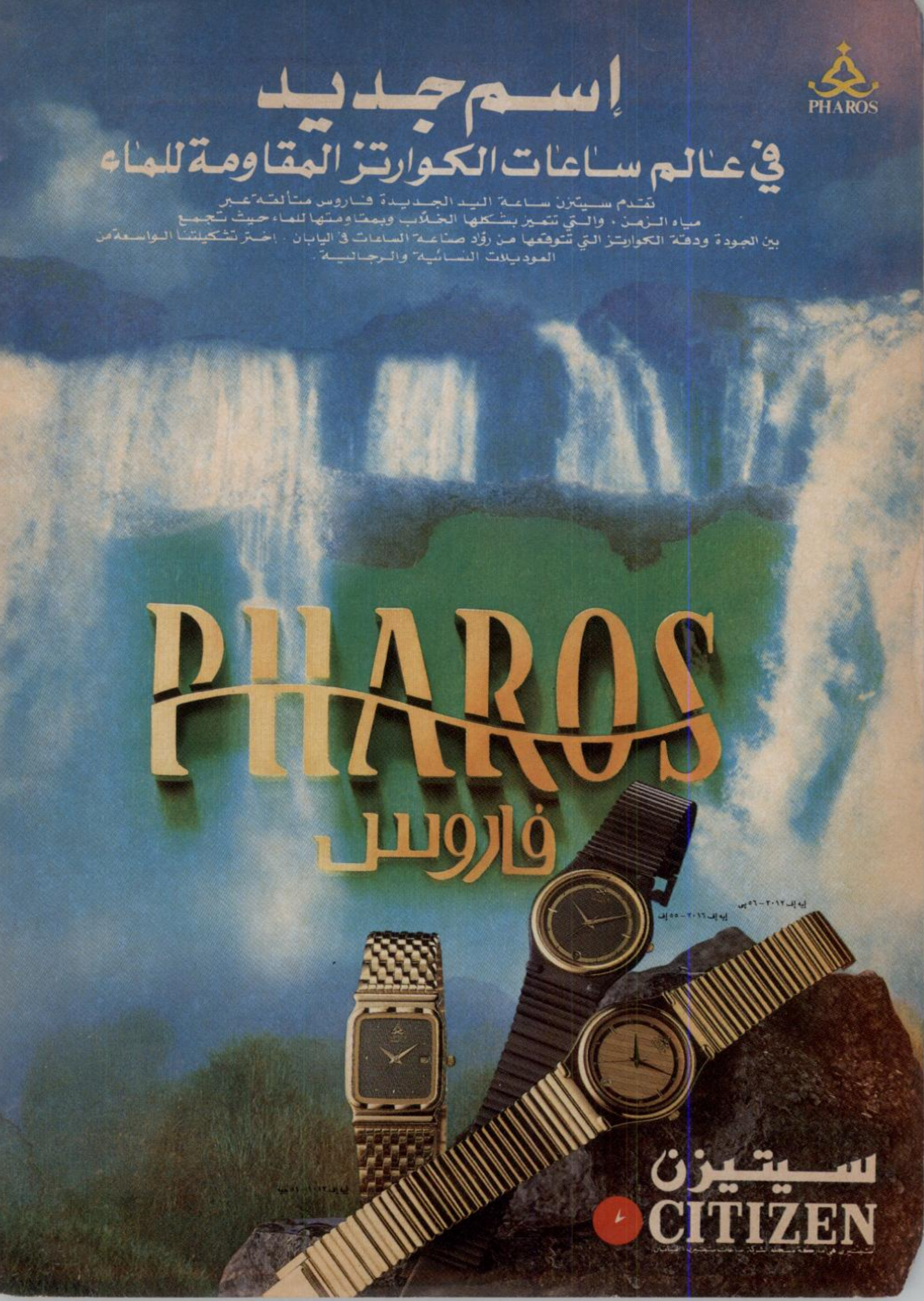

PHAROS
إسم جديد
في عالم ساعات الكوارتز المقاومة للماء
تقدم سيتزن ساعة اليد الجديدة فاروس متألقة عبر
مياه الزمن ، والتي تتميز بشكلها الخلاب وبمقاومتها للماء حيث تجمع
بين الجودة ودقة الكوارتز التي تتوقعها من رواد صناعة الساعات في اليابان . إختر تشكيلتنا الواسعة من
الموديلات النسائية والرجالية .
PHAROS
فاروس
إيه إف ٢٠١٢ - ٥٦ بي
إيه إف ٢٠١٦ - ٥٥ إف
سيتزن
CITIZEN

المختار
من ريدرز دايجست
مارس (آذار) ١٩٨٨
السنة العاشرة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

الدماغ الالكتروني يكشف أسرارَ الحضارة الفرعونيّة

يتعمق علماء الآثار أكثر في جلاء خفايا أقدم الحضارات. ويستخدمون لذلك آلات متطورة تكشف ما لا يُرى

حين قدِم عالم الآثار الياباني ساكوجي يوشيمورا الى مصر قبل ٢٢ سنة، كانت تكنولوجيا الآثار تعتمد الرفش والمعول. لكن الايام تتغير سريعاً. فذات صباح من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧ وجد يوشيمورا نفسه في ظل الهرم الاكبر الذي بناه الفرعون خوفو في الجيزة قرب القاهرة. وكان ينقّب عن الماضي بواسطة "رادار للتحسس البعيد" (١).

وقف يوشيمورا يراقب عاملين مصريين يجران آلة شبيهة بجزازة العشب، على طول خط يمتد خمسين متراً رسمه لهما في الرمل. وداخل الآلة جهاز ارسال يبث موجات كهربائية - مغناطيسية نابضة الى عمق عشرة أمتار في الارض. فقد خامر علماء الآثار ارتياب في أن تحت أقدام العاملين مركباً من خشب الارز نقل الفرعون خوفو في رحلته الاخيرة الى الابدية.

(١) Remote sensing radar

Photos: Fergus M. Bordewich

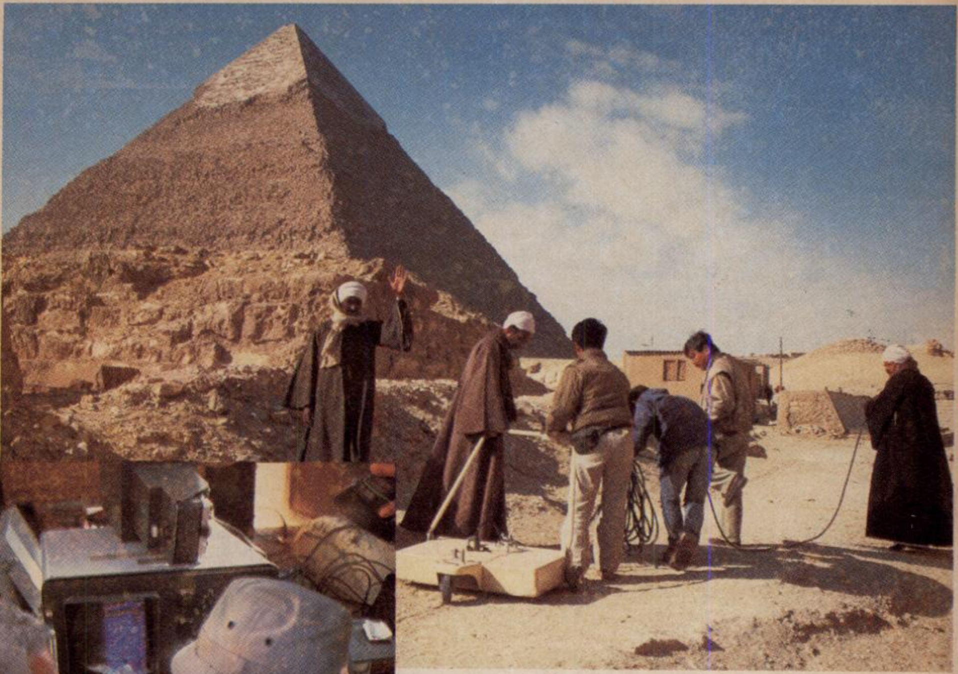

في جوار الهرم الاكبر يستخدم اليابانيون راداراً يخترق الارض لسبر الماضي. وفي الصورة الدخيلة فنيان يراقبان الصور المنقولة الى شاشة رادار.

وعلى مقربة منه جثم عالم فيزياء الارض تونوشي شوجي في مؤخر شاحنة صغيرة مقفلة يحدق الى شاشة فيديو مترجرجة. وهو شرح أن الموجات الكهربائية - المغناطيسية تمر بسرعة متباينة داخل طبقات الرمل والحجار والمواد العضوية وعبر الفراغ، كما في غرفة مخفية داخل الارض. وترتد النبضات الى جهاز استقبال فتنقل الى جهاز مراقبة يترجم هذه "الاصداء" صوراً تقريبية ضوئية ملوّنة. "فاذا كان هناك تحت الارض شيء جدير بالاهتمام، فاننا نتبينه من خلال النماذج والالوان على الشاشة،" هذا ما قاله محمد الشرقاوي

وهو فيزيائي مصري متخصص بالتنقيب عن الآثار.

وفيما تقدم العاملان بدأت تظهر على الشاشة طبقات مضيئة صفراء تمثل صفاً طويلا من حجار كلس (جير) قديمة على عمق بضعة سنتيمترات تحت الرمل، ثم فجوة تدل على حفرة عميقة محتملة تحت الحجار. وفي أسفل الحفرة على عمق ثلاثة أمتار ظهرت رسوم بنية مضطربة. فهتف شوجي: "قد يكون هذا هو المركب!"

وفي أكتوبر (تشرين الاول) أنزلت آلة تصوير فيديو مصغّرة تضبط عن بعد، داخل الحفرة عبر ثقب صغير في الارض. وحدد العلماء الاخشاب المفككة التي تألف منها المركب القديم.

أدوات متطورة – لقد دخل علم الآثار المصرية عصر التكنولوجيا العالية. فهناك أجهزة حديثة تدل العلماء على أماكن الآثار المدفونة وحجمها وطريقة الكشف عنها من دون أن يلحق بها أي ضرر يذكر. ومع أن التكنولوجيا الجديدة لا تزال في طور الاختبار فانها حققت نتائج مدهشة. في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٦ أعاد فريق من جامعة كاليفورنيا في بركلي تحديد موقع قبر أبناء المحارب العظيم الفرعون رعمسيس الثاني، وقد ظل هذا القبر "ضائعاً" طوال قرن. والمفتاح الذي أدى الى اكتشافه كان ميزان المغناطيسية(٢)، وهو آلة يدوية تقيس قوة الحقل المغناطيسي في الحجر تحت سطح الارض وتدل باشارة كهربائية على أن هناك فجوة أو باباً في الحجر.

ويستخدم الالمان الغربيون مضخات ذات قوة عالية تمكنهم من الحفر تحت النطاق المائي(٣). ويكشفون حالياً مستوطنة تعود الى ٥٠٠٠ سنة خلت بالقرب من الاسكندرية، ربما غيرت معرفتنا ببداية المجتمع المصري. ويرى توماس فون در واي من المعهد الالماني للآثار في القاهرة، الذي يرئس أعمال التنقيب، أن المصنوعات التي عثر عليها تدل بوضوح على أن الصلات بين حضارتي مصر وبلاد ما بين النهرين كانت أقوى مما عُرف سابقاً.

وبواسطة مسفح رملي(٤) عالي السرعة يمكن نزع التراب عن رسوم جدارية قديمة من دون الحاق ضرر بطبقة الدهان تحتها. وبواسطة مجاهر الكترونية بات في الامكان تحديد تركيبات الالوان القديمة. وباستخدام جهاز دقيق لفحص المومياء يعمل بالدماغ الالكتروني بدأ العلماء يعرفون بعض الامراض التي فتكت بالانسان قديماً.

والدماغ الالكتروني يبشر كذلك بانجازات مهمة. فالى الآن كانت هناك بضع مطابع يمكنها أن تطبع نصوص الكتابة الهيروغليفية(٥) المصرية القديمة المؤلفة من ٧٠ ألف رمز أو حرف. وبما أن النصوص المطبوعة التقليدية مرتفعة التكاليف، فان المؤسسات الوافرة الثراء وحدها قادرة على دفع أثمانها. وقد اخترع مايكل هاينسوورث،

(٢) Magnetometer

(٣) النطاق المائي (water table) هو المستوى الذي تكون الارض تحته مشبعة بالماء.

(٤) Sandblaster

(٥) الهيروغليفية هي الكتابة التصويرية المصرية القديمة.

مسفح رملي متطور لتنظيف الافاريز في الكرنك.

وهو صاحب شركة للتصوير بالدماغ الالكتروني في باريس وعالم بالاثار المصرية، طريقة لـرسم الهيروغليف للطلاب بالدماغ الالكتروني بكلفة ٣٥٠ فرنكاً (نحو ٦٠ دولاراً) لكل برنامج. وتتيح هذه التقنية الجديدة للطلاب طريقة أسهل لتحليل الوثائق القديمة ومقارنتها. ويقول هاينسوورث ان "دليل المسافر" الى عالم الاموات في مصر القديمة، المنقوش على أهرام سقارة في محافظة الجيزة كان يستغرق ١٠٠ سنة تسجيلا وطبعاً. أما اليوم فيمكن انجازه بواسطة الدماغ الالكتروني في عُشر هذه المدة."

هيكل أخناتون - تبنّت مؤسسة "كهرباء فرنسا" الحكومية عدداً من مشاريع التنقيب كجزء من اتفاق تبادل تكنولوجي مع مؤسسة الآثار المصرية. وأحد هذه المشاريع استخدام الدماغ الالكتروني لاعادة بناء هيكل في الكرنك لم يبق منه سوى حجاره المكسرة المبعثرة. بنى الفرعون أخناتون الهيكل قبل ٣٥٠٠ سنة. لكن خلفاءه هدموه واستخدموا حجاره لبناء هياكل أخرى. يقول روبرت فيرنيو نائب مدير المركز المصري - الفرنسي في الكرنك: "لا يزال لدينا ٤٥٠٠٠ من هذه الحجار، لكننا لا نعرف كيف كان الهيكل وما هي النسبة التي لدينا من الحجار الاصلية."

عام ١٩٨٦ أدخل فيرنيو مواصفات الرسوم التي وجدها على الحجار برنامج دماغ الكتروني في مكتبه و"طلبت من الدماغ الالكتروني أن يعطيني، مثلا، مواصفات كل الحجار التي تظهر فيها طيور. وبعد فحصها وجدت أن بعضاً منها نقشت عليه طيور وأعمدة، وعندما يضم بعضه الى بعض يشكل مطيرة أي تجمعاً من مختلف أنواع الطيور."

والآن يعمل فيرنيو والفنيون في كهرباء فرنسا على برمجة دماغ الكتروني جبار لشركة «IBM» ليفكر كعالم آثار

مصرية. يقول فيرنيو: "لنفترض أن لدي حجرين نقشت عليهما رسوم أناس يحملون شيئاً مشتركاً، عصا مثلا. ان الدماغ الالكتروني مبرمج على نحو معقد بحيث يمكنني أن أسأله عما اذا كان يرى أن الحجرين كانا مبنيين معاً في الاساس. قد يقترح جمع بضعة حجار "يرى" أنها كانت متراصفة. فأضبط هذه المعلومات بالمقارنة مع صوري الفوتوغرافية. وربما وجدت أن بعضها متطابق وبعضها ليس كذلك، عندئذ أطلب من الدماغ الالكتروني ان يشرح لي السبب ولماذا أجرى هذا التمييز الذي لم أتبينه بنفسي." ويأمل فيرنيو بعد هذه المعادلات في الحجار ان يتمكن من اعادة بناء قسم من هيكل أخناتون بالقرب من موقعه الاصلي.

هـواء قديم – بين كل أدوات التكنولوجيا العالية يرجح أن يكون لادوات التحسس البعيد أكبر تأثير في هذا الحقل. فمن طريق قياس مرور الموجات الصوتية في الارض، وحقل الجاذبية في نقاط مختلفة، والاستجابة للموجات الكهربائية – المغناطيسية، ومغناطيسية الارض، وتأثير الضوء في الجدران المطلية بالدهان، يتسنى لعالم الآثار أن يتصور الاشياء التي لا تُرى بالعين.

وللتحسس البعيد ميزات أخرى. يقول فاروق الباز، العالم الجيولوجي المصري – الامريكي الذي يرئس أول مركز في العالم للتحسس البعيد المتخصص بعلم الاثار في جامعة بوسطن: "لدراسة المصنوعات الاثرية كان يتحتم نقلها الى المختبرات والمتاحف. لكن التحسس البعيد يتيح دراسة الاشياء حيث كانت في الماضي." وبذلك تمكن العلماء اليابانيون من تفحص محتويات الحفرة بالقرب من هرم خوفو من دون نبش الموقع.

في أكتوبر (تشرين الاول) احدث فريق الباز ثقباً داخل الحفرة بمثقاب مجهز بآلة ختم متطورة. وعبئت عينة من الهواء القديم في ست علب صغيرة مصممة لذلك. يقول الكيميائي عمر العريني وهو المنسق المصري لمشروع التنقيب: "لو أمكننا انتاج هواء مثله في المتاحف لساعدنا في حفظ التحف أفضل مما فعلنا الى الآن."

وربما استطعنا بواسطة التحسس البعيد حل أحد أعظم الالغاز في العالم: لغز هرم خوفو الاكبر. في فبراير (شباط) ١٩٨٧ حمل فريق من العلماء الفرنسيين جهازاً بحجم حقيبة ملابس صغيرة الى داخل الهرم. كان ذلك ميزاناً دقيقاً للثقل النوعي(٦) وهو اختراع فذ يمكّن الجيولوجيين وعلماء فيزياء الارض من تحديد الثقوب والشقوق في الصخر، مما يساعد في معرفة مواقع الغرف الخفية والممرات وحتى الكنوز التي لم يتم اكتشافها بعد داخل الهرم والتي ربما فاتت المنقبين طوال خمسة وأربعين قرناً.

فسحات خالية – زحف عالم فيزياء الارض جان – بيار بارون داخل ممر ينحدر الى قلب الهرم. وكان يضع ميزان الثقل النوعي على الارض كلما قطع مترين

(٦) Microgravimeter

ليقيس حقل الجاذبية في كل نقطة. وهكذا الى آخر الممر الذي انفتح على الغرفة التي دفن فيها خوفو، وهي خالية حالياً.

قال رئيس بارون الجيولوجي بيار ديليتي: "بعد جمع المعلومات نلقمها الدماغ الالكتروني في فرنسا لاخراج نموذج ثلاثي الابعاد للهرم بهدف التحقق من تركيبه الداخلي. ثم نصنع نموذجاً ثانياً ثنائي الابعاد ندخل فيه الفجوات المفترضة ونحركها هنا وهناك لنعرف الموضع الذي يشير الى الضغوط والشقوق التي وجدناها في الحجر." وعلى رغم أن أية كنوز لم تكتشف مذذاك، فان رسم خرائط تلك الفسحات الخالية ساعد على كشف لغز بناء الهرم القديم قدم العصور. ويعمل خبزاء كهرباء فرنسا اليوم على دراسة تفصيلية لأجزاء من الهرم.

عُرف التحسس البعيد في مصر حين كان علماء الآثار يخوضون حرباً خاسرة لانقاذ النصب التذكارية من أذى الانسان والطبيعة. وتشهد مصر تمدداً سكانياً كبيراً ونمواً زراعياً واقتصادياً مما "يبتلع" مئات الهكتارات سنوياً. وجزء كبير من هذه الاراضي غني بالآثار التي تدفن ومعها جزء مهم من ماضي مصر، تحت الابنية والمصانع. يقول شوقي نخلة رئيس دائرة حفظ الآثار المصرية وترميمها في القاهرة: "مشاريع البناء في كل مكان. ولو استطعنا تعيين مواقع الآثار لتمكنا من منع البناء فوقها. لكن طرق التنقيب التقليدية بطيئة وهدّامة."

وبفضل أجهزة التحسس البعيدة مثل ميزان المغناطيسية وميزان الثقل النوعي المتطور والرادار الذي يخترق الارض ويمكن تركيبه في الطائرات والمروحيات، سيتاح لعلماء الآثار استكشاف مساحات واسعة أسرع بكثير من السابق.

والانسان ليس الخطر الوحيد الذي يتهدد الآثار، فعلى مر ألوف السنين حدثت فيضانات النيل السنوية التي كانت تخلّف بساطاً من الطمي الغني لزرع المحاصيل الجديدة، كما كانت تجرف الأملاح الاكّالة في التربة. لكن الفيضانات توقفت على أثر بناء سد أسوان العالي في الستينات، وارتفع منسوب المياه في وادي النيل. ففي أيامنا ترشح المياه داخل الجدران الاثرية القديمة وتتأكلها الاملاح من الداخل مسببة انهيار الاساسات وتشقق التماثيل وتقشرها.

قفزة الى الماضي – هناك أمل في التكنولوجيا العالية. وعلى الضفة الغربية للنيل في مواجهة الكرنك ينقب العلماء المصريون والامريكيون في فجوة الجدار الكلسي في "وادي الملكات" حيث دفنت زوجات بعض أعظم الفراعنة المصريين وعائلاتهم. وهدفهم المباشر انقاذ قبر نفرتاري المقفل للعموم منذ نحو خمسين سنة والذي يعتبره الخبراء أجمل المدافن في مصر. وتحت أرض الوادي يكشف المدفن عالم الاموات المصري القديم من خلال الرسوم الجدارية ذات الالوان الناعمة المدهشة. لكن الجدران مشبّعة بالاملاح والرطوبة ومشوّهة الى حد أن العرق المتصبب من سائح واحد كاف لتحريك عوامل التأكل.

يقول فاروق الباز، وهو عضو فاعل في مشروع الانقاذ، ان العلماء يستخدمون صور الاقمار الاصطناعية وطرق المسح التقنية المتقدمة لاكتشاف القنوات التي تتسرب منها مياه التربة داخل القبر. وفي الوقت ذاته تعمل أجهزة تحسس للاشعة دون الحمراء وفوق البنفسجية على رسم خرائط ترسّبات الملح الخفية والشقوق في الجدران الجصّية للقبر. وبعد اكتشاف طريقة لختم الشقوق ينوي المصريون تجديد الرسوم وفتح القبر للعموم.

شهد الوقت القصير الذي استخدمت فيه أدوات التكنولوجيا العالية قفزة نوعية في اختراق الماضي المجهول. وقد فسحت هذه الادوات في المجال لطرق جديدة من شأنها تمكيننا من مشاهدة ما لم يتسنَّ لنا مشاهدته وفهمه سابقاً. وأهم من ذلك كله طريقة انقاذ الكنوز الثمينة التي لا تزال مهددة بعواملِ الطبيعة والزمن. وهذه حقاً من أجل الخدمات التي تسدى الى جيلنا والى الاجيال القادمة.

فرغوس بوردفيتش

لا تصدق!

ماذا يكون جوابك حين يقول لك أحدهم: "أنا أعرف طريقاً مختصرة" أو "لا تخف، إنه لا يعض"؟

هل تقول بارتياب: "ها! لقد سمعت ذلك من قبل"؟

حسناً، هذا ما يجب أن تقوله رداً على الآراء الخادعة. واليك مزيداً من هذه الآراء:

"لا داعي الى نصب الخيمة، فلن تمطر."

"آمل الا تزعجك زيارتنا. لن نبقى أكثر من خمس دقائق."

"سيكون اجتماعاً قصيراً."

"قليل من الحلوى لن يفسد حميتي."

"... وإذا نجحت في الانتخابات، فأعدكم..."

"حسناً، على الأقل لا يمكن أن تسوء الامور أكثر من ذلك."

"بالطبع هناك فيلم في آلة التصوير."

"أريد فقط أن أجرب خاتمك. سيخرج بسهولة من اصبعي."

"لن أضحك، أعدك بذلك."

غ.ل.

لغة المطرقة

سئل الكاتب تشارلز برليتز كيف يميز اللغويُّ اللغة الأم لشخص ما، فأجاب: "احدى الطرق هي ان تلاحظ ما يتفوهه المرء حين تسحق مطرقة إصبعه. بالنسبة الي، ردي الاول هو في الفرنسية."

ك.ك.

رحلة رجل الى "بلد الطلاق المظلم"

قيل: ان كل طلاق هو موت حضارة صغيرة. يعلن احد شخصين حربا على الآخر، فيصيب بكاؤهما ودموعهما عالمهما بعدوى عذابهما. ان الغضب الاعظم يأتي من الجرح الذي سبق ان تدفق منه الحب.

من الصعب ان اصدق كيف الناس يطلقون الان، وكم من شخص يذعن لمثل هذا العذاب غير العادي. ليس ثمة طلاق سهل. ان امور الطلاق يجب ان تساس في المجازر وفي اقسام الجراحة في

رثاء زواج

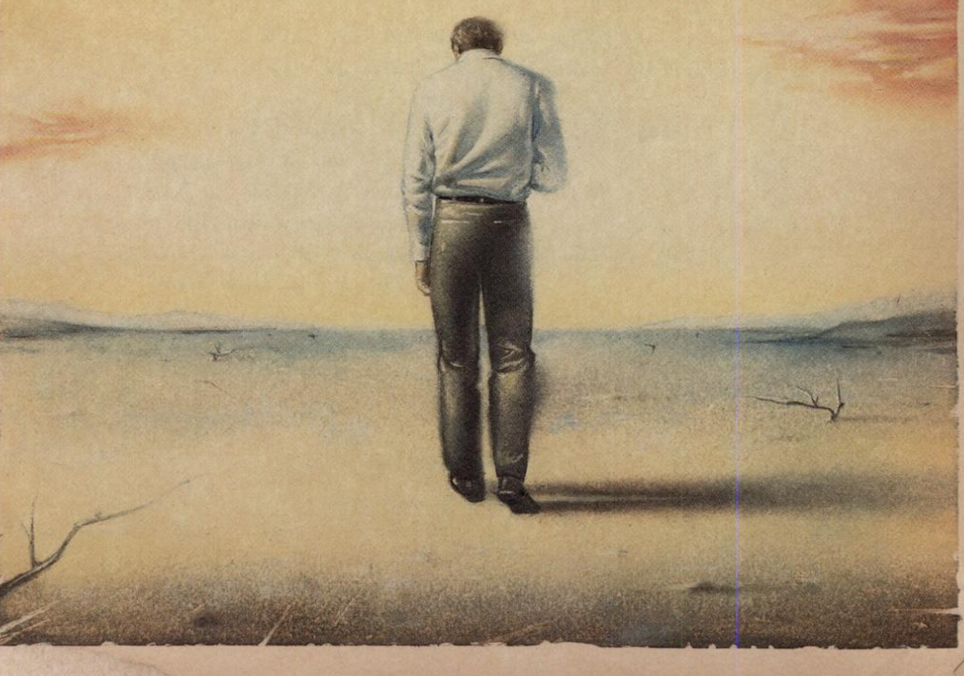

المشافي. اما في ما يتعلق بقضيتي فانني اعتقد انه لو ماتت بربارة لكان الامر اسهل علي، ولكنت في مأتمها شهما اذرف دموعا حقيقية - اسهل علي من ان نجلس حول طاولة يحدق احدنا الى الآخر ويخبره ان الزواج انتهى.

لامر قاتل ان انظر الى ام اولادي واعلم اننا لن نقضي بقية حياتنا معا. ولامر مفزع ان اقول: "مع السلامة" واطرح جانبا جزءا من تاريخي.

كيف يمكن شخصين احب احدهما الآخر واحس انه غير مكتمل في غيابه، ان يصلا الى تلك اللحظة المخيفة ويقررا ان زواجهما كان خطأ لا يصلح؟ كيف يستطيع الحب ان يغير حلله ويتنكر في ثوب اللامبالاة والغضب والكره؟

يجب ان يُعلن ان الطلاق ضرب من ضروب الجنون، او انه مرض معد (فكم من ازواج يشعرون بانهم مهددون وهم بين اصدقائهم المطلقين). لم ارَ احداً يخرج من الطلاق وهو غير موسوم. ان الطلاق يجعلك شخصاً آخر. ففي وسعك ان تدخل الشرنقة المشؤومة كفراشة وتتهادى منها في ما بعد حشرة مقضياً عليها بالزحف تحت عين العنكبوت، كما في وسعك تغيير كل المسار. فليس للطبيعة شرائع تطبق قوانين الآلام على كل فرد تطبيقاً يختلف عن الآخر.

حين اتخذت تدابير الطلاق رأيتني في بلد لا شجر فيه ولا هواء. ليس ثمة اجازات غياب ولا اعياد. دخلت وحيداً من دون جواز سفر ومن دون توجيهات. ان الرعونة واليأس ينموان في ذلك البلد كحدائق فسيحة من الثمر المضر. انا لا اعرف بالتحديد اليوم الذي وصلت فيه الى ذلك البلد. ولست متأكدا من انك تستطيع نكران مواطنيتك هناك.

امر واحد هو الثابت: ان الطلاق لا يبدأ عندما ينظر احد الشخصين الى الآخر ويقول: "انا اريد ان اضع حدا لهذا". انه يبدأ قبل ذلك بكثير، عندما يبدأ الاذى، عندما تدرك، على نحو مدهش، انك وحيد وان كنت متزوجا. الطلاق هو تأسيس للانفراد، وانشاء لبنيان غريب الشكل مؤلف من كابوس وغضب واثم.

نهاية كل شيء - حينما انتهى زواجي انتهى كل شيء عندي نفسانيا. لا ازال اكره رسم نزل محلي لانه شُيّد وانا اهبط عاطفياً. بقيت سنة كاملة لم افعل شيئا سوى التحدث عن الطلاق والبحث عمن قاموا بنزهات خلال هذا البركان. الليالي ملأى بقصص دمارنا وغضبنا غير العاديين. تناولت امرأة صور زفافها وقطعتها. كنا جميعا نحيا شر اوقات حياتنا.

لكل طلاق مثل ينمو من زواج مائت. كان ثمة امرؤ فخور بحوض اسماكه. ترك زوجته بعد اسبوعين من ولادة طفلهما. لاحظ زائروه انه لم يعد يهتم بحوض الاسماك، فبدأت الاسماك تنفق. علقت في ذهني نهايتان.

ظللت مدة طويلة عاجزاً عن اكتشاف مَثَل خسارتي حتى اصبح موت كلبي "بو" الرسالة التي لا تدحض والتي تفيد أني وبربارة انتهينا.

كان "بو" كلبا المانياً صغيراً رائعاً ذا قوائم قصيرة ملتوية وجسم طويل، اقتنته

© 1978 by Pat Conroy.Condensed from Atlanta Magazine (November '78), Atlanta, Ga.
Illustration: Cary Henrie

بربارة عندما تزوجنا. لم تجر بيننا وبينه اي الفة الا بعد مرور سنة من التسامح المؤلم. وكانت له حياة داخلية مضيئة لا يفهمها الا محبو الكلاب. كان رفيقاً لطيفاً. وانه لامر حسن ان يلحسك "بو" عندما تستيقظ صباحاً. عرجت على المنزل في احد الايام الاولى لانفصالنا بغية احضار بعض الثياب، اسرعت اليّ ابنتي الصغرى ميغان واخبرتني ان "بو" صدمته سيارة ونقل الى عيادة الحيوانات. فهرعت الى العيادة وصادفت راووث تيري طبيبته البيطرية وقد رفعته ليراني ثم مددته على طاولة الفحص.

لم أبك اثناء انفصالي عن بربارة وقد اخبرتها اني ساخط لعدم قدرتي على البكاء، اما الان فانفجرت بالبكاء. لم يكن ذرف دموع بل صراخ. كان صراخاً يائسا.

لقد حطمت السيارة عموده الفقري، واظهرت الاشعة عطباً لا يعالج. تطلع الي "بو" بينما كانت الدكتورة تيري تسلمني ورقة تحتاج الى توقيعي لانهاء حياة "بو."

تعذر علي توقيع اسمي لاني لم استطع رؤية الورقة. اتكأت على طاولة الفحص وبكيت كما لم أبك في حياتي. لم ابك على "بو" فحسب بل على بربارة والاولاد وعلى نفسي، من اجل موت زواج وخسارة لا تعوّض.

لمستني الدكتورة تيري بلطف وسمعتها تبكي فوق رأسي. اما "بو" فقام هو بحركته الكبرى الاخيرة في حياته، فجر جسده بقائمتيه الصحيحتين على طول الطاولة وراح يلحس الدموع وهي تنحدر على وجهي.

رجل خائن! – خسرت كلبي فوجدت مَثَلي، وفي صورة العمود الفقري المحطم رأيت لوحة زواجي المحطم.

لم تكن ثمة امثلة قوية الى الحد الذي يمكّن من وصف اللحظة التي تخبر فيها الاولاد عن الطلاق. ان الطلاق حيث لا اولاد، هو نسبياً طلاق هيّن. أن تنظر الى عيون اولادك وتخبرهم انك تبتر عائلتهم وتغيّر غدهم لهو شجاعة متهورة لا اريد ابداً تكرارها. انه ايضاً عمل ابويهم الاتحادي الاخير والاشارة المطلقة الى ان الزواج انتهى. انه الشعور باني بللت عائلتي كلها بالبترول واشعلت الثقاب.

دخلت البنات الثلاث الغرفة ولم ينظرن اليّ ولا الى بربارة، لكن وجوههن السود وكآبتهن والاذى الذي اصابهن، اخبرتني انهن عرفن ما جرى. ان خيانتي لهؤلاء الفتيات الصغيرات الحلوات ملأت الغرفة.

كتبن الي كلمات وداع، اذ كنت انا الذي اغادر البيت. عندما قرأتها لم اتصور كيف استطيع ان احيا في مثل هذا العذاب المبرح. تقول الكلمات: "احبك يا والدي، سأزورك." بقيت اشهراً احلم بزيارة بناتي الثلاث المحجوزات في مستشفى للامراض العقلية. ان الخشية من اصابة الاطفال باذى كانت الفكرة التي تتملكني وتجعلني في وضع العاجز.

ظللت سنة أتيه هنا وهناك كأنني خارج من عملية جراحية في دماغي. هنالك تسجيلات لا اقوى على سماعها لانها تذكرني ببربارة، وثمة اشعار لا اقوى على قراءتها في كتب لا استطيع تصفحها. وهنالك مطعم لن ارتاده ابداً لانه كان

مسرحا لحوار غاضب في ما بيننا. انها لسنة كانت الذكرى فيها قاسية.

بدأت أنمّي العادات المستهجنة التي ترافق الوحدة. اشغّل المسجل حالما ادخل شقتي. اشرب من دون تحفظ. اطبخ وجبات متقنة ولكن لا استطيع ان آكلها.

قلقت على الذين كان لبربارة ارتباطات اجتماعية بهم. وادركت انه ليس من حقي ان اقلق ولكنني قلقت اكثر من اللازم. كنت خائفاً ان تقيم هي علاقات باشخاص سيكونون قساة عليها، لا يستحقونها ويتجاهلون الاولاد.

تركت بربارة وما زلت احتاج الى امتلاكها. اردتها ان تنساني، اردتها ان تفتقدني.

دخلت البلد المظلم للطلاق. وظللت سنة احد مواطنيه المدمّرين. تأملت وبقيت احيا. انه العام الاغلى قيمة والاكثر عذابا. انه هدية البلد المظلم.

وجدتني مطوّقاً برجال كثيرين ترعرعوا كيلا يُحِبُّوا او يُحَبُّوا، كيلا يبكوا عندما اصاب باذى، وكيلا يغرموا بنساء على نحو يجعلهن يشعرن بانهن مطمئنات، ومُشتَهيات، ومطلوبات. احسست بان في داخلي ذخيرة حب لا توصف، وبحثت عن نساء يفهمن محبا ابكم يصرخ من داخله.

بربارة وانا كان لنا نجاح واحد في طلاقنا، نجاح نادر غير عادي، وهو اننا بقينا صديقين.

بات كونروي

فرحة أم

ولدت سيدة امريكية طفلها الاول، وكانت متشوقة لنقل الخبر السار الى شقيقة زوجها التي تعمل في شبكة «CBS» التلفزيونية. اتصلت بالاستعلامات وشرحت الوضع بتهذيب لعاملة الهاتف: "عفواً يا سيدتي، أنا، عادة، أبحث عن الرقم بنفسي في دليل الهاتف. لكني أنجبت طفلا الآن، ومن الصعب أن أنهض من السرير."

فردت العاملة: "حقاً؟ تهانينا! بنت أم صبي؟" وتبادلتا حديثاً ودياً شمل حفاضات الطفل وشبهه بأمه وأبيه وسوى ذلك. أخيراً سألت العاملة: "ما هو الرقم الذي طلبته يا عزيزتي؟"

فأجابت الام الجديدة: "شبكة CBS من فضلك."

بعد صمت طويل مريب قالت العاملة: "حسناً يا عزيزتي، أعلم ان ذلك يعني لك كثيراً. ولكن هل أنت متأكدة من أنهم سيهتمون للأمر؟"

د.م.

حين تظن أنك ترى صورة الحياة كاملة وبوضوح، تتغير قناة البث.

أ.ش.

بات في إمكان الذين يعانون ارتفاعاً في مستوى الكولستيرول أن يتناولوا حبة فيخفضوا خطر إصابتهم بأمراض القلب

قرصٌ سحْريّ يخفض الكولستروك

عندما أخبرت عالمة الكيمياء الحيوية جولي تشن رئيسها آل ألبرتس في مختبرات "ميرك" في راهواي بولاية نيوجرزي، أن تجربتها الاخيرة تبدو ناجحة، تملكه فجأة شعور مثير، لان هذه النتيجة توّجت ثلاثين سنة ونيفاً من البحث وسلسلة طويلة من الاختبارات أنفقت في سبيلها ملايين الدولارات.

طبقاً لتعليمات ألبرتس كانت تشن تحاول اعاقة خطوة رئيسية في انتاج الجسم للكولستيرول. وهي أفادت أن النتائج ربما كانت ناجحة، والا فان قراءتها لها كانت خاطئة. لكن التجارب الكثيرة التي أجريت لاحقاً في ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨ في جو مشحون بالتوتر والقلق، أثبتت أنه لم يكن هناك من خطأ. لقد نجح فريق ألبرتس في اكتشاف سلاح جديد فاعل لمقاومة مرض القلب.

ان العقار الجديد الذي يدعى "لوفاستاتن"(١) هو أول مركب يخفض مستوى الكولستيرول بدرجة كبيرة من دون أن يسبب أعراضاً جانبية مزعجة. فحبتان من عيار ٤٠ مليغراماً يومياً تخفضان كولستيرول الدم لدى البالغين بين ١٥ و٤٥ في المئة خلال بضعة أسابيع.

كل خلية في الجسم، تقريباً، تنتج مادة الكولستيرول الدهنية، لكن الكبد يصنع نحو سبعين في المئة منه. والكولستيرول موجود أيضاً في الطعام الذي نأكله. ان كمية معينة منه ضرورية لصنع الهورمونات وخلايا الاعصاب، لكن الزائد قد يسبب تصلب الشرايين المتمثل في صفائح(٢) دهنية تلتصق بجدران الاوعية الدموية فتضيق ويزداد احتمال الاصابة بسكتة أو بنوبة قلبية.

ملايين الناس يصابون سنوياً بنوبات قلبية، وكثيرون من البالغين يعيشون بمعدلات مرتفعة من الكولستيرول، ٢٠٠ مليغرام أو أكثر في كل دسيليتر. وقد أظهرت الدراسات الحديثة أن زيادة واحد في المئة من الكولستيرول على مستوى الـ٢٠٠ مليغرام تقابلها زيادة اثنين في المئة على خطر الاصابة بمرض القلب.

---

(١) Lovastatin

(٢) Plaques

Photos: Sal Dimarco

رصاصة سحرية – ليس هناك الى الآن علاج فاعل خال من المضاعفات لخفض الكولستيرول، ما عدا اتباع نظام حمية مدى الحياة يشترط القليل من اللحم الهبر والحليب والبيض والجبنة والدهن المشبّع. انما فضلا عن الصعوبة التي يلاقيها كثيرون في متابعة الحمية لمدة طويلة غير محددة، فالمشكلة هي أنها لا تخفض مستوى الكولستيرول الا عشرة في المئة.

ان عدم جدوى التزام الحمية لمدة طويلة حفز الباحثين على طلب عقار فاعل وآمن. واجازت "ادارة الغذاء والدواء" في الولايات المتحدة انتاج بضع مواد من شأنها خفض الكولستيرول بنسبة معتدلة، مثل "كولستيرامين" و"كولستيبول"، لكن هذه الادوية تخلّف أعراضاً جانبية مضرة بينها الامساك.

كان اكتشاف عقار "لوفاستاتن" نصراً شخصياً لعالمين اثنين هما الدكتور ب. روي فاجيلوس وآل ألبرتس. والاول تخرّج في كلية الطب بجامعة كولومبيا والتحق بمعهد القلب الوطني في بتيسدا بولاية ماريلاند عام ١٩٥٦. وبعد ثلاث سنوات بدأ دراسة حول تكوّن الاحماض الدهنية في الاجهزة الحية، وعُيِّن آل البرتس مساعداً له وبذلك أصبح معلّمه. وفي ١٩٦٦ عيّن فاجيلوس رئيساً لدائرة الكيمياء الحيوية في جامعة واشنطن في سانت لويس فاصطحب ألبرتس إليها.

هناك تخصص العالمان باستكشاف عالم الخمائر(٣) الخفي، وهي الجسيمات البروتيينية التي تعمل كحفاز مساعد(٤) في التفاعلات الكيميائية في الجسم.

وبذلك أصبح فاجيلوس مرجعاً ثقة في هذا الحقل، ورقي ألبرتس الى رتبة أستاذ.

في هذه الاثناء قلقت مختبرات "ميرك" للهبوط في اكتشاف عقاقير جديدة، فعينت فاجيلوس نائب رئيس عام ١٩٧٥ وأوكلت اليه اجراء الابحاث. وكما في السابق اصطحب فاجيلوس ألبرتس الذي تعهد البحث في الكولستيرول بعدما كان علماء "ميرك" بدأوه في الخمسينات.

كرّس فاجيلوس وألبرتس وقتهما لبحث تقني متقدم يحدث ثورة في اكتشافات الادوية. فالطريقة التقليدية اعتمدت كلياً أسلوب التجربة والخطأ، حيث يجري الباحث سلسلة اختبارات على مركّبات مختلفة الى أن يعثر على "شيء ما" يبدو المركّب الصحيح، وان لم يعلم لماذا.

أما التقنية التي طبقها فاجيلوس في مختبرات "ميرك" فكانت متفوقة علمياً على الطريقة التقليدية وأكثر منها فاعلية. لان الباحثين في الفريق يجمعون تفاصيل عن العوامل الكيميائية الحيوية التي هي وراء الحالة غير الطبيعية، ومن ثم يصبّون جهدهم على هدف بيولوجي محدّد. بذلك تتمحور جهودهم وتتاح لهم فرص أفضل لاصابة الهدف "برصاصة سحرية."

تجارب حاسمة – كان الباحثون نجحوا في كشف الخطوات المعقدة التي تزيد على خمس وعشرين والتي بموجبها

(٣) Enzymes
(٤) catalyst

يتحول الحمض الخلّي(٥) في الجسم الى كولستيرول. عرف ألبرتس أن الخميرة «HMG CoA reductase» هي الحفّاز الذي يحول «HMG CoA» الى حمض ميفالونيك(٦) يحوّله الجسم بدوره الى كولستيرول. وعرف أيضاً أن تفاعل الخميرة هو الخطوة التي تحدد مقدار انتاج الكولستيرول.

وهناك اختراق آخر لأحجية الكولستيرول حصل عام ١٩٧١ في اليابان حيث كان العالم أكيرا إندو يعمل لشركة الادوية الرائدة "سانكيو." اعتقد إندو أن في الامكان اكتشاف مادة طبيعية تولّدها كائنات مجهرية لضبط انتاج الكولستيرول. وقال انه استوحى هذا الالهام من كون اكتشاف البنيسيلين تم فعلا بفضل أحد الكائنات المجهرية.

خلال سنتين أجرى إندو تجارب على ستة آلاف من المجهريات. وفي النهاية اكتشف مركّب "كومباكتن" المشتق من كائن مجهري يدعى "بنيسيليوم سيترينوم" متوافر بكثرة في التربة. عام ١٩٧٤ سجلت "سانكيو" براءة اكتشاف "كومباكتن." وفي ١٩٧٦ ظهرت في المجلات الطبية مقالات عن قدرته على خفض الكولستيرول.

Acetic acid (٥)

Mevalonic acid (٦)

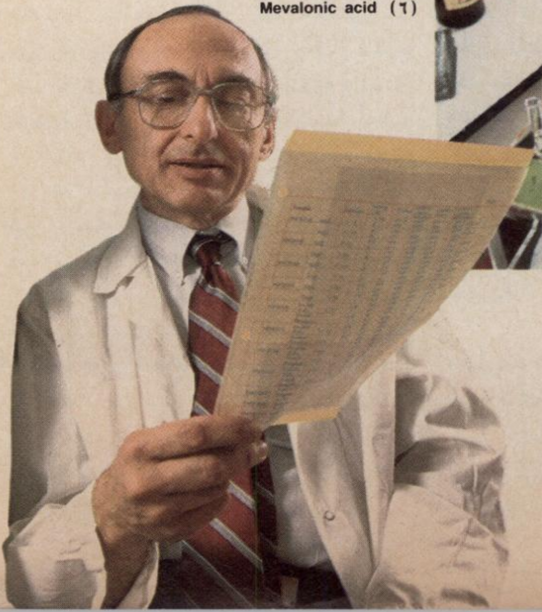

حفز الاكتشاف ألبرتس على تكثيف جهوده، فقدّر أنه اذا كان التفاعل الكيميائي الحيوي الذي أنتج الكولستيرول يتأثر بعامل واحد، فمن المحتمل أن يكون معرضاً لتأثير عوامل أخرى.

في سبتمبر (أيلول) ١٩٧٨ بدأ ألبرتس وتشن العمل على سلسلة التجارب الحاسمة. ففي الانابيب الصغيرة المنضّدة في المختبر حقنت تشن تشكيلة كيميائية تحتوي على مادة «HMG CoA»مشعّة. فاذا نجح المركّب في احباط عمل الخميرة، مانعاً انتاج حمض الميفالونيك، فلن يبقى سوى قليل من الاشعاع، أو لا اشعاع أبداً، بعد التجربة. واذا حدث ذلك فسيعرف ألبرتس أنه وجد "الرصاصة." وأثبتت التجارب في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨ أنه وجدها فعلا.

جُرب العقار أولا على الجرذان والكلاب وكانت النتائج مدهشة. وفي يونيو (حزيران) ١٩٧٩ تقدمت "ميرك" بطلب براءة في الولايات المتحدة لعقار "لوفاستاتن" وبدأت بعدها تجارب على البشر.

نجاح فرُكود – في هذه الاثناء كان أكيرا إندو في طوكيو اكتشف "لوفاستاتن" هو أيضاً، لكن شركة "سانكيو" لم تبذل أي جهد لتطويره بل تابعت انتاج "كومباكتن."

ثم حلّت الكارثة. ففي سبتمبر (أيلول) ١٩٨٠ أفاد ممثلو "ميرك" في اليابان أن شركة "سانكيو" ألغت كل عمل يتعلق بـ"كومباكتن" اذ راجت اشاعات أن بعض الكلاب المخبرية التي أعطيت العقار أصيبت بأورام معوية.

عندئذ جمّدت شركة "ميرك" كل نشاط لها في انتاج "لوفاستاتن" لانه كان في بعض النواحي مماثلا لـ"كومباكتن."

في العام ١٩٨٢ وردت على "ميرك" طلبات يائسة للمساعدة من أطباء كانوا يعالجون مرضى مصابين بمرض زيادة كولستيرول الدم(٧) الوراثي الذي يتسبب في مستويات مرتفعة جداً من الكولستيرول. كان هؤلاء الاطباء قرأوا عن "لوفاستاتن" وأبدوا رغبة شديدة في اختباره. ووافق فاجيلوس على الطلب، وهو حالياً المدير التنفيذي في شركة "ميرك." وحصل الاطباء على موافقة ادارة الغذاء والدواء على اختبار دواء جديد. يقول الدكتور توبرت بعدما جاءت النتائج مدهشة: "خفضنا كولستيرول الدم بمعدل ثلاثين في المئة من دون حصول أعراض جانبية. وأحب المرضى العقار."

اغراء لا يقاوم – لدى ظهور النتائج تغير موقف زملاء توبرت وعاودت "ميرك" تجاربها الاختبارية العملية عام ١٩٨٤. وقد عولج نحو ٢٠٠٠ مريض بالعقار الى الآن. يقول الدكتور جورج بيلير رئيس "مجلس دراسات القلب السريرية" في جمعية القلب الامريكية: "ان لوفاستاتن هو أحد اعظم التطورات المتقدمة في معالجة زيادة كولستيرول الدم. وأنا اعتقد أنه سيكون له تأثير رئيسي في خفض الاصابات بأمراض القلب التاجية."

ويبلغ المعدل الاجمالي لانخفاض

(٧) Hypercholesterolemia

الكولستيرول ٣٣ في المئة، وهو ناتج من خفض نحو ٤١ في المئة في البروتيين الدهني(٨) القليل الكثافة الذي ينقل الكولستيرول من الكبد الى الانسجة، وزيادة ٩ في المئة في البروتيين الدهني العالي الكثافة والمفيد الذي ينقل الكولستيرول من الانسجة الى الكبد.

أجرت "ميرك" سلسلة جديدة من الدراسات حول التسمّم بحيث أعطيت كلاب اختبارية كميات كبيرة من "لوفاستاتن." ولكن لم يظهر لديها أي اثر للاورام، وان يكن بعض الحيوانات أصيب بالسُدّ أي اعتام عدسة العين. ولم يصب أحد من الناس الذين عولجوا بالعقار بأعراض جانبية تذكر.

في أغسطس (آب) ١٩٨٧ اجازت ادارة الغذاء والدواء تناول العقار بموجب وصفة طبية، لكنها اشترطت مراعاة ناحيتين من الحذر: أن يجري الاشخاص الذين يتناولون العقار فحوصاً متكررة للكبد للتثبت من المعدل الطبيعي للخمائر، وأن يفحصوا عيونهم لمعرفة ما اذا كانت هناك بقع غير شفافة تغشى عدسة العين. وأوصت الادارة أيضاً بألا يوصف العقار "ميفاكور"(٩) وهو الاسم التجاري لـ"لوفاستاتن" الا للمرضى الذين لم تفدهم الحمية والتمارين الرياضية.

ان الفحوص المنتظمة للكبد والعينين ربما زادت من تكاليف استعمال العقار، لكن خفض ثلث مستوى الكولستيرول بمجرد تناول بعض الحبوب اغراء تصعب مقاومته.

إروين روس

(٨) Lipoproteins

(٩) Mevacor

خدمة ذاتية

أثناء سفرنا في السيارة توقفت وزوجتي لتمضية الليل في فندق صغير. واذ أردنا الانطلاق باكراً في الصباح طلبنا من الموظف إيقاظنا في السادسة والنصف. فمدّ الرجل يده ببطء تحت الطاولة واخرج ساعة منبهة ناولنا اياها وهو يقول: "هذه لإيقاظكما. نحن لا نصحو قبل السابعة."

س.م.

هناك نوعان...

... من الخاسرين: الخاسر الجيد، والخاسر الذي لا يجيد التمثيل.

... من المسافرين بحراً: المتقيئين وغير المتقئين.

... من الاعمال: واحد تستحم قبله وآخر تستحم بعده.

ب.ب.د.

الصداقة الحقيقية

اختبار للصداقة: هل تشعر بارتياح حين تكون مع صديقك دونما حاجة الى ممارسة نشاط معاً، كالتزلج او مشاهدة فيلم سينمائي، أي دونما حاجة الى عضو ثالث يشد انتباهكما؟ اذا لم يكن الامر كذلك فانه ليس بالصديق الحقيقي.

الاختبار الحقيقي للصداقة: هل تقدر ان تتمتع مع صديقك من دون ان تفعلا شيئاً على الاطلاق؟ هل يمكنكما ان تتمتعا باللحظات البسيطة من الحياة؟ تلك هي اللحظات التي يختزنها الناس ويرجعون اليها في اواخر حياتهم ويعتبرونها أقدس خبراتهم.

أوجين كينيدي

قصص الاطفال

عندما كتب الروائي الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز، حائز جائزة نوبل للادب، أولى قصصه للاولاد، عرضها على ابنيه، وكان أحدهما في الثامنة من عمره والآخر في السادسة. فرأى فيها الولدان تحقيراً لذكائهما، لانها "كتبت بأسلوب الحماقة والجهل الذي يتميز به الآباء في مخاطبة أولادهم."

قال غارسيا: "شعر ولداي بأن رأيهما ساءني، فاعتذرا الي وقالا لي كلاماً لن أنساه، بل أحفظه كمثل على الموهبة الفطرية لنظم الشعر لدى الاطفال. قالا: بابا، حين تصبح ولداً نرجو ان تكون مثلنا ويكون لك أب مثلك."

ب.م.

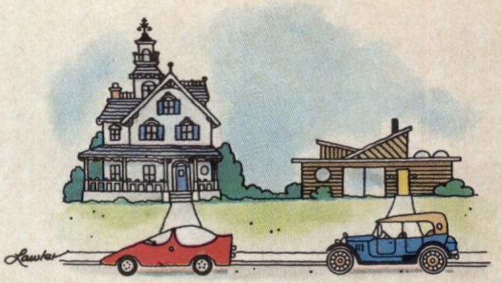

أغنية الربيع

هناك رنة ألم في أغنية الربيع، رنة حزن تشبه همس النسيم وتنذر بأن هذا هو أقصر الفصول عمراً. ففي الربيع تتفتح البراعم ويتفتق الاخضرار، لكنه لا يشاهد نمو الصيف ولا حصاد الخريف. فهو كالشباب يتفجر حياة صاخبة جامحة قلقة جميلة، وكالشباب يولي سريعاً.

أبتسم عندما أذكر كيف كنا في تلك الفصول الربيعية الغابرة. وأتطلع من نافذة مفتوحة لرياح أبرد من رياح الخريف، فأشفق على الشباب الرائعين، الثائرين، الحلوين في حيرتهم وتساؤلاتهم ودهشتهم.

ولكن كم تمنيت أن أرجع فأنضم اليهم وإن مرة واحدة.

ج.ب.

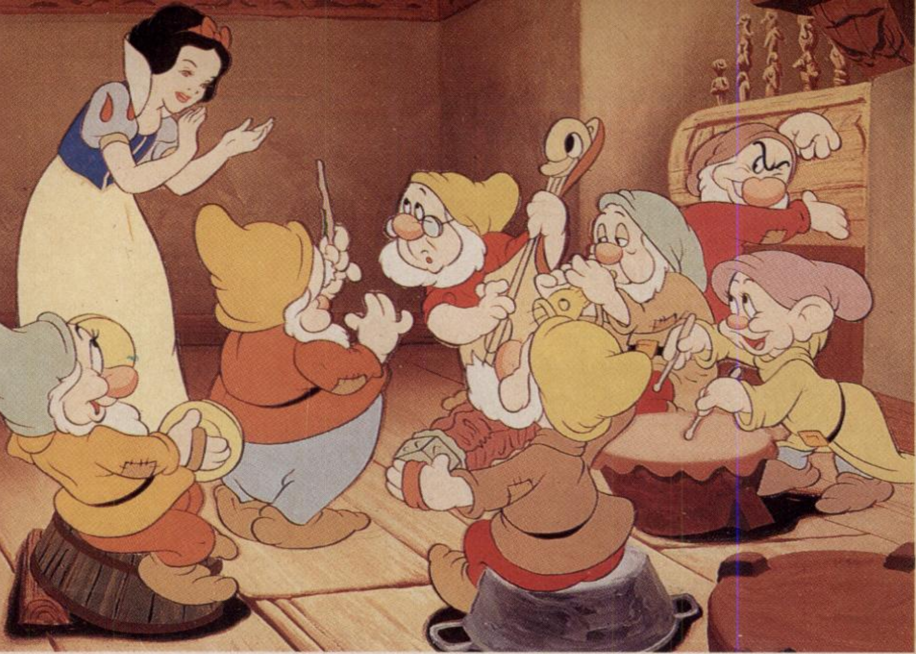

سنو وايتُ أحبّتهاكل الأجيَال

أتستطيع أن تسمي الاقزام السبعة؟ متى قلت "دوك" و"دوبي" و"سليبي" و"سنيـزي" و"بـاشفـل" و"غـرمبي" و"هابي" (١) أظهرت كم لهذا الفيلم المحبب من تأثير دائم على الناس. لم تكن للاقزام السبعة أسماء في الاسطورة التي كتبها الاخوان غريم في القرن التاسع عشر. اما الفيلم الذي اطلق عليهم فيه وولت ديزني هذه الاسماء فكان احتفالا بعيدهم الخمسيني الذي صادف العام الماضي (١٩٨٧).

فيلم "سنو وايت والاقزام السبعة" هو احد الافلام الشهيرة في التاريخ. ويقدر عدد هواة السينما الذين شاهدوه منذ بداية عرضه في العام ١٩٣٧ بخمسة ملايين. وفي العام ١٩٨٧ طبع للمرة السابعة، واصبح اول فيلم يعرض في وقت واحد في اكثر من ٦٠ بلدا بما فيها الاتحاد السوفييتي والصين.

في العام ١٩٣٤ اشتهر وولت ديزني.

(١) هذه الاسماء بالعربية هي "دكتور" و"بليد" و"نعسان" و"غطّاس" و"خجول" و"نكد" و"سعيد".

Illustrations: © 1937 Walt Disney Productions — World rights reserved

لم تكن قبلة الامير
هي التي اعادت
الحياة الى
سنو وايت
بل هي عبقرية
وولت ديزني

بافلام "ميكي ماوس" (٢) و"غوفي" (٣) و"الموسيقى الحمقاء" (٤) و"الخنازير الثلاثة الصغار" (٥). لكن افلام الرسوم المتحركة القصيرة لم تدر عليه مالا وفيرا، ولو لم يستصدر روي، شقيق وولت، اجازة بالاتجار بمبتكرات ديزني سعيا وراء المال لكانت شركتهما افلست.

وهكذا قرر وولت محاولة الحصول على مبالغ كبيرة من المال. حينما كان صبيا شاهد ترجمة صامتة لقصة سنو وايت، فقال: "في هذه القصة كل شيء: الامير والاميرة بطلا رواية خيالية، والاقزام السبعة للتسلية، والعجوز الساحرة الشريرة لتمثيل دور النذالة." فاعلن انه سيحولها رسوماً متحركة واضاف بعدئذ: "لا بد من انكم سمعتم صراخ السخرية." اما محللو صناعة السينما فسمّوا فكرته "رعونة ديزني" اذ انهم كانوا متأكدين من ان الجمهور سيغادر القاعة عندما يدرك انه سيشاهد فيلم رسوم متحركة يستغرق ثلاثا وثمانين دقيقة.

اما ديزني فكان مؤمناً بفكرته. قال مدير اعماله المحنّك كِن اندرسون: "ذات ليلة استدعى وولت اربعين شخصاً من فنانيه الى مسرح التسجيل، وقضى ساعات عدة يخبرنا عن سنو وايت والاقزام السبعة، ممثلا كل دور فيها. في النهاية ابلغنا ان هذه القصة ستكون اولى تمثيلياتنا ذات الطول الكامل."

واضاف: "كانت صدمة، لاننا نعرف كم كنا نلاقي من الصعاب في سبيل اخراج فيلم قصير للرسوم المتحركة، لكن اداء وولت بعث فينا روحا ملهمة.

ولاحظ مخرج الرسوم المتحركة اولي جونستون: "ان وولت جعل كل انسان يصدق الصورة الى درجة انه عندما كنا نناقش فرار سنو وايت في الغابة ارتعب احد الاشخاص لدى تصويرها وهي تسقط في هاوية، فقال: "انه لمنحدر شاهق هذا الذي تسقط عنه وقد تُقتل."

شخصيات مميزة – لكي يبعث ديزني الحياة في الرسوم اراد ان تكون لكل قزم شخصية محددة. قال مخرجها فرانك توماس: "خطونا حول المحترَف ونحن نهمهم: "سبعة منهم – الهمّ – سبعة منهم!" بدا الاشخاص متشابهين غير ان بعضهم يتميز غالبا عن البعض الآخر بالحركة والصوت ولهذا سميت زعيم الاقزام "دوك،" اي الدكتور.

وزاد جونستون: "جعلنا دوك يقف جيداً

(٢) Mickey Mouse
(٣) Goofy
(٤) Silly Symphonies
(٥) Three Little Pigs

على قدميه ومعصماه على ردفيه اظهاراً للعظمة، واعطينا غرمبي حدبة خفيفة واختيالا ليبدو عربيداً، اما سنيزي فكان مواطناً رصيناً عندما لا يكون عاطساً."

قلد صوت سنيزي اشهر عاطسي هوليوود الممثل الهزلي بلّي غلبرت الذي سبق ان كانت له عطسات مقلقة في افلام مختلفة. وفي افلام اخرى قلد صوت سنيزي. وقلّد بنتو كولڤنغ صوت غوفي. وتكلّم بلوتو بلساني سليبي وغرمبي. اما الممثلون اوتيس هارلان وسكوتي ماترو وروي أتويل فأدوا على التوالي ادوار هابي وباشفل ودوك.

بقي دوبي. في الفيلم يقول هابي لسنو وايت: "هذا هو دوبي، لم يتكلم ابداً." وسنو وايت تسأل: "أتعني انه لا يقوى على الكلام؟" فيجيب هابي: "انه لا يعرف ولم يحاول ابداً." اما ديزني فاوضح: "نحن لا نريد ان نعطي دوبي صوتا وهذا ما يساعده ليكون مختلفاً."

في البحث عن صوت طبيعي بريء النغمة يعطى للاميرة اتصل ديزني بفيدو كاسيلوتي معلّم الصوت في هوليوود. واذ كانت ابنته ادريانا تسترق السمع فاجأته بسؤال: "ماذا تقول فيّ؟" وكان الجواب ان صوت ادريانا الصافي الرنان أكسبها الرهان. واختير الممثل في برودواي هاري ستوكويل اميراً لها.

رفض ديزني اغاني عدة الفها فرانك تشرشل والشاعر الوجداني لاري مور قبل ان يوافق على ثمانية عناوين لا تزال تجدّد ذكرياتنا منها: "انا اتمنى،" (٦) "صفِّر وانت تعمل،" (٧) "اواه،" (٨) واحب الاغاني الى قلوب الجميع: "يوما ما سيأتي اميري" (٩).

كان ديزني طوال الوقت الذي استغرقته الرسوم المتحركة، يعرف تماما ما يريد. في مسودّة ١٩٣٤ قال ان الملكة الشريرة يجب ان تكون مزيجا من "ليدي مكبث" و"الذئب الكبير الشرير": جمالها شؤم، بالغ النمو، كثير التقوس، حوّلها سائل سحري عجوزاً ساحرة شمطاء." واختار لوسيل لاڤرن لتقليد صوت الملكة والساحرة معا.

جوقة الشخير – كل خبرة ديزني اخذت طريقها الى الفيلم. ويروي المخرج ورد كمبول: "عندما خرج ديزني مع فريق لقضاء عطلة اسبوع قروية على صهوات الجياد، لم يعرف النوم بسبب شخير رفاقه. وقد درس ديزني شخيرهم فوجد ان

(٦) I'm Wishing
(٧) Whistle While You Work
(٨) Heigh-Ho
(٩) Some Day My Prince Will Come

كلا منهم يشخر على نحو مختلف عن الآخر. وذات صباح اثنين اخبر ابطال قصته انه في صدد اضافة شيء الى تبعة النائم التي من جرائها اعطى الاقزام سنو وايت غرفة نومهم وانتقلوا جميعاً الى الطبقة السفلى. قال وولت ان كل قزم سيشخر على نحو مختلف عن الآخر وجميعهم معا سيؤلفون جوقة موسيقية كاملة من الشخير. بعد ذلك وُضع تصوّر لشخير كل واحد واعطي صاحبه التعليمات اللازمة.

كان غرمبي، مثل وولت، لا يستطيع الرقاد، يضطجع في قدر الحساء ويصغي الى شخير الآخرين. اما باشفل فكان داخل درج يشخر بانين منخفض، واما هابي فكان في خزانة ينفخ شخيره على نحو ينتهي بصفير. وكان دوك يقعقع في حوض غسيل ويغرغر كصنبور يقطر في

حلقه، في حين كان شخير سنيزي كأزيز المنشار. ويرافق شخير دوبي نشيج. اما شهيق سليبي المتلاحق وزفيره فيؤلفان ثنائياً صوتياً ساخراً مع ذبابة يحاكي صوتها رنة وتر الكمان.

والاسلوب الاهم في اظهار شخصيات الاقزام كان تنوع خطوهم وازيائهم وفقا لما صممه فرانك توماس.

رسم ابن عمي شاموس كولهين مشاهد يبدو فيها الاقزام عائدين الى منازلهم من منجم الجواهر يغنون "هاي - هو" وقضى شاموس قرابة ستة اشهر في رسم الفي مشهد. اما الفيلم بكامله فاستلزم نحو مليوني رسم. ان الصحائف التي يبلغ طول كل منها تسعين سنتيمترا ملأت الرفوف الواقعة على الواح رسوم شاموس ومساعده نك ده تولي.

ذات يوم تطلع شاموس الى فوق مرتجفا: سيجارة ده تولي سقطت على كومة رسوم. قال شاموس: "انتقلت النار من رف الى آخر وكل ما انتجته احترق في ثوان."

قبل ان يخمد ده تولي النار بمنشفة كان بعض الرسوم احترق منه نحو نصف سنتيمتر ولكن لم يُتلف اي رسم الى درجة عدم التمكن من استعماله في الفيلم.

قد تكون الخسارة التي لحقت بالرسوم تعني التنازل عن لفظة "هاي - هو."

تكاليف فيلم سنو وايت تجاوزت ضعفي الموازنة العادية البالغة ٥٠٠ الف دولار. وقد اعترض مديرو المصرف على تسليف وولت ديزني اي مبلغ اضافي ما لم يشاهدوا ما انجز الى الآن.

مرة ثانية كان على وولت أن يفرز جزءا من القصة. تذكر فردي مور ان هذه افضل ساعات وولت التي استمر فيها قافزاً على قدميه ليجعل العمل المفقود انجازاً تمثيلا مضحكا، بما فيه مجون الاقزام واغراء الساحرة الشريرة لسنو وايت بقضم التفاحة المسمومة، وختام قصة سنو وايت الذي توقظها فيه قبلة الامير.

بعد سنة اعلن ديزني: "حسنا، كما يعلم كل انسان، حصلنا على قرض، والفيلم درّ مالا، ولولا ذلك لما كانت هناك اليوم محترفات ديزني". اما التكاليف الاخيرة فبلغت مليوناً ونصف مليون دولار.

في العام ١٩٣٩ اكسبت قصة "سنو وايت والاقزام السبعة" وولت ديزني جائزة "اوسكار الاكاديمية الخاصة،" وهي تمثال كامل لاوسكار الى جانب سبعة تماثيل مصغرة، لانه "سحر الملايين وكان رائداً في خلقه مجالا جديداً وعظيماً للهو ستفيد منه افلام الرسوم المتحركة."

ظلت "سنو وايت" طليعة الافلام مدة طويلة وتجاوزت عائداتها ٣٦٠ مليون دولار، وهي الآن اكثر من شريط ناجح، انها ذكرى مذخرة تتقاسمها الاجيال المتعاقبة من آباء وابناء.

في افتتاح "اسبوع فيلم ١٩٣٧"، نشرت مجلة "تايم" موضوعاً رئيسياً لغلافها جاء فيه: "ان سنو وايت مزيج من هوليوود والاخوين غريم ووهم الطفولة العالمية الحزين الثاقب (...) انها تحفة حقيقية جديرة بان تشاهدها الاجيال الطالعة وتحبها بعدما نامت نجوم هوليوود وليس ثمة من قبلة امير لتوقظها."

جون كولهين

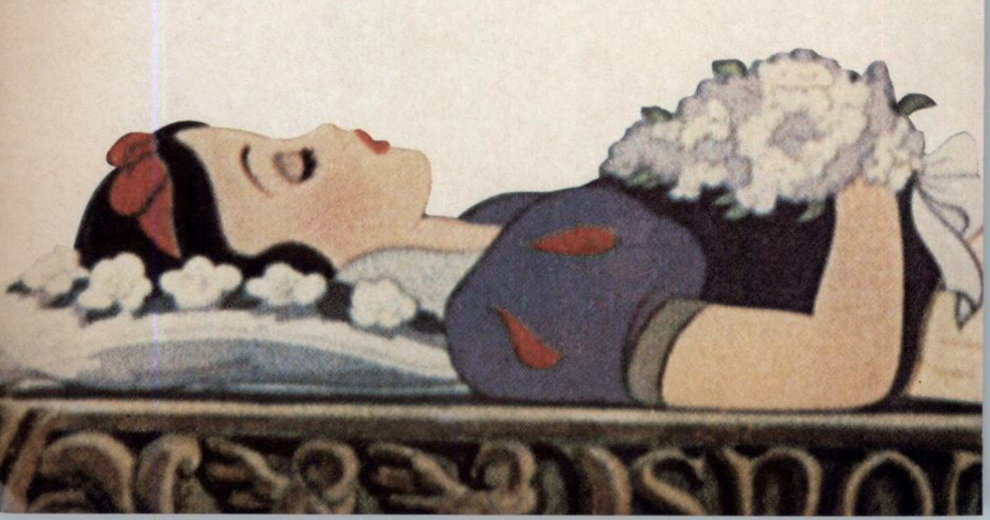

جدار هادريَان
مليون شاهِد مِن ١٨٠٠ سَنة

فوق التلال وبين الوديان يمتد جدار هادريان عابراً عنق بريطانيا لمسافة ١١٧ كيلومتراً من بحر الشمال الى البحر الايرلندي. ولمسافة ثلاثين كيلومتراً مليئة بالمناظر الخلابة يرتفع ظهر الجدار الرمادي المسنن الذي يبلغ عرضه مترين ونصف متر وينخفض على طول سلسلة نورثامبريا المتعرجة. ذات يوم وضعت هذه الحجار التي مشى عليها جنود الحاميات الرومانية، نهاية العالم المتمدن.

حتى في حاله المتداعية والمهدمة يثير هذا الجدار البالغ من العمر ١٨٠٠ سنة الرهبة وحب الاستطلاع. لقد رُصف داخله بما يزيد على مليون حجر، بعضها من الفخامة بحيث يتعذر رفعه الا بالبكر والحبال. قسمه الخارجي يرتفع حوالى عشرين مدماكاً، وفي وسطه صُبّ الملاط

إمبراطوريته سقطت لكنَّ جداره باقٍ

© 1985 by Timothy Foote. Condensed from Smithsonian (April '85), Washington, D.C.
Photographs: © Michael Fraser; Adam Woolfitt / Susan Griggs Agency

مع أطنان من الحصى والحجار والتراب.
أمر الامبراطور هادريان ببناء هذا الجدار "للفصل بين الرومان والبرابرة." لقد جاء الرومان الى بريطانيا سنة ٤٣ ميلادية لاحراز النفوذ والغنائم من ذهب وفضة وقصدير، الا انهم ما لبثوا أن اشتبكوا مع قبائل ويلز ومحاربي قبائل الشمال العتاة والبريغانتيين القساة الذين احتلوا مناطق البلاد الجبلية. فاضطر الرومان أخيراً الى ترك ثلاثة فيالق تشكل عُشر قوات الامبراطورية، في هذه الجزيرة المتمردة.

عندما خلف هادريان الامبراطور المحارب تراجان عام ١١٧، كانت الانتصارات الرومانية السابقة في اسكوتلندا أصبحت غير ذات قيمة ولم يعد لإخضاع بريطانيا أي معنى. لذلك أمر هادريان ببناء عجيبة هندسية هي جدار يكون بمثابة حاجز جمركي وخط دفاع أول يشهد على قوة روما الدفاعية.

أراد هادريان في بادىء الامر أن يكون عرض الجدار ثلاثة أمتار، ثم جعله ١٧٠ سنتيمتراً ثم مترين في النهاية، مع حصون صغيرة تفصل بين الواحد والآخر مسافة كيلومتر ونصف كيلومتر وابراج مراقبة كل نصف كيلومتر. ثم أمر ببناء ستة عشر حصناً ملاصقة للجدار أو متداخلة فيه، لستة منها أبواب شمالية ضخمة تخول حامياتها رد هجمات الاعداء.

الى الشمال من الجدار امتد خندق للقتال بلغ عرضه ثمانية أمتار، والى الجنوب خلف الجدار أمر هادريان بانشاء سد ترابي بعرض ٣٦،٥ متراً، يركز في خندق بلغ عمقه ثلاثة أمتار وعرضه ستة، وأمر برفع التراب المستخرج على كلا الجانبين على أن ترصف واجهتاه بالحجار وتقام بينهما معابر تصل الى القلاع.

رادع نفسي - في العام ١٢٢ بدأت الفيالق الثلاثة، الثاني والسادس والعشرون، المهمة الشاقة. وقد سار العمل على نحو جيد وبمعدل ثمانية الى عشرة كيلومترات للفيلق الواحد في السنة الواحدة. وكان كل فيلق مؤلفاً من خمسمئة جندي من المشاة ومئة وعشرين فارساً. وكانت الوحدات مجهزة برجال أكفياء ليس فقط بفن البناء بل بالطهو والمحاسبة والنجارة والسكافة والسمكرة والموسيقى والطب وعلم الفراسة، الى معرفتهم التامة بأصول القتال.

كانت الفيالق تعمل بمساعدة القوى المجندة من أنحاء الامبراطورية، من شروق الشمس الى مغيبها ومن دون اجازات إلا في الايام المخصصة للاحتفالات الطقسية واحتفالات القسم ومنح الجوائز، ومرة كل ثلاثة أشهر لقبض الاجور. ومع أن الجدار لم ينته قبل العام ١٢٨، فان القسم الاكبر منه أنجز خلال ثلاث سنوات.

أما وقد تم بناؤه، فهل تحقق الغرض منه؟ أو كما نقول بلغة اليوم: هل استحق تكاليفه؟

إن الابقاء على ثلاثة فيالق مع مجنديها الاضافيين في الميدان لمدة سنة كان يكلف نحو ثمانية ملايين دينار، اي ما يعادل ٧٠٠ مليون دولار في الوقت الحاضر بحسب ما يقول أحد الخبراء. ولكن بالنسبة الى هادريان فإن الحجار لم تكلفه شيئاً، كذلك الرجال لأن رواتبهم

كانت مدفوعة في كل الاحوال، وعندما لم يكونوا في المعركة وجب إشغالهم باشياء أخرى.

أما تأثير الجدار كرادع فكان مهماً من الناحية النفسية. واليوم، عندما تسير عبر الحقول خلف حصني "ستيل ريغ" او "هاوس ستيدس" قبل حلول الظلام وتتطلع صوب الجدار، يمكنك ان تتخيل كيف يكون الاقتراب من ناحية الشمال من هذا الشيء القاتم اللامتناهي الذي شاده الرومان والذي كان أعسر من أن يدركه خيال رجل قبلي أو تجربته.

وعلى رغم ذلك فقد تعرضت الحصون الرومانية شمال الجدار لعدة هجمات. وأشيع أن الجدار اجتيح مرة على الأقل عام ٣٦٧. وتضمنت رسوم من القرن التاسع عشر برابرة ملتحين ينهمرون فوق الحصون وعبر فتحاتها فيما ألسنة النار تتصاعد في السماء.

غير أن الدلائل التي تثبت صحة هذه الهجمات ما زالت قليلة. ودمار بعض الحصون يظهر أنه كان من عمل الرومان أنفسهم وليس البرابرة، وذلك عند تراجعهم النظامي وتخليهم عن المراكز الامامية.

جنود وضباط - إن المعلومات عن الحياة فوق الجدار مستمدة من مصدرين: اولا، من فهمنا لطريقة عمل الجيش الروماني في المناخات القاسية، وقد وصل الينا كثير من الكتابات حول ذلك، وثانياً، من ١٢٠٠ نص منقوشة على المباني. نحن نعلم أن الجدار بنته الفيالق لأنها وسمت أعمالها بالحجر. لكن الحقيقة هي أن الفيالق الرومانية لم تبنِ الجدار، بل بناه ثلاثة عشر ألفاً من المجندين المشاة والفرسان والرمّاحين والنبّالين.

اعتدنا تخيلهم غرباء باردين ينتعلون الصنادل ويتطلعون نحو الشمال فيما هم يحلمون بسوريا أو مصر أو افريقيا أو اسبانيا. إنما في الحقيقة كان معظمهم من البريطانيين المجندين. وكان البريطانيون والاجانب، على السواء، ميالين الى البقاء والعيش هناك حيث تزوجوا واستوطنوا حول القلاع.

أما القطع النقدية التي وجد منها ما يزيد على مئة ألف على طول الجدار، فساعدت في تثبيت تواريخ الأباطرة والانتصارات، كما ساعدت في ذلك بقايا مسامير النعال ورؤوس الرماح والقطع الزجاجية الصغيرة. ومن دواعي الدهشة أن نعلم مدى استعمال النوافذ الزجاجية في بناء القلاع والحصون على الجدار.

وأما الحصون، وأكبرها موجود خارج كارليل في كامبريا، فقد احتلت مساحة ثلاثة هكتارات ونصف هكتار وكانت تشكل قاعدة لألف فارس. وكلها مصممة على طريقة واحدة: صفوف من الثكن ذات السقوف الاردوازية تحوط المبنى الرئيسي المركزي الذي يضم مكتب المسؤول عن دفع الرواتب ومزاراً، كما يضم المطابخ والمخازن والمراحيض الجماعية التي يتسع الواحد منها لعشرين شخصاً. وكان المبنى مجهزاً بالمياه الجارية. أما الحمامات الجماعية المجهزة بالمياه الساخنة والباردة والفاترة فمبنية خارج الحصون.

وفي كارليل كانت خيم ضباط الفيالق مجهزة بأرضيات وأسرة. أما الجنود فكانوا ينامون في خيم تسمى "فراشات" نظراً الى شبهها بيرقانة الفراشة وبفراشة باسطة الجناحين عند فتحها.

أقدم أرشيف - لم يستطع أحد أن يوضح نمط الحياة على الجدار كما فعل روبن بيرلي ابن البروفسور أريك بيرلي العالم المتفوق في دراسة هذا الجدار. كانت عائلة بيرلي تملك منذ العام ١٩٢٩ عقاراً يبعد كيلومتراً ونصف كيلومتر جنوب الجدار ويضم حصناً وحفريات أثرية ومتحفاً. وهو اليوم في الرعاية الدولية.

في هذا المكان يرى الزائرون لوحة "عائلة ماركوس" في بيت حدودي مع شرح كامل ورموز صوتية كالأبواق التي تدعو ماركوس الى الحصن، اضافة الى كلب محنط وصورة ترمز الى الأم مارتا وهي تطبخ وتفاصيل أخرى كالأواني الساميّة الحمراء والكؤوس الفرنسية وصلصة السمك المستوردة من البرتغال.

والى هذه اللوحة هناك بعض المعروضات كالامشاط ولفافات الشعر وقطع النقود التي تحمل رسوماً للامبراطورات، وهذه قطع زينة اقتنتها السيدات اللواتي عشن على الجدار. وهناك معروضات توضح تلذذ افراد الجيش الروماني بأكل اللحوم، وقد كانوا يعتبرون خطأ من النباتيين.

وفي فيندولندا أيضاً تعرض "لوحة المقاومة" وهي مجموعة من الترجمات لبضعة آلاف من الوثائق الخشبية الرقيقة كتب عليها بالحبر، وهي تشكل أقدم أرشيف مكتوب في بريطانيا. وكان روبن بيرلي مع فريق من المنقبين أول من وجد باكورة هذه الوثائق عام ١٩٧٣ في ارضية منزل أحد الضباط.

تضم هذه الوثائق رسائل شخصية وتعليمات للجنود ولوائح مأكل ومشرب للجنود والضباط والحفلات الخاصة.

ويأمل بيرلي إنشاء حديقة عامة أثرية قرب منزله في حصن كارفوران. فهو يطمح الى ترميم قسم من الجدار من مقلع ضخم حيث استخرجت حجار لبناء ٥٠٠ متر من جدار هادريان. فاذا كتب له النجاح، فسيكون في إمكان الزائرين أن يسيروا على نسخة من جدار العام ١٣٠ بعلوه البالغ ٦،٥ أمتار ومتاريسه وأبراجه وقلاعه. ويعتقد بيرلي الذي يشرف على تعليم تلاميذ المدارس طريقة بناء الجدار، أن مشروعه سيؤمن سبعين وظيفة دائمة في نورثامبريا التي تندر فيها الوظائف الجديدة، وان مداخيل هذا المشروع ستدعم الابحاث الاثرية التي تعوقها حالياً قلة الاموال.

ولا يزال الزوار يقصدون الجدار من أنحاء العالم فيدهشهم هذا الشريط من الحجار. انه رمز باقٍ لجبروت الامبراطورية الرومانية.

تيموثي فوت

أول شخص تسأله عن وجهة سيرك في مدينة غريبة سيكون حتماً سائحاً آخر.
و.ف.

الأناناس

مفخرة الفواكه

العالم كله يستمتع بهذه الفاكهة المدهشة المتعددة الاستعمال

"شيء له أوراق كالسيوف وثمر كلّه عيون. ما هو؟"

عرفت جواب الحزورة حين كنت ولداً في أمريكا قبل ٤٠ سنة، ولم أكن رأيت حبة واحدة من هذا الثمر.

انه الأناناس طبعاً!

بعد سنوات رأيتني واقفاً في احدى المزارع في تايلند وسط بحر واسع من الاناناس، والنساء يجمعن الثمر فيقطفنه بالايدي وقد لبسن مآزر للوقاية من الاوراق المسنّنة الشائكة.

لفتني التباين الكبير في الحجم واللون، فسألت دليلتي كيف تعرف العاملات متى ينضج الثمر. التقطت حبة وأرتني اياها قائلة: "أنظر الى العيون، فاذا رأيتها متفتحة تكون الثمرة

Photo: Buddy Leung

نضجت." وقد لاحظت فعلا أن هناك ثنية صغيرة ممتدة فوق كل عين، في حين أن الثمر الذي لا يزال على الاغراس كان ناعماً. وأضافت الدليلة: "للأناناس عيونٍ بعدد الخدمات التي يؤديها لنا." وعددت في الثمرة ما يزيد على مئة عين.

لم تكن دليلتي بعيدة عن الواقع. فالى كون الاناناس شهياً ولذيذاً ومصدراً ممتازاً للفيتامينين "أ" و"ج" وبنسبة أقل للفيتامين "ب"، فانه يساعد على الهضم ويريح من التخمة الحمضية. وهناك خميرة (انزيم) تساعد على هضم البروتيين تستخرج من الجذع ويمكن استخدامها لتطرية اللحم وكعقار ضد الالتهاب.

وفي الفيلبين وتايوان يضغط القشر الذي يُطرح خلال عملية التعليب، ويستخرج منه خل. أما القشور الخارجية فتقطع أجزاء صغيرة وتجفف وتستخدم علفاً مغذياً للماشية. وأما الاوراق القوية المسنّنة فتعطي أليافاً يحاك منها نسيج ناعم شبه شفاف في الفيلبين، كما تمزج مع القش والخيزران لصنع ورق للرسم الصيني. أما المنتجات الجانبية من تصنيع العصير فتشمل السكر السائل المستعمل في التعليب، وحامض الاسكوربيك (الفيتامين "ج") الذي يحفظ لون الدرّاق المثلّج فيمنع تحوله بنياً، وحامض السيتريك للمشروبات والوصفات الطبية. ويحتوي الثمر الذي لم ينضج على مادة سامّة تسبب اسهالا قوياً، وفي الهند وجزر مولوكا يستعمل كوصفة شعبية طاردة لديدان الأمعاء لدى الاولاد.

الطنّان الملقّح - كريستوفر كولمبوس هو الذي أطلق الأناناس في طريق الشهرة خلال رحلته الى أمريكا عام ١٤٩٣، حين شاهد سكان جزيرة غوادلوب في "الهند الغربية" يأكلونه. فسماه "صنوبر الهند"(١) اذ أدهشته شدة الشبه بين أكوازه وأكواز الصنوبر. وفي البرازيل والباراغواي يسمى الثمر "نانا" أي "الثمر الممتاز" مما أدى الى تسميته العلمية "أناناس كوموسوس" وهو ضمن عائلة كبيرة تدعى "بروميلياسيا" في علم النبات.

يسهل نقل غرسة الاناناس لان أوراقها تحبس الماء. وقد أوصلها الرحّالة البرتغاليون الى الهند قرابة العام ١٥٥٠، وانتشرت من هناك الى جنوب شرق آسيا وبعض جزر جنوب المحيط الهادئ. وفي وقت ما وصلت الى الصين وكانت تنتج بكثرة في مقاطعة غواندونغ. وفي منتصف القرن السابع عشر عم غرسها في بيوت زجاجية وبلاستيكية في أنحاء كثيرة من أوروبا، وخصوصاً بريطانيا وفرنسا.

ساهم عاملان في نمو صناعة الاناناس في جزر هاواي مطلع هذا القرن. أحدهما كان ضم الجزر الى الولايات المتحدة عام ١٨٩٨، مما ألغى الضرائب المرتفعة على الصادرات، والآخر مجيء رجال ملهمين صمموا على انجاح صناعة هذه الفاكهة اللذيذة ومن هؤلاء شابّ خريج جامعة هارفرد يدعى جايمس دول اشترى ٤٨ ألف متر مربع من الارض في واهياوا وأنشأ مزرعة تحوي ٧٥ ألف نبتة أناناس.

في موطنها الطبيعي تُلقّح النباتات

(١) Piña de Indes

بواسطة الطائر الطنّان الذي له وحده منقار طويل يصل الى الرحيق داخل ازهارها الزرقاء المتوهجة بألوان قوس قزح. والثمرة الملقّحة ملأى بالبذور. وقد خشي المزارعون الاوائل في هاواي أن يعجزوا عن ضبط التكاثر، فمنعوا ادخال الطيور الطنّانة الصغيرة الملقّحة الى جزرهم، واستعاضوا عنها بغرس فروع جديدة تنبثق من الجذر الاصلي وتنتج محصولا ثانياً. ويستخدم التاج الذي ينمو في رأس التمرة للغاية ذاتها.

أناناس هاواي – بلغت الدفعة الاولى من انتاج شركة "دول" للاناناس في هاواي عام ۱۹۰۳ نحو ۱۸۰۰ صندوق. وازداد الانتاج بسرعة تفوق قدرة استيعاب السوق، مما جعل الشركة الناشئة تشارف الافلاس. لكن دول واجه التحدي فقام بحملة دعائية لترويج الفاكهة لدى الامريكيين كلّفته ٥٠ ألف دولار.

ثم برز خطر آخر في شكل دودة سلكيّة وبائية تفتك بجذور النبات فتتلف مزارع بكاملها. فاستنجد دول بالعلماء الذين ابتكروا له مادة مدخّنة قضت على الوباء. وابتكر علماء آخرون طرقاً جديدة للتسميد والتهجين والمعالجة بالهرمونات أتاحت الانتاج في أوقات خارج الموسم الطبيعي. وبذلك غدت زراعة الاناناس إحدى الزراعات العلمية.

وتحقق حلم دول في آخر المطاف، فأولعت الولايات المتحدة وبقية بلدان العالم بالاناناس. وأصبح الاناناس وجزر هاواي اسمين مترادفين. ونشأت مزارع مزدهرة في جزر كثيرة غير واهياوا، خصوصاً جزيرة ماوي، ومعها تسهيلات لتعليب الفاكهة بواسطة آلة مبتكرة تدعى "جيناكا" اخترعها عام ۱۹۱۲ مستخدم في معمل للتعليب يدعى هنري جيناكا، وهي تقشر الثمرة وتنزع بذورها وتحدد حجمها وشكلها. وفي السبعينات أمّنت ثمار الاناناس وعصيره في جزر هاواي أكثر من سبعين في المئة من الاستهلاك العالمي.

لكن كلفة الانتاج المتصاعدة عملت ضد مصلحة المنتجين المحليين في منافستهم البلدان النامية، مما حمل الشركات على اقفال معاملها أو نقل الجزء الاكبر من عملياتها الى أماكن أخرى. وفي العام ۱۹۸٥ بلغ الانتاج العالمي من الاناناس ۹،۲ ملايين طن، منها ٥،۳ ملايين أنتجت في آسيا وكان نصيب تايلند منها ۱،۸ مليون طن. وتايلند هي المنتجة الرئيسية في آسيا، وقد صدرت عام ۱۹۸٥ ۱۹۲،۷٦٤ طناً من الفاكهة المعلبة، نصفها الى الولايات المتحدة ومعظم البقية الى أوروبا واليابان والشرق الاوسط، وبلغت قيمة هذه الصادرات نحو ۱۲۱ مليون دولار. وتأتي الفيلبين في المرتبة الثانية بعد تايلند في تصدير الاناناس المعلّب، لكنها تحتل المرتبة الاولى في شحن الفاكهة الى أسواق العالم. وفي وادي بولومولوك في جزيرة ميندانا و أكبر مزرعة للاناناس في العالم، وتبلغ مساحتها حوالى ۷۲۰۰ هكتار. لا تمضي على قطافها اثنتا عشرة ساعة الا وتكون الفاكهة معبأة في علب كرتون وفي

طريقها الى الشحن الخارجي: في الدرجة الاولى الى اليابان التي اشترت ١٥٠ ألف طن من الاناناس عام ١٩٨٦.

كيف يؤكل – يزرع الاناناس في الفيلبين، وغالباً في المزارع ذاتها مع جوز الهند والبابايا والموز، وفي جنوب تايلند مع شجر المطاط. تنمو ثمرة الاناناس في شبه وردة، على نبتة ذات جذع لبّي حوالى متر. وينبت عنقود الزهر بعد مدة تراوح بين ١٢ و٢٤ شهراً، بحسب النوع، وهو ينبت وسط الوردة أو على الاوراق الشائكة. وتمر أربعة أشهر أخرى لكي ينضج الثمر. وتبدو الثمرة كحبة واحدة، لكنها تتألف أصلا من ١٠٠ الى ٢٠٠ حبة صغيرة، أو "عين"، تنشأ كل واحدة من زهرة وأجزائها المحيطة.

بلغ وزن أكبر حبة أناناس ٧،٩٦ كيلوغرامات، وهي قطفت في الفيلبين. غير أن معظم الثمار يراوح وزنه بين كيلوغرام وكيلوغرامين. وأنتج التهجين أنواعاً عدة تقسم عموماً خمس مجموعات هي: "الاسبانية" و"الملكة" و"أباكاكسي" و"مايبور" و"كايان"(٣). والاسبانية هي الاكثر شيوعاً للاستهلاك كفاكهة لحلاوتها، أما صنف كايان فمتساوٍ في الشكل والحجم ويفضل استخدامه للتعليب.

يشتكي متذوقو الاناناس من صعوبة نزع لبّ العيون المتراصّة في الكوز. في اليابان آلة خاصة لقشر الثمرة ونزع بذورها لزبائن المتاجر الكبرى. وفي الفيلبين أنتجت شركة "ديل مونتي" صنفاً جاهزاً للاكل لا يتطلب سوى تشريحه. وطورت محطة "تشيايي" للاختبارات الزراعية في تايوان صنفاً ثورياً يدعى "أناناس العسل" ويمكن تقشيره باليد، فضلا عن رائحته العطرة ونسبة السكر المرتفعة فيه.

هناك طرق مختلفة لأكل الاناناس. فالبعض يحبه مرشوشاً بقليل من الملح، والتايلنديون يرشونه بقليل من السكر مع مسحوق الفلفل الاحمر زيادة في التلذذ. ويصنع منه جيلاتي (آيس كريم) وشراب وحلوى، وعصيره لذيذ يستخدم أساساً لعدة أنواع من الشراب الاستوائي. ويزيد الاناناس في لذة الدجاج المنكّه بالكَري (بهار هندي). وفي تايوان وهونغ كونغ يعتبر الرز المقلي بالاناناس طبقاً فاخراً. ويشكل الثمر عنصراً لذيذاً في المحفوظات والسكاكر.

قلت لدليلتي: "أحب الثمر طبيعياً. فقسمت حبة أناناس ملأى بالعيون وأعطتني قطعة لأتذوقها وسألتني: "اهي ناضجة؟"

قلت: "بالتأكيد، ولذيذة جداً."

وليم وارن

(٣) Spanish, Queen, Abacaxi, Maipure, Cayenne

من آثار التضخم المالي

من دواعي الاسى في التضخم المالي أن ترى شاباً يتسلم وظيفته الاولى براتب طالما حلمت به في ذروة عطائك المهني.

صحيفة "لوس انجلس تايمس"

دَور الأمّ

في السباق المحموم للنجاح الاكاديمي تصلي الامهات اليابانيات أطفالهن بنار الاجتهاد

في المدرسة اليابانيّة

هيروشي كاتو طفل في الثالثة والنصف من عمره يستعدّ لاحدى أهم المحطات في حياته ألا وهي دخول الصف الابتدائي الأول. وهيروشي تعلّم أن يسير مستقيم القامة مرفوع الرأس في غرفة صفّه بدار الحضانة، وأن يلبي نداء "موسيقى التنظيف" وينشد أغنية الوداع. وقريباً سيحاول هيروشي الانتساب إلى إحدى المدارس الخاصة ذات المقام الرفيع في اليابان.

في ميورنجي إحدى ضواحي طوكيو تعود ابنة الثالثة عشرة ناوكو ماسو من المدرسة وتنصرف فوراً الى تحضير فروضها. إنها في السنة الابتدائية السابعة في مدرسة شووي للبنات. على شفتيها ابتسامة تقول "لقد نجحت." انها أمضت ثلاث سنوات في مدرسة رسمية، من الصف الرابع الى الصف السادس، وأتمّت بنجاح برنامجاً دراسياً ضاغطاً. كانت تعود من المدرسة الى البيت، فتدرس وقتاً قصيراً ثم تسرع الى الـ"جوكو"، وهذه مدرسة ذات برنامج مكتظ يحشو الدماغ، تذهب اليها ثلاث

© 1987 by Carol Simons. Condensed from Smithsonian (March '87), Washington, D.C.
Photo: David Austen / Black Star

مرات في الاسبوع لتمضي ثلاث ساعات كل مرة. هدفها أن تنتسب الى مدرسة خاصة جيدة، وسيكون الامتحان صعباً.

وكان شقيقها توشيهيرو اجتاز قبل سنوات امتحاناً مماثلا ونجح في دخول مدرسة لنخبة الطلاب. وهو أمضى عطلة الصيف قبل الامتحان في مدرسة "جوكو" يحشو رأسه بالمعلومات ثماني ساعات في اليوم. توشيهيرو اليوم طالب في المرحلة الثانوية يستعد لامتحان دخول جامعة طوكيو المرموقة.

إن هيروشي وناوكو وتوشيهيرو في الطريق التي يعتبرها أهل اليابان الطريق الصحيحة الى النجاح. والى هؤلاء هناك ألوف الطلاب من عائلات متوسطة وثرية يستعدّون لامتحانات دخول المدارس المرموقة التي تفتح أمامهم الطريق الى وظائف عالية وتعلن نهاية "السباق." وفي كل خطوة يتلقى هؤلاء الطلاب النصح والارشاد من أمهاتهم اللواتي كانت أعينهنّ شاخصة الى الهدف الأخير منذ البدء.

مهنة الامومة – لا يشك أحد في أن وراء كل طالب ناجح في اليابان أماً نذرت حياتها لمساعدة ولدها على النجاح في المدرسة وكرّست معظم وقتها لهذا الغرض. إنها تدرس وتحضّر وتقف ساعات طويلة في الطابور تنتظر دورها لتسجّل ابنها للامتحان وتعود لتقف ساعات أخرى تنتظر ولدها لينهي امتحانه. تروح وتجيء كالمكوك تنقل أولادها من صف الى آخر ومن مدرسة الى أخرى. من صف الرياضة البدنية الى صف الايقاع والاوزان الشعرية الى صف تعليم الخط الى صفّ تعليم العزف على البيانو الى ما هنالك من صفوف. تساعدهم يومياً في فروضهم، تستعين بمدرسين خاصين، تعمل لتؤمّن رسم مدرسة الجوكو. ودور الأم هذا مكرّس ومقبول الى حد أن اسماً اشتق له هو "كيويكو ماما" أي الأم المعلمة.

الامومة، بالنسبة الى المرأة في اليابان، مهنة كثيرة المطالب ذات هيبة وجلال، تأتي فيها تربية الاولاد في المقام الأول. والمنافسة الضارية بعد الحرب في اليابان جعلتها اكثر صعوبة. ويعتقد البعض أن الفضل الكبير في المعجزة الاقتصادية التي حققتها اليابان يعود الى الأم اليابانية.

وفي تقرير حديث لوزارة التربية الامريكية بعنوان "التربية في اليابان اليوم" جاء "ان جزءاً كبيراً من إحساس الأم اليابانية بالانجاز الشخصي مرتبط بما يحققه أبناؤها. وتقويم المجتمع لنجاح المرأة يتوقف الى درجة كبيرة على مدى النجاح الذي يحرزه أبناؤها في المدرسة".

ميكو ماسو والدة ناوكو وتوشيهيرو تؤدي دور الأم المعلّمة على الوجه الاكمل. فهي ربة منزل في السادسة والاربعين من عمرها تحمل شهادة بكالوريوس في علم نمو الطفل وتطوره. وهي ماهرة جداً في تحريك أفراد عائلتها ودفعهم الى الامام. انها آخر من يأوي الى الفراش ليلا وأول من ينهض منه صباحاً. لم يحدث بعد أن تخلّفت عن حضور أي من الاجتماعات التي تُدعى اليها أمهات الطلاب، وهي على معرفة وثيقة بكل المعلمات

والمعلمين، ولديها معلومات وافية عنهم وعن نجاح طلابهم في السنوات السابقة. وهي التي اختارت المدارس التي يذهب اليها ولداها، كذلك مدارس الجوكو. وتقول: "من المؤسف أن أولادنا يجب أن يكرّسوا كل هذا الوقت للدرس، لكن ذلك ضروري."

امتحانات ضارية - يقول توشيهيرو إن والدته هي التي غرست في نفسه عادات العمل السليمـة، وهي التي "أجبرته" على الذهاب الى مدرسة الجوكو منذ الصف الابتدائي الخامس "وإن يكن ذلك حرمني اللعب بعد المدرسة،" وإنها هي التي حرصت على تأمين المال اللازم لدروسه الخاصة (نحو ١٢ ألف دولار في سنتين). وكمعظم الآباء في اليابان، يعود والد توشيهيرو من العمل الى البيت في ساعة متقدمة جداً، فلا يتعاطى أبداً نشاطات أولاده.

اليوم في صفّ الرياضيات الذي أتمته ناوكو في وقت سابق، وقفت إحدى المعلمات تشرح درساً لمجموعة من ٥٠ تلميذاً في الصف الابتدائي الخامس جلسوا الى طاولات طويلة يصغون الى الشرح السريع بانتباه شديد. الساعة تقارب الثامنة والنصف مساء وعدد كبير من هؤلاء الاولاد غادروا منازلهم بعد وجبة الفطور وما زالوا خارج البيت منذ الصباح. المديرة المساعدة في مدرسة الجوكو تقرّ بأن الأمر صعب: "لا يهم أن يكون هؤلاء الطلاب هنا بارادتهم أو رغماً منها. إذا كانوا فعلا يسعون الى النجاح في الامتحان فعليهم أن يأتوا."

أزواج مناسبون - الواقع ان ذلك الامتحان المرتقب هو الذي حدا سوميكو كاتو على اخضاع هيروشي الصغير لبرنامج تدريب مبكر على أمل أن ينجح في الانتساب الى مدرسة خاصة مرموقة. وثلاثة في المئة من أولاد طوكيو يذهبون الى مدارس خاصة، يشكل بعضها حلقة في نظام دراسي مترابط يبدأ في السنة الابتدائية الأولى وينتهي في السنة الجامعية الأخيرة. والولد الذي يسعده الحظ فيدخل إحدى هذه المدارس يمكنه عموماً أن ينهي دراسته كلها من دون ان يواجه هذه الامتحانات الضارية كسائر الاولاد.

مثل معظم الامهات في اليابان تمضي السيدة كاتو جلّ وقتها مع ابنها وابنتها البالغة من العمر ستة أشهر. الحاضنات ومجموعات اللعب ليست جزءاً من حياتها، فهي تصحب أولادها الى الحديقة العامة والى دروس السباحة والموسيقى حاملة طفلتها معظم الوقت في صرّة على ظهرها.

والرباط الجسدي بين الام وطفلها ليس سوى جزء صغير من الروابط الاجتماعية الاخرى التي تشدّ افراد العائلة بعضهم الى بعض في اعتماد والتزام متبادلين. وهذه العلاقة تمتد الى المدرسة والشركة والوطن، وهي الجوهر في المجتمع الياباني.

تقول احداهن: "معظم الامهات اللواتي لا ينجح أولادهن في المدرسة يشعرن بالخجل والحرج. علينا نحن تقع مسؤولية اتاحة المجال للطفل كي يحقق ما يُتوقع منه." ولقد وصفت إحدى النساء صديقة

لها بأنها "ماهرة جداً، فابنها كدّ ودرس ونجح في دخول مدرسة خاصة جيّدة." مثل هذه المواقف النفسية هي السبب الذي يجعل الامهات - المعلمات يفتخرن بتأدية أدوارهن وإن كنّ لا يعترفن بهذه الحقيقة. والهدف الذي يسعين اليه واضح جداً: النجاح في امتحان الدخول، تدبر مدرسة جيّدة، ثم تدبر جامعة جيدة، وفي النهاية العثور على وظيفة محترمة أو عمل جيّد. أما في ما يتعلق بالفتيات فيطرأ على الهدف بعض تحوير: المدارس الجيّدة توصل الى أزواج مناسبين.

السؤال هو: هل يسَعُ الطالب أن يدخل مدرسة أو جامعة مرموقة على أساس المعلومات التي يتلقاها في المدارس الرسميّة فقط؟ والجواب بلسان إحدى المعلمات في مدرسة رسميّة: "الاحتمال ضئيل، لأن الامتحانات قاسية جداً."

وهكذا، في وقت متقدم من بعد ظهر كل يوم وفي نهايات الاسبوع أيضاً، تكتظ أرصفة محطات المترو بطلاب من جميع الاعمار في طريقهم الى "مدارس الحشو"، وهناك ألوف منها. ففي كل زاوية من كل ضاحية ومدينة مدرسة من هذه أو اكثر. ونحو ١٦ في المئة من تلاميذ المدارس الابتدائية و٤٥ في المئة من طلاب المرحلتين المتوسطة والثانوية منتسبون الى مدارس جوكو.

أصوات انتقاد - يمكن القول ان المنافسة أعطت ثماراً جيدة. فأولاد اليابان يحصلون في الامتحانات الموحدة للعلوم والرياضيات على أعلى العلامات في العالم. وهم يبدأون دراسة الكيمياء في وقت أبكر ومعلوماتهم العامة في التاريخ والجغرافيا تجعلهم في عيون أقرانهم الامريكيين مثل موسوعات متنقلة. ٩٤ في المئة من الشباب في اليابان يتعلمون في المدارس الثانوية، وهي نسبة تبعث على الدهشة. و٩٥ في المئة من هؤلاء يتخرجون بمؤهلات تخولهم دخول ميدان العمل، في مقابل ٧٥ في المئة من الطلاب الامريكيين من الفئة نفسها. فقط على المستوى الجامعي يظهر تحوّل. ففي اليابان، ٢٩ في المئة من الطلاب الذين يتخرجون في المدارس الثانوية يتابعون الدراسة الجامعية مباشرة، في مقابل ٥٨ في المئة من الطلاب الامريكيين من الفئة نفسها. في مراحل الدراسات العليا يقصر التعليم في اليابان عنه في الولايات المتحدة.

واليوم يزداد عدد الآباء والمربّين اليابانيين المشككين في جدوى هذا النظام الضاغط. وهم يسجّلون اعتراضاتهم في شعارات من نوع "نم أربع ساعات تنجح، نم خمس ساعات تسقط." ويتحدثون عن طفولة مهدورة وأولاد محرومين اللعب وتلاميذ يزدردون المعلومات ولا هدف لهم إلا النجاح في الامتحان. يتحدثون عن طلاب يعرفون الاجابات عن ظهر قلب لكنهم عاجزون عن استنباط فكرة جديدة. يستشهدون بأمثلة عن طلاب قست قلوبهم وراحوا يشمتون بزملائهم الساقطين. ويلاحظون أيضاً، وبأسى، ازدياد العنف في المدارس وارتفاع نسبة الجنوح والانحراف بين التلاميذ.

وانضمّت بعض الامهات في اليابان

الى ركب المنتقدين، ربما لكونهن الشاهدات الناطقات على ما حلّ بأبنائهن من جراء ذلك النظام الخانق. وتقول احداهن عن ابنها انه "أصبح يعاني ألماً في الرأس لا يفارقه، وانتهى به الأمر الى أن راح يرفض الذهاب الى المدرسة."

ويبدو أن المعترضين على هذا النظام كسبوا حليفاً مهماً هو رئيس الوزراء ياسوهيرو ناكاسوني. فالحكومة التي يرئسها في صدد ايجاد طرق لتغيير النظام التربوي وتخفيف الضغط عن الطلاب.

ولكن على رغم اشتداد حماسة اليابانيين لبرنامج تربوي أكثر مرونة، فان الضغط الذي خلفه النجاح الوطني الذي حققته اليابان منذ الحرب العالمية الثانية يبقى كبيراً جداً. وربما توصّل اليابانيون، متى بدأوا يشعرون بالاستقرار والبحبوحة ويختارون اتجاهات جديدة، الى تخفيف الضغط عن الامهات والاولاد من دون أن يضحوا بالجودة. لكن التقليديين ما زالوا يعبّرون عن ايمانهم بأن "كيويكو ماما" لن تختفي قريباً.

كارول سيمونس

النوم على الامجاد

في عملي كصحافي ترد علي هدايا مختلفة وتذكارات ورسائل عاطفية وكتب تقدير وصور مع المشاهير، فأستمتع بها لبعض الوقت وأفكر كم يطيب لي أن تكون لي هذه المكانة المرموقة.

بعد ذلك أرمي الهدايا جانباً، لا لأني لا أقدرها بل لأني أحرص عليها. أما ما يدفعني الى نبذها فهو أن صورة تتراءى لي أرى فيها نفسي رجلا هرماً متهدماً عاجزاً لا يملك سوى كتب وأوراق قديمة صفراء وجوائز وشهادات تقدير وتذكارات عفاها الزمن.

وما أخشاه هو أن أصبح أسير ذكرياتي أستعيدها وأتمنى لو أمكنني تكرارها، أو أن أنام على أمجادي الغابرة فتخبو فيَّ شعلة العطاء. أريد نقيض ذلك، أن أستمر في العمل وأجاهد كي أحقق المزيد وأضيفه الى ما حققته سابقاً مهما تقدمت بي الايام.

بوب غرين

الفيزياء وحاصل الذكاء

لدى رجوعه من استوكهولم بعد تسلمه جائزة نوبل، توقف العالم الفيزيائي ريتشارد فاينمان في نيويورك ليطّلع على علاماته حين كان طالباً في المدرسة الثانوية. قال: "ان علاماتي لم تكن عالية. وكان حاصل ذكائي ١٢٤ أي فوق المعدل بقليل."

وأفادت زوجته: "كان ريتشارد في منتهى السرور خلال تلك الزيارة. وهو قال إن نيل جائزة نوبل لأمر قليل الاهمية، ولكن أن ينالها المرء وحاصل ذكائه فهذا انجاز حقاً."

ن.ف.

تدنت الحرارة
إلى ٤٠ درجة تحت الصفر
وجاهد المتزلجون الاربعة
للبقاء أحياء داخل الكوخ الثلجي

مأساة فوق الجليد

بدا الطقس جميلا عندما انطلق تشارلي واليزابيت باسار وميراي وإيف ديسديرو للتزلج بعد ظهر السبت في ٨ فبراير (شباط) ١٩٨٦. ركبوا سيارتيهم وغادروا غرينوبل (فرنسا) في الاولى بعد الظهر وقطعوا ٤٠ كيلومتراً الى منتجع التزلج "فيلار - كوت ٢٠٠٠."

بعد بضعة انحدارات اقترحت اليزابيت الصعود الى قمة "غراند موشرول" للتمتع بأشعة الشمس الساطعة. فأمامهم متسع من الوقت للعودة الى البيت حيث كانت سيلفي (١٦ عاماً) ابنة باسار تهتم بأختيها الصغيرتين كاتي وماغالي وولدي خالتها فانيسا واميل ديسديرو.

لدى وصول الأربعة الى قمة الجبل غمر الضباب المكان. ولمدة ساعة حاولوا العثور على الطريق في الجدار الابيض الذي بدد الاصوات والمسافات. ضلّوا

Illustration: Philippe Daure

الطريق ووصلوا الى منطقة مجهولة. قالت اليزابيت: "من الأفضل الرجوع الى مصعد التزلج قبل حلول الظلام."

تقدم تشارلي المجموعة. لكن الريح عنفت وازداد الضباب كثافة واختفت آثار اقدامهم. صرخ تشارلي: "نحن تائهون!"

اقترح إيف بناء كوخ ثلجي شبيه بأكواخ الاسكيمو. وأدركت اليزابيت أن ذلك أفضل ما يمكن فعله. فهي سمعت في التلفزيون والراديو نصائح اختصاصي بالانقاذ: "حين تضيعون في الجبال التصقوا بالأرض." وكانت تعرف أن الحرارة تحت الثلج تبقى ثابتة بين الصفر وخمس درجات تحت الصفر. إنها الرابعة والنصف بعد الظهر، ولا بد أن الحرارة انخفضت الى ١٥ درجة تحت الصفر.

جعل إيف وتشارلي يسألان اليزابيت عن عملية انقاذ في الجبل سبق أن شاهدتها في برنامج تلفزيوني. قالا بلطف: "حاولي أن تتذكري: كيف بنى التائهون كوخهم الثلجي؟" فوصفت لهما الاجراءات المفصلة.

في سباق مع الظلام والبرد اللاذع استخدم إيف وتشارلي زلاجاتهما لقص قطع جليدية كبيرة من جانب هضبة لبناء الكوخ. ثم رتّبها الاربعة في شكل دائري على الارض وبنوا جداراً بعلو متر. ألقى ايف زلاجتيه على الجدران وغطاهما بكتل جليد مشكلا سقف الكوخ. بعد ذلك حفر الجماعة نفقاً صغيراً كمدخل الى الكوخ وأعدوا كتلة جليدية أخيرة لاقفاله واحتشدوا داخله مرهقين.

فكرت اليزابيت: يجب أن نحافظ على حياتنا. بدأت تمازح شقيقتها فقالت بإشراق: "لمَ لا نذهب الى المقهى القريب ونتصل بالأولاد لنخبرهم أننا سنمضي الليل في بيتنا الريفي؟" واستغرقتا في الضحك، ثم اغرورقت عينا ميراي إذ تذكرت طفلها وهو في شهره الرابع. قالت اليزابيت: "لا تقلقي، سيلفي تجيد الاعتناء بالاطفال، واني متأكدة من أنها نبّهت الجيران الى غيابنا."

حك الظهور — منتصف الليل رن جرس الهاتف في منزل جان بول شيافريني شقيق ميراي واليزابيت. كان المتكلم جار عائلة باسار الذي عاد وزوجته الى منزلهما ليلا فطرقت سيلفي بابهما وهي قلقة جداً. اتصلوا بالشرطة والمستشفيات في غرينوبل فلم يبلّغوا أي حادث.

قال جان بول في نفسه: لا ترتعب يا ولد. إهدأ. واستنتج أن شقيقتيه وزوجيهما، لجأوا الى أقرب منتجع: إما "لا شارتروز" واما "فيلار - كوت ٢٠٠٠." إتصل بشقيقه باتريك ثم لبس ثياباً دافئة وانطلق في الظلام.

قرابة الاولى والنصف ليلا كان الرجلان في الموقف النائي الفسيح في "فيلار - كوت ٢٠٠٠." هبت ريح ثلجية من الوهد فيما تفحص جان بول لوحة القيادة لسيارة "بيجو" بيضاء. إنه مصيب، هذه سيارة اليزابيت وتشارلي. أثار منظر الجبل المريع المحجوب في الظلمة قلق جان بول وشقيقه. تمتم الاول: "يا إلهي! انهم عالقون في الجبل!"

في أي حال، ما من حيلة سوى إعلام

الشرطة لارسال بعثة انقاذ مع الفجر. وفي الثالثة صباحاً توجه الاخوان الى محطة الشرطة في فيلار ديلان لايقاظ الضابط المسؤول.

في الكوخ الثلجي رنت الساعة المنبهة من جديد ساخطة ومشجعة. إنها ساعة إيف.

طوال ساعات التصق الاربعة بعضهم ببعض وسط الصقيع. في بداية الامر تبادلوا النكات متخيلين مشهد وصول بعثة الانقاذ في الصباح: المروحية مثلما رأوها في التلفزيون، ثم معانقة الاولاد وتحية الاصدقاء المنتظرين في أسفل المنحدر.

ومع انقضاء الوقت فقدوا الحس في أجسادهم بفعل البرد. قال تشارلي: "علينا أن نحك بعضنا بعضاً." فجلسوا على قفازاتهم فوق الثلج وحكّوا ظهورهم.

لم يتناولوا أي طعام أو شراب منذ بعد الظهر. عانى تشارلي تشنجاً في معدته ومصّ إيف بعض الثلج حالماً بشراب ساخن. الساعة الخامسة... فالسادسة. على رغم الارهاق والألم كافح الاربعة للبقاء مستيقظين الى الشروق.

"لا أريد أن أموت" – في الثامنة صباحاً وصل الرقيب بيار كاري الى مركز عمله في "شركة الالب للتأمين" في غرينوبل. ألقى نظرة سريعة على ميزان الحرارة. عشر درجات تحت الصفر. فكر: "بحق السماء، كم البرد قارس في الجبال!" وعندما بلغه في العاشرة الا ربعاً اخفاق البحث الذي أجراه رجال شرطة فيلار ديلان للعثور على أربعة متزلجين فُقدوا منذ البارحة، أدرك ضرورة التحرك بسرعة.

اتصل بالقاعدة الجوية في لو فرسو طالباً طوافة إنقاذ، واستنفر دليلين من فريقه. ثم أنعم النظر الى خريطة منطقة فيلار. لم يبتعد المتزلجون كثيراً، فالجدران الصخرية تعوق تقدمهم يمنة ويسرة. قال لدليليه باتريك ايغو وميشال بولان: "لا بد أنهم هناك على مقربة من منحدر فوج، وإلّا فهم على تقاطع كورنكون."

حطّت طوافة حمراء في المهبط بقيادة الطيار المدرب جان بيار روكا الذي خدم ٢٠ عاماً في الجيش، يرافقه الميكانيكي المتمرس سيريل تنتلييه. ركبها ايغو وبولان بعجلة وانطلقت نحو فيلار ديلان.

عندما أشرقت السماء تبادل المتزلجون النظرات. فخلال الليل تحولت بشرتهم رمادية مخيفة، توحي الموت. لم يتلفظوا بكلمة واحدة.

وكان تشارلي تحدث في وقت سابق عن السعي الى النجدة، ولكن عليه الآن مواجهة الواقع. فالطقس بارد جداً والتزلج مستحيل، خصوصاً بعد تجمد القفازات الجلدية أثناء الليل، فأصبحت صلبة كالطين ولا يمكن ارتداؤها.

فجأة اعتدلت اليزابيت في جلستها وصاحت: "أسمع نباح كلاب." اندفع تشارلي الى الخارج وتبعته ميراي بتثاقل. لم يريا شيئاً. جثمت ميراي في النفق ونظرت الى تشارلي ثم صرخت: "أنفك يتجمد!" خلال ثوانٍ أصبح أنفه أبيض وخدراً تماماً. تململ داخل الكوخ تاركاً إيف يغلق المدخل. وعندما أمسك

إيف الثلج شعر بشظايا جليدية تنتشر بين أصابعه ثم فقد الحس بها تماماً. وحين حاول تدفئة يديه تخيل صعوبة الحياة بلا أصابع.

منذ التاسعة صباحاً وحال الطقس تزداد سوءاً. الريح تعصف بشدة حول الكوخ. جهد الاربعة في التنصت الى أي صوت وسط ثورة العاصفة. في الحادية عشرة كانوا على ثقة بما يسمعون. ذاك صوت طوافة! هتفت اليزابيت: "إنهم يبحثون عنا!" خرج تشارلي من الكوخ ولحقت به اليزابيت وراحا يصيحان ويلوّحان بشدة للبقعة الحمراء البعيدة في الضباب.

"إنهم يتجهون نحونا!"

- لا، إنهم يبتعدون!

نظرت اليزابيت الى تشارلي فرأت الخيبة مرتسمة على محياه: "لا تقلقي، لا بـد من أنهم يمشطـون المنطقـة، سيعودون."

بعد دخولهما الكوخ حاول تشارلي طمأنة ميراي وإيف: "انهم يبحثون عنا." لكن القلق بقي يساوره.

لم يتفوه أحد بكلمة الا ميراي التي كانت تلعن الريح. لقد روّعها الضجيج فأخفت وجهها في معطف إيف وأجهشت في البكاء: "لا أريد تمضية ليلة أخرى هنا. لا أريد أن أموت."

نظرات امتنان - تمتم روكا للدليلين: "يا للطقس اللعين! اني عاجز عن الرؤية في هذا الضباب الكثيف. سأنزلكما في بالكون دو فيلار، لعل حظّكما أوفر هناك."

توجه ايغو وبولان من بالكون دو فيلار الى القمة حاملين زلاجاتهما على أكتافهما. كان البرد لاذعاً مثل ضرب السياط. تجمدت قبعة ايغو وغطت القطرات المتجلدة شاربيه، ثم سمع قرقعة في الجهاز اللاسلكي: "ايغو، هنا روكا. اني أنفذ دورة أخيرة فوق منحدر فوج."

- نحن نتقدم في الاتجاه نفسه.

لدى وصول روكا فوق منحدر فوج بدأ يستكشف القطاع على مهل. فجأة انفتحت ثغرة صغيرة بين الغيوم اندفع اليها روكا. ولمح ذراعين ملوحتين، فصرخ في تنتلييه الذي كان ينظر من الجهة الاخرى: "هناك! إنهم هناك، تحت!"

داخل الكوخ كان المحتجزون الاربعة متمددين ذاهلين. بين اليقظة والنوم خيّل الى اليزابيت أنها تسمع صوت طوافة من جديد. تمتمت بضعف: "لقد عاد."

نهض تشارلي وايف، ورفع تشارلي زلاجة في الخارج ملوحاً. تحولت الطوافة نحوهما ثم استدارت. قال إيف: "غير معقول. لم يرنا!"

إلّا أن الطائرة عادت. وصاحت ميراي التي جرّت نفسها الى المدخل: "إنه يرانا." زحفت الى الداخل وارتمت في ذراعي شقيقتها والدموع تترقرق على خديها.

تأمل روكا الوضع. لقد علق المتزلجون في شبه حفرة. هناك بقعة صغيرة من النور، فتحة بين الغيوم سينزلق خلالها بطوافته. إذا انغلقت الفتحة فسيعلق الجميع الى أن يتحسن الطقس. ولكن إن لم يغامر الآن، فالله وحده يعلم متى يصل فريق الانقاذ الى تلك الحفرة.

غاص روكا بطوافته وميز شخصين يلوحان له بقوة. ولكن أين سيهبط؟ ارتجت الطوافة الحائمة تحت تأثير الرياح التي عصفت بسرعة ٨٠ كيلومتراً في الساعة مما شكل خطراً عليها.

استمر في مناوراته على علو مترين ثم صرخ في تنتلييه: "اقفز وارشدني الى نقطة مناسبة للهبوط. لا أستطيع التأخر أكثر." وثب الميكانيكي فوق الثلوج. بدت الارض منبسطة. خفض روكا العجلات وهبط بحذر ثم هتف: "هيا، علينا التحرك بسرعة."

في هذه الاثناء استجمع تشارلي قواه وركض نحو الكوخ: "أخرجا بسرعة!" خرجت ميراي واليزابيت من الملجأ متثاقلتين، لكن التعب غلبهما فسقطتا على الثلج. إندفع تنتلييه نحوهما. وبعد خمس دقائق كان المتزلجون الاربعة على متن الطوافة التي ارتفعت فوق الجبل الابيض واقتحمت الفتحة الضيقة بين الغيوم.

حين حطت الطوافة في فيلار ديلان تمام الثانية والربع بعد الظهر التفت روكا وتنتلييه الى الركاب. لم يتفوه أي منهم بكلمة، لكن نظراتهم حملت أعمق امتنان.

اندهش الطبيب المحلي بعد فحص الاربعة في عيادته في فيلار ديلان، لحالهم الصحية الممتازة. اجتازت ميراي وايف المحنة الخطرة بسلامة. وما زالا يحبان الجبال، إنما بحذر وتحفظ شديدين.

اصيبت قدم تشارلي اليمنى وأصابع يديه بقضمة صقيع، وخضع لشهر من العلاج قبل أن يعود اليه الحس الطبيعي. ومع ذلك لم يكترث لمعاناته، بل غمرته السعادة مع زوجته اليزابيت لعودتهما الى بناتهما.

وتُقر اليزابيت بأنها باتت ترى الناس بنظرة مختلفة. فصراعها مع الموت منحها تقويماً جديداً للحياة.

جيل أبو

بالشكر تدوم النعم

تلقى مصرف من أحد زبائنه رسالة يطلب قرضاً صغيراً قصير الامد. وهو أبهج المسؤول بجملته الاخيرة: "اذا تفضلتم بقبول طلبي، فسأكون مديناً لكم بالشكر الى الابد."

ا.ا.

انتخاب

حللنا مشكلة التغيب عن الاجتماع السنوي لنادينا بتعليق هذه الملاحظة: "سيجتمع أعضاء النادي لانتخاب رؤساء اللجان. الفوز لا يتطلب حضوراً."

ك.ب.

«الحبّ القاسي»

دَواء من مَاليزيَا لمدمني المخدّرات

حيازة المخدرات في هذا البلد الآسيوي تعاقب بالسجن أو بالشنق فهل تجدي هذه التدابير الصارمة؟

ترحب لوحة صارخة بالقادمين الى مطار "سوبانغ" الدولي في كوالالمبور. ويبدو فيها حبل مشنقة رمادي ثخين وقربه كتابة بالانكليزية: "حذار! الموت لمهربي المخدرات، تطبيقاً للقانون الماليزي." وفي أسفل اللوحة، بطباعة أصغر، تحذير نهائي: "إعرف ماذا تحمل."

تهديد الزوار بالمشنقة هو ترحيب غير عادي بهم. الا أن هذا البلد الاستوائي هو مكان غير عادي ايضاً. هنا يعتمد ما يزيد على ٩٣ ألف مواطن من أصل ١٥،٧ مليوناً على الهيروبين، وفي ماليزيا مدمنون للمخدرات أكثر من عدد المدمنين في الولايات المتحدة.

لا تنتج ماليزيا مخدرات. لكن قربها من المنطقة التي ينمو فيها الخشخاش في جنوب شرق آسيا والمعروفة بـ"المثلث الذهبي،" وهي تتضمن أجزاء من بورما ولاوس وتايلند يجعلها منطقة حساسة. وتعبر شحنات كبيرة من المخدرات حدود ماليزيا في طريقها الى أوروبا وأوستراليا وأمريكا.

تتكون غالبية المدمنين من الذكور الذين تراوح أعمارهم بين ١٨ و٣٠ عاماً، وهذا ما حمل الحكومة الماليزية على اعتبار مشكلة المخدرات تهديداً رئيساً لسلامة الأمة. يقول ريس يتيم وزير الخارجية السابق والرئيس الأسبق لجمعية "بيمادام" الوطنية لمنع تعاطي المخدرات: "تعتبر الحكومة المخدرات بمثابة تهديد أمني وطني."

لا مثيل في العالم لحرب ماليزيا الشرسة ضد المخدرات. وهي بدأت في فبراير (شباط) ١٩٨٣ باصدار قانون صارم ينص على اعدام كل مهرب مخدرات، أي كل شخص يقبض عليه لحيازته ١٥ غراماً من الهيروبين أو المورفين، أو ٢٠٠ غرام من الماريوانا أو الحشيش، أو ١٠٠٠ غرام من الأفيون الخام أو المهيأ للاستعمال. وكل شخص يقبض عليه لحيازته كميات أقل من تلك

Condensed from New York Times Magazine (March 22, '87),
© 1987 by The New York Times Co., New York, N.Y.

التي تجعل منه مهرباً، يسجن مدة تراوح بين بضعة أشهر ومدى الحياة. ان ٣٦ في المئة من نزلاء السجون يقضون أحكاماً لارتكابهم جنحاً مرتبطة بالمخدرات.

زادت الحكومة تدابيرها الاحترازية ومنعت استغلال حدودها وأطلقت حملة مكثفة لتوعية الشعب. ويكاد لا ينقضي يوم من دون أن تطالعنا الصحف بأخبار الحملة المضادة للمخدرات. أصبحت الاعلانات المناهضة للمخدرات مألوفة على شاشة التلفاز. يقول موسى هيثم الذي كان نائب رئيس الحكومة الماليزية ورئيس اللجنة الحكومية لمكافحة المخدرات: "لا يمكن أحداً أن يحل ضيفاً على ماليزيا ويظهر جهله، لقد نُبّه الجميع وحُذّروا."

اعادة التأهيل - لحرب ماليزيا ضد المخدرات هدفان أساسيان: وقف العرض والتخلص من الطلب. وعقوبة الاعدام سلاح رئيسي في الحملة، ولها دعم واسع ضمن البلاد. وغالبية السكان تشاطر الحكومة رأيها في أن الموت هو عقوبة محقة ومناسبة لجريمة نكراء. يقول موسى: "رأيتُ، يا أصدقائي، أطفالا على شفير الموت. وأنا أتهم أولئك الباعة المتجولين والمهربين بجريمة القتل هذه. نحن نؤيد عقوبة اعدام القاتل."

عام ١٩٨٦ لفتت أعمال القضاء الماليزي الانتباه العالمي عندما كان مواطنان أوستراليان، أحدهما بريطاني المولد، على وشك الاعدام لمحاولتهما تهريب ١٧٩ غراماً من الهيروويين خارج البلاد. وعلى رغم الجهود التي بُذلت لانقاذهما فقد تم شنق الرجلين. ويصرّ موسى: "يجب أن يعاقب الناس ويصدقوا ما نعنيه. لكن الامر سيطول قليلا قبل أن يرتدع كل شخص."

إن برنامج معالجة المدمنين واعادة تأهيلهم هو جزء رئيسي آخر من حرب ماليزيا ضد المخدرات. ففي القانون الماليزي يعتبر كل شخص مدمناً اذا ما ثبت اعتماده على المخدرات خلال كشف طبي يجرى له وإن لم تكن في حيازته أي مخدرات. ومن حق رجال الشرطة والموظفين في مركز اعادة التأهيل المخولين توقيف أي شخص يشتبه به، طلب اجراء مثل هذا الفحص.

واعادة التأهيل اجبارية للمدمنين: سنتان في مؤسسة استشفائية أو في اشراف اختصاصيين رسميين باعادة التأهيل. وتدير الحكومة حالياً تسعة مراكز لايواء ٢٦٠٠ مدمن ومعالجتهم. وهي في صدد بناء خمسة مراكز أخرى لـ ٣٠٠ مدمن.

خلال الاسبوعين الاولين من البرنامج يوضع المدمن في غرفة التخلص من السموم باشراف طبيب. ويعتبر المدمن في نهاية هذه المدة متحرراً من المخدرات وقابلا لاعادة التأهيل. يطلق س. غانسان، مدير مراكز المعالجة واعادة التأهيل، على هذه الخطوة تسمية "الحب القاسي." ويرى من خلال خبرته أن هذا هو ما يحتاج اليه المدمن السابق: "بعد عملية ازالة السموم لا يعود المرء مريضاً، بل هو في طور النقاهة وقادر على العمل. يجب أن نحضه لنرى ماذا يسعه حقاً أن يفعل."

الهدف الاول من التأهيل هو تمكين المدمن السابق من استعادة لياقته البدنية. يتجمع نزلاء المركز في ساحة مرصوفة بالحجار حيث يتلقون تدريباً شبيهاً بالتدريب العسكري لعدة ساعات من النهار.

والهدف المطلق لمراكز التأهيل هو تحويل متعاطي المخدرات مواطنين منتجين. يتعلم النزلاء تربية الدواجن وزراعة الخضر وتربية السمك وصنع المفروشات ولحم الانابيب واصلاح السيارات وقص الشعر وصف القرميد وتشييد الابنية وتركيب الادوات الصحية والخياطة والطبخ وسوى ذلك. ويحضرون جلسات استشارية غير مرة في الشهر.

منبوذون في المجتمع - هل لحملة ماليزيا ضد المخدرات فاعلية ملموسة؟

يشير موسى الى أن عقوبة الاعدام تردع تجار المخدرات. وتفيد أرقام حكومية أن عدد الموقوفين الاجانب انخفض من ١٤٣ في العام ١٩٨٤ الى ٨٩ في العام ١٩٨٥، وانخفضت أيضاً كميات المخدرات الخطيرة التي ضبطت. ويشير رجال الشرطة الى نقص في الهيروبيين المبيع في الشوارع. ومع ذلك يدّعي النقاد أن لا دلائل وافية على كسب الحرب ضد المخدرات. قد تستمر الحكومة في اتخاذ تدابير أشد صرامة لمواجهة المشكلة، لكن تهريب المخدرات لم يتوقف. ومعظم الموقوفين هم من الماليزيين الفقراء الذين أغروا بمال وافر لتهريب كميات صغيرة عبر الحدود التايلندية - الماليزية.

يستمر تهريب المخدرات مع أن ماليزيا أقامت سوراً أمنياً من أسلاك شائكة مزدوجة يرتفع ثلاثة أمتار ونصف متر على مسافة ٥٢ كيلومتراً من حدودها مع تايلند. ويرشو ناقلو المخدرات حراس الحدود أو يثقبون السور ببساطة.

وما زالت عملية القبض على منظمي شبكات التهريب ومموليها صعبة، لذا اشترعت ماليزيا عام ١٩٨٥ قانون المخدرات الخطرة نتيجة عجزها عن توقيف هؤلاء الاشخاص الرئيسيين. ويجيز هذا القانون للحكومة حتى السنة ١٩٩٠ أن توقف رهن التحقيق ومن دون محاكمة ولمدة سنتين متلاحقتين، أي شخص تملك الشرطة دليلا قاطعاً على تورطه في نشاطات لتهريب المخدرات. وقد أوقف نحو ٣٥٠ شخصاً تطبيقاً لهذا القانون.

يحمل النقاد على هذا القانون بحجة أنه يمس الحقوق المصونة في دستور البلاد. ويتساهل المؤيدون في هذه النقطة ويرضون عنها. ويقول متحدث باسم "بيمادام": "علينا أن نضحي بقليل من الديموقراطية لننقذ مقداراً أكبر منها."

لعل برنامج اعادة التأهيل هو الجزء الاقل نجاحاً في الحملة ضد المخدرات. فقد عاود سبعون في المئة من المدمنين السابقين عاداتهم. والاجراءات الفضلى البديلة هي موضوع مناقشة جديدة. يقول غانسان: "لا أحد يفهم ما الذي يفيد." ومع ذلك يتفق معظم الناس على أن العناية اللاحقة ضرورية: اصلاح عادات المدمنين وتعديل نظرة المجتمع اليهم.

ويوضح أحد المدمنين السابقين ان

"المعركة ضد المخدرات لا تحدث هنا داخل المركز. انها تبدأ لحظة خروجي من تلك البوابة." فاعادة تأهيل أولئك المدمنين هي في النهاية اختبار لقوة ارادتهم. يقول مدمن سابق آخر: "يمكنهم اجبارنا على تقوية أجسادنا، ولكن ليس في استطاعتهم تقوية ذواتنا ونفسياتنا، فهذه عائدة الينا."

وما يعقّد مشكلة اعادة اعتبار المؤهلين أن المجتمع الماليزي لا يزال ينبذ المدمنين الذين اخضعوا لاعادة التأهيل. ويلاحظ غانسان انه "اذا ما كتب مدمن سابق في طلب الاستخدام أنه كان يعالج في مركز للتأهيل، ضعفت فرص توظيفه. وغالباً ما يكون رب عمله السابق هو الوحيد الذي يقبله."

تضافر الجهود - بعدما اتضحت حدود المنع واعادة التأهيل، أعلنت الحكومة أفضلية جديدة هي الوقاية. وطرحت على الجمهور أساليب مخيفة لترويج فكرة الوقاية عبر ابراز المواصفات البغيضة للمخدرات وادمانها.

يبدأ العمل الوقائي الثقافي في المدارس ليُكمل ببرامج للاهل والمجتمع.

وتشير دراسات الى أن نحو ٧٥ في المئة من الشباب تحولوا الى المخدرات بسبب ضغط الاهل او المشاكل العاطفية او العائلية او بدافع الفضول. عام ١٩٨٥ تضامنت الدكتورة سيتي هاسماه زوجة رئيس الحكومة مع زوجات الوزراء الآخرين ليؤلفن حركة شعبية منتشرة في أرجاء البلاد وتركز على الاهتمام بالعائلة.

تقول راجا نورا أشيكين إحدى قائدات الحركة: "كان المجتمع الآسيوي مترابطاً، وكانت العائلات الكبيرة تحفظ الاخلاق والتقاليد. ولكن برحيل مزيد من الشبان بعيداً عن أهاليهم خفت الاتصالات في ما بينهم. ونريد الآن أن يدرك الاهل أن عرى اللحمة بينهم وبين أولادهم يجب أن تبقى، لأن انشطارها هو السبب المتأصل في تعاطي المخدرات".

يبدو الاتجاه ناجحا في تخفيف حدة الطلب. عام ١٩٨٦ كان عدد المدمنين الجدد نحو نصف العدد الذي كان عام ١٩٨٣. ولكن يدرك المسؤولون أن المخدرات اذا ظلت تعبر ماليزيا فستبقى اغراء تتعذر على معظم الشباب الماليزيين مقاومته. لذلك، يرى وزير الخارجية السابق ريس يتيم، أن الرسالة التي تريد ماليزيا ايصالها الى المجتمع الدولي هي "وجوب تضافر الجهود وبذل المساعي المشتركة لمحاربة المخدرات."

ويضيف موسى: "هذه مشكلة دولية، لذا فالخطوة الدولية ضرورة لا بد منها. نحن لن ننجح مهما أبدينا من قسوة وفاعلية وحزم. لا نستطيع العمل وحدنا. ان التحدي الذي أمامنا هو إطلاق صوت دولي موحد يصرخ في وجه المخدرات، وقيام ارادة سياسية جماعية للقضاء على هذا الخطر المحدق."

مايكل شفارتز

قال عالم لزميله: "أنا لا أخاف المجهول، ما أعرفه هو ما يرعبني."

ب.غ.

لولا الحماسة...

مفتاح النجاح حياة نعيشها بحماسة. هنا خمس خطوات تهدينا الى هذه الطريق

قبل سنوات تسلمت بطاقة بريدية من صديق وفيها: "اني اتزلج بحماسة." فتساءلت ماذا عنى بكلامه. ذلك لاني حين أتزلج فانما أتزلج بخوف. ربما كان يعني أنه يتزلج بمهارة ومرح وسلام وثقة.

على رغم أن لا أمل لي في أن أمارس التزلج على هذا النحو، فاني أحلم بالعيش بحماسة. وأعتقد أن البشر الذين عاشوا حياتهم بنجاح على مر العصور تمكنوا من هذه الأسرار الخمسة:

١. لتكن لك ذات تحترمها. هذا يعني أن يكون لك احساس عميق بالمسؤولية حيال أفكارك وأعمالك. أن تعني ما تقول وتكون مخلصاً لنفسك وعائلتك وعملك. أن تؤمن بما تفعله وأن تعمل بجهد. أن تحدد مقاييسك الاخلاقية ولا تقارن نفسك بالآخرين، لان المسألة ليست أن تكون أفضل من سواك، فالاحترام والاستقامة يتطلبان أن تكون أفضل مما ظننت أنك ستكون.

كان رئيس الوزراء البريطاني الاسبق ونستون تشرشل مثالاً للاستقامة والاحترام حتى في وجه المعارضة. خلال سنته الاخيرة في الرئاسة حضر احتفالاً رسمياً. وفيما هو جالس سمع رجلين خلفه يتهامسان:

"ها هو ونستون تشرشل."

– يقولون انه بات خرفاً.

"ويقولون أيضاً انه يجب أن يتنحى ويترك ادارة شؤون البلاد لرجل أكثر حيوية وكفاية."

حين انتهى الاحتفال استدار تشرشل الى الرجلين وخاطبهما: "سيديّ، يقال انه أطرش أيضاً."

لقد أدرك تشرشل أن احدى الطرق الى ذات تحترمها هي أن تختار نهجاً عملياً مبنياً على الحق لا الانفعال، وألا تزيح عنه حين تُنتقد.

٢. انخرط مع الآخرين. ثق بالآخرين واهتم بتغذية أحلامهم. قال أحد الحكماء: "اذا أردت سنة واحدة من الازدهار، فابذر حبوباً. أما اذا أردت عشر سنين ازدهاراً، فربِّ رجالاً ونساء."

يمكنك أن تغني حياة أفراد عائلتك

© 1986 by Barbara Hatcher. Condensed from Vital Speeches of the Day (March 1, '87), Mt. Pleasant, S.C.

وأصدقائك وزملائك باظهار مشاعر العرفان والتشجيع وبتوظيف وقتك وطاقتك في طموحاتهم.

اذا أعطيت الشجرة حداً أدنى من الغذاء، فستعيش لكنها لن تنمو. أما اذا منحتها من الغذاء أكثر مما تحتاج اليه للحياة، فسوف تعيش وتنمو وتثمر.

٣. حوِّل الخيبات قوة. اكتشَفَ أفراد يعيشون حياة حماسية أن التجارب الشخصية تجعلهم أكثر إحساساً ورقة وحباً، فيما تعلمهم الصبر على المشقات.

لقد تعلموا أن الانجازات التي تستحق الذكر مشوبة بعرق الجبين وندوب الخيبات.

تزخر صفحات التاريخ بقصص بطولة لرجال ونساء انتصروا على الضعف والمحن ليبرهنوا عن نفوس مظفرة.

٤. تمتع بوقائع الحياة، لا بمكافآتها فقط. نحن نعيش في مجتمع محدد الاهداف يريد أن تُحل مشاكله في الحال. نحن نريد وجبة سريعة نأكلها في ثلاث دقائق، ومصبغة تنظف ثيابنا في ساعة، ونجاحاً فورياً.

ولكن لنعيش بحماسة يجب أن نحيا يوماً فيوماً، متذوقين الانتصارات الصغيرة ومدركين أن الحياة رحلة لا تنتهي من الاكتشافات الذاتية والرضا الذاتي. ومن ضمن ما يعنيه ذلك أن يكون لك الوقت لتعانق أولادك وتقبل زوجتك وتدع ذلك السائق الآخر يتجاوزك.

كتب المؤلف دون هيرولد: "كنت واحداً من أولئك الناس الذين لا يذهبون الى مكان من دون أن يأخذوا معهم ميزان حرارة وكيس ماء ساخن ومعطفاً واقياً من المطر ومظلة هبوط. ولكن لو قيض لي أن أعيش حياتي ثانية لمشيت حافي القدمين في الصباح الباكر من كل يوم ربيعي، ولقدت سيارتي بفرح أكبر وخاطرت أكثر وأكلت مثلجات."

٥. إنخرط في أمر أكبر منك. لا أعتقد أنك ستكون سعيداً اذا عشت حياة تقتصر على نفسك. إختر قضية أكبر منك، واعمل لها بروح تفوُّق. فسوف تصبح جزءاً منك فيما أنت تناضل لتحقيق أهدافك. وليكن مقياس النجاح لديك ليس ما حققته بل ما كان في مقدورك أن تحققه.

بربارة هاتشر

سيرة الجيران

كنا نعيش في بلدة صغيرة، فنستعير ونعير شأن جميع الجيران. وأحسن زوجي استعارة الاشياء أكثر من اعارتها. قال له أحد الجيران يوماً: "هلا وضعت منشاري في قبوك يا صلاح؟"

فسأله زوجي: "لماذا؟"

فأجاب الجار: "حسناً، أفضل جمع أدواتي في مكان واحد."

ل.ب.

أفادت السلطات
أن المياه سليمة.
لكن المُزارع عرف أن المياه
الملوّثة هي سبب الكارثة.
وكفاحه يبرز معضلة يجدر الاعتبار
بها في أنحاء العالم

عندما تتحوّل المحميَّة مَصرِفًا للمياه المسمُومَة

ذات صباح في أواخر ١٩٨١ شربت خمس عشرة بقرة يملكها جيم كلوس من مياه الري في مزرعته في وادي يواكين في كاليفورنيا. وبعد قليل سقطت البقرات نافقة الواحدة تلو الاخرى. وعبقت في المزرعة رائحة كريهة بدا لجيم أنها آتية من "المحمية الوطنية للحياة البرية" في كسترسون المجاورة.

وعلى مر الاشهر اختفت الاسماك من الجداول والضفادع من البرك والارانب من الحقول ووقعت الطيور نافقة. لقد رأى البيئة كلها تنحل وتحتضر أمام عينيه.

كانت حياة جيم وزوجته كارين مجسدة في أولادهما الثلاثة وناديهما لصيد البط ومزرعتهما التي تبلغ مساحتها ٥،٦ ملايين متر مربع. كان كلاهما حائزاً درجة

Illustration: James E. Dyekman

دكتوراه، جيم في علم اقتصاد استخدام الارض وكارين في علم النفس. وحاولا تحذير الناس من الخطر الداهم، لكن أحداً لم يكترث لهما. أبى الجميع أن يصدقوا أن محمية الطيور المهاجرة التي تبلغ مساحتها ٢٤ مليون متر مربع، هي في طريق الفناء.

ولدى التعمق في التحقيق ارتاب جيم في سلامة مياه الري التي تشكل الشريان الحيوي للوادي. فعزمَ على إخطار "مصلحة الأسماك والحياة البرية" التي كانت تدير المحمية. وكان جيم اجتمع بموظفي المصلحة عام ١٩٧٩ وعقد معهم إتفاقاً تعهد بموجبه أن يحفظ البيئة على حالها، مرعى طبيعياً وموطناً للبط. وفي المقابل تتعهد الحكومة حماية المنطقة التي تسمّى "الاراضي العشبية" بابقائها مروية دائماً.

في أواخر ١٩٨١ طار جيم الى بورتلاند بولاية اوريغون ليحذر المسؤولين الاقليميين في المصلحة: "ان محميتكم عاكفة على قتل الحياة التي أنتم مؤتمنون على حمايتها." وحاول المسؤولون أن يطمئنوه الى أن الامور ليست سيئة وأن لا علة في المياه وأنه ربما كانت الضواري هي سبب استنزاف الحياة في المحمية. ولكن على أثر رجوعه الى منزله وردت عليه رزمة بدا أنها مرسلة من موظفين مجهولين متعاطفين معه في مصلحة الاسماك والحياة البرية وفي مكتب استصلاح الاراضي.

داخل الرزمة وجد جيم عدداً كبيراً من الوثائق الرسمية تتعلق بكسترسون والاراضي العشبية المحيطة بها التي تبلغ مساحتها حوالى ٢٠٠ مليون متر مربع وهي ملك خاص. فأصيب بصدمة اذ علم ان كسترسون هي في طريقها الى التحول مرمى للنفايات السامة. وقال غاضباً: "أنا لا أصدق أن حكومتنا تفعل بنا ذلك. المياه خطرة اذاً."

فردت كارين: "علينا أن نغلق كسترسون بأي ثمن."

رأى جيم أن عليه البحث عن مصدر التلوّث والمسؤولين عنه. وأدى بحثه الى مشكلة ذات أبعاد وطنية.

قوى مشتركة - وجد جيم أن المياه تصب في كسترسون عبر مجرى للتصريف يبلغ طوله ١٣٣ كيلومتراً، من منطقة ويستلاندز التي تشمل مئات المشاريع الزراعية جنوب غرب فريسنو. وتتألف التربة التحتية لاراضي وستلاندز (مساحتها ٢٤١٠ كيلومترات مربعة) من طبقة صلصال لا يخترقها الماء، مما يطرح مشكلة تصريف المياه. وحدث أن تزامن وجود نسبة عالية من الملوحة في مياه الري مع مقادير قليلة من عناصر طبيعية مثل الـ"سيلينيوم" (الذي يصبح ساماً بنسب مرتفعة) في تربة وستلاندز. وكان من الضروري تصريف هذه المياه بعد استخدامها والا سممت المحاصيل. لذلك عمد المزارعون الى انشاء قنوات من الآجر تحت سطح الارض لتصريف مياه الري الى مجرى التصريف الرئيسي لمكتب الاستصلاحات، وصولا الى كسترسون.

في كسترسون ١٢ بركة لتبخّر المياه، وهي خططت لتكون جزءاً من جهاز تصريف

بحيث تصب فيها المياه الزراعية الوسخة وتجري من هناك لتنتهي في خليج سان فرنسيسكو. لكن الشبكة توقفت عام ١٩٧٥ في كسترسون ولم تنجز لنقص في الاعتمادات ولقلق السكان في شأن نسبة الملوحة المرتفعة والمبيدات في المياه.

بدأت مياه الري المصرفة في قنوات الآجر تصل الى كسترسون عام ١٩٧٨. وفي ١٩٨١، اي عام لاحظ جيم نفوق الحيوانات وتشوهها، كانت كل المياه الوسخة تأتي في قنوات الآجر.

بدأ جيم يدرك أيضاً القوة السياسية التي تقف في وجهه. كانت وستلاندز خاضعة لشركات كبرى يدعمها مالكون آخرون وتتمتع بنفوذ كبير لدى مكتب استصلاح الاراضي. كانت اكبر منطقة مروية في الولايات المتحدة خصصت لها أكبر كمية من المياه الاتحادية المدعومة مالياً في مشروع الاستصلاح. وتشجيعاً للمزارع العائلية حدد القانون مساحة الارض التي تخصص لمن تحق له الافادة من المياه المدعومة بحوالى ٦٤٠ ألف متر مربع (رفع هذا الرقم لاحقاً الى ٣ ملايين و٨٤٠ ألفاً). ولكن حصل احتيال على هذا التحديد بترتيبات تأجير واستئجار معقدة. وبحسب تقرير "مجلس حماية الموارد الطبيعية"، يرخّص لوستلاندز بأن تخصص نصف مساحة أراضيها بانتاج محاصيل حكومية فائضة، وخصوصاً القطن. وبذلك حصلت وستلاندز على دعم مالي لمياهها ومحاصيلها.

شكاوى مهملة – وستلاندز نصف قاحلة، ويمكن جعل تربتها غزيرة الانتاج بريها بالمياه القليلة التكاليف. وتحقق ذلك بواسطة عقد مدته اربعون سنة مع مكتب الاستصلاح بدأ تنفيذه في العام ١٩٦٨، ويقضي بتسلم المياه من السدود الحكومية الاتحادية بسعر مخفض جداً. وحمّل مكتب الاستصلاح وستلاندز مبلغاً رمزياً لتصريف المياه القذرة.

حاول جيم كلوس على مدى أشهر تحذير جيرانه المزارعين من خطر اعادة استخدام مياه وستلاندز القذرة، ولكن من دون جدوى. لقد خشي مربو الماشية أن تتسرب الى العامة إشاعة مؤداها أن المياه سامّة فتصبح مواشيهم عديمة القيمة وتهبط اثمان أملاكهم.

وفيما تابع كلوس حملته اشتدت المضايقات على عائلته، فنهب منزله وهدد بالاذى. ولم يطل الوقت حتى بدأ مالكو الاراضي المجاورة يعانون مشاكل. ففي مزرعة فرانك وجانيت فريتاس (مساحتها ٤٢ مليون متر مربع) بدأت رؤوس الغنم والماشية تنفق، وتوقف نمو الاشجار في البساتين حين أخذت مياه كسترسون تتسرب الى ممتلكاتهما.

أما جيم فبقي مؤمناً بأنه متى اطّلع المسؤولون على الحقائق فلا بد من أن يقوموا بعمل تصحيحي. وفي ١٤ مارس (آذار) ١٩٨٤ التقى وكارين مسؤولا رفيع المستوى في مكتب الاستصلاح في ساكرامنتو، فأخبراه أن المياه السامة تتسرب من كسترسون الى أرضهما. لم يسفر الاجتماع عن نتيجة، ولكن عزم الزوجان على متابعة النضال.

تقدما بشكوى رسمية الى "المكتب الاقليمي لضبط جودة المياه" في

كاليفورنيا مطالبين بالتنفيذ الفوري للقانون القاضي بمراقبة سلامة المياه. ومرت أشهر ولم يلب المكتب طلبهما.

كابوس تشوّهات – رجع جيم مهزوماً الى منزله، واذا برزمة أخرى تنتظره وفيها مذكرات جديدة عن دراسات علمية تؤكد أن مستويات مادة السيلينيوم في كسترسون مرتفعة الى درجة كافية لقتل الاسماك.

في يونيو (حزيران) ١٩٨٣ أُرسل اختصاصي البيئة فليكس سميث من مصلحة الاسماك والحياة البرية وعالمان آخران ليحققوا في تصريف المياه الزراعية القذرة، لأنه بدا أن مكتب الاستصلاح والمصلحة كانا طوال عقود يستخدمان محميات الحياة البرية مصرفاً للمياه القذرة من دون اجراء دراسات دقيقة لتحديد احتمالات التسبّب في التسمّم. ووجد العلماء صيصاناً بلا أعين ولا قوائم. لقد أصبح المستنقع كابوساً رهيباً. ويدعي مكتب الاستصلاح أنه استجاب لمطالب جيم وكارين بأسرع ما أمكن، لكن النقاد ينكرون عليه ذلك.

استأنف جيم وكارين كلوس الشكوى الى مجلس الولاية. فتقدم مسؤولون حكوميون بشهادات جديدة تؤيد نظريتهما. وبرزت قضية لم يستطع مجلس الولاية تجاهلها. في ٥ فبراير (شباط) ١٩٨٥ أقرّ المكتب أن تصريف المياه القذرة الى خزان كسترسون يولد خطراً على البيئة، ويجب تنظيف المكان وتطبيق أنظمة تصريف المياه.

في ١٥ مارس (آذار) ١٩٨٥ أصدر وزير الداخلية دونالد هوديل أمراً باغلاق كسترسون. لكن وستلاندز شنت حملة ضغط شعواء مضادة. ولم يمض الا أسبوعان حتى تراجع هوديل معلناً الاغلاق تدريجاً مما يتيح لوستلاندز استخدام كسترسون مصرفاً لمياهها القذرة حتى يوليو (تموز) ١٩٨٦ حين يتم اغلاقها نهائياً.

وكان جيم كلوس تقدم بدعوى ضد الادارة الامريكية لدى محكمة المقاطعة طالباً تعويض الاضرار والخسائر التي لحقته من تسرّب مياه كسترسون الى مزرعته. فأمرت دائرة العدل باقفال الدعوى واصفة اياها بأنها "محاولة غير نزيهة لفتح خزينة الدولة بقصد الربح الشخصي." أوقفت الدعوى، لكن جيم عاد فرفع دعوى أخرى ضد الحكومة لدى محكمة الادعاء الاتحادية داعماً قضيته بشهادة هربرت سكيبتزكي، وهو باحث مائي سابق متقدم في هيئة المسح الجيولوجي في الولايات المتحدة. وفي الشهادة أن "الاراضي المحيطة بكسترسون لن تكون قابلة للاستصلاح في فترة معقولة أو بكلفة محددة. ان المياه التي تصبّ في الاراضي ملوثة على نحو يفوق التصور، والضرر الذي تسببت فيه هو دائم."

كارثة بيئية – عندما طلب جيم كلوس الاطلاع على الوثائق الحكومية الخاصة بقضيته قيل له ان عليه دفع ١٧٠ ألف دولار نفقات بحث وتصوير مستندات. ويؤكد بروس ناهين، وهو محام في لوس انجلس يمثل آل كلوس: "ان الحكومة

مصممة على دفع عائلة كلوس الى الافلاس، وهي تجبرها على سحب دعواها."

ويعتقد المراقبون أن وزارتي العدل والداخلية تناضلان لتفادي سابقة قد تتسبّب في رفع دعاوى مماثلة ضدهما. في العام ١٩٨٦ أجرت مصلحة الاسماك والحياة البرية مسحاً فوجدت أن ٨٥ محمية تعاني مشاكل أكيدة أو مشكوكاً فيها أو محتملة، معظمها ناتج من أوساخ في مياه ري المزروعات التي أجازت الداخلية تصريفها اليها على مدى السنين. مثال على ذلك أن نسبة السيلينيوم في "محمية ستيلووتر الوطنية" في نيفادا تعادل النسبة في كسترسون. وفي أوائل ١٩٨٧ نفقت ملايين الاسماك والطيور.

عام ١٩٨٥ نزح جيم كلوس وعائلته الى بورتلاند في أوريغون حيث يكافحون لبدء حياة جديدة. وهو لا يجد كبير عزاء في ما تمخّض عنه كفاحه الاول، اذ ان كسترسون حظرت نهائياً كمصب للمياه القذرة بتاريخ ٣٠ يونيو (حزيران) ١٩٨٦. غير أن وستلاندز لا تزال تتمتع بمياه مدعومة لري المزروعات والتربة التي تشكل مصدراً للتسمم وقتل الحياة.

دونالد أنثروب أستاذ البيئة في جامعة سان خوسيه يعتبر هذه الواقعة "كارثة بيئية حلّت بسبب ريّ أراضٍ هامشية لم يتوجب ريّها أساساً." ويتساءل مجلس حماية الثروة الطبيعية: "هل يبرر انتفاع عدد قليل من المزارعين بمياه الري التسبب في ضرر فادح ودائم للبيئة؟"

ان على وزارة الداخلية تسديد قيمة الاضرار التي يطالب بها مالكو الارض المجاورة لكسترسون. وأهم من ذلك أن توقف مصلحة الاسماك والحياة البرية ومكتب الاستصلاح الكارثة البيئية في كل المحميات في الغرب. فلا يجوز السماح للمحميات الوطنية بأن تصبح مستودعاً للنفايات السامة.

راندي فتزجيرالد

كأس الرئيسة

كنت حاضراً عندما مُنح الرئيس الامريكي السابق جيمي كارتر شهادة فخرية من جامعة إموري في مسقط رأسه أتلنتا بولاية جورجيا. وتلت الاحتفال مأدبة غداء. قُدّمت كأس عصير الى السيدة الاولى. وقبل أن تتذوقها أزاحها عميل سري ووضع أمامها كأساً اخرى ليحميها من محاولة تسميم محتملة. تساءلت: ترى هل سيفحص العميل الكأس الاولى؟ وللحال اكتشفت خطأ ظنوني.

لقد وضع العميل الكأس أمامي.

هنري بودن

الاستقامة هي ان تكون صالحاً حتى في غياب الآخرين.

من صحيفة "لوس انجلس تايمس"

خطوات عشر لبلوغ النجاح
قبل الاربعين
أتقنها تحصد الثواب
طوال الحياة

انشُدوا النجاح قبل الأربعين

ثمة اعتقاد شائع ان العمل بعد سن الاربعين اصعب منه قبلها. ومما لا شك فيه ان بعض الامور تبدو اليوم اصعب من السابق كالنهوض باكراً في الصباح من دون عناء والم. لكن العمل في معظم المؤسسات يصبح بعد الاربعين اسهل منه قبلها.

قد تكون المسؤوليات اليوم اثقل مما كانت في الماضي، الا انك بعد الاربعين يجب أن تُقدَّر في ضوء خبرتك ومعلوماتك وحكمك على الامور اكثر من استعدادك للعمل ثماني عشرة ساعة يومياً. ان غالب المكافآت الرئيسية على النجاح تتجمع الى ما بعد الاربعين شرط ان تكون اتممت مهماتك على نحو صحيح قبل هذه المرحلة.

ماذا يعني اتمام الامور على نحو صحيح؟

◄ **اولا: اتمم واجبك المنزلي.** تعلّم كل ما تحتاج اليه لمعرفة كل شيء عن عملك او مهنتك قبل الاربعين. مثال ذلك: تعلمت وانا في الثلاثينات طريقة تنقيح مخطوطة كتاب كما تعلمت اصول نشره،

© 1985 by Michael Korda. Condensed from Success (March '85), New York, N.Y.
Photo: Michael Tcherevkoff / The Image Bank

وفي وقت قصير اتقنت عملي في السن المناسبة وتابعت المسيرة لاكتساب المزيد من الخبرة.

في الاربعين كان المرحوم تشارلز ج. بلوهدورن جعل من مؤسسة "غالف اند سترن اندستريز" (١) امبراطورية تجارية ذات دخل سنوي يحسب بملايين الدولارات. وفي الاربعين ايضاً وضع ليونارد برنستين موسيقى "وست سايد ستوري" (٢) وحقق شهرة كبيرة كمؤلف ومدير اوركسترا امريكي لامع. ولا ضير في ان يسهر المرء الى وقت متقدم لانجاز امر جيد اذا كان ذلك قبل العشرين او حتى الثلاثين، اما بعد الاربعين فيجب الّا يضيع احد فرصة النوم لتعلم اي جديد.

ثانياً: طوِّر اسلوبك الشخصي. قبل الاربعين اعرف ما انت ترتاح اليه سواء اكان ذلك في لباسك ام في اللمسات الصغيرة التي تجعلك مميزا. يمكنك اجراء اختبارات وانت في العشرينات او الثلاثينات ولكن لدى بلوغك الاربعين يجب ان يكون لك اسلوبك الثابت. لا احد يبدو قلقا اكثر من رجل او امرأة يحاول كلاهما اعادة تنظيم مظهره في منتصف الحياة.

ثالثاً: نظم حياتك العاطفية. يصعب عليك النجاح اذا لم تعالج بنفسك مشاكلك الشخصية التي تستنفد طاقتك وتحوِّل انتباهك عن الامور المهمة. فالهم كالمرض يحجب تدريجاً الاهتمام بما عداه.

مما لا ريب فيه انه يتعذر تجنب كل الصعاب ولكن على المرء ان يرتفع فوقها. والذين رتبوا حياتهم الشخصية عند بلوغهم الاربعين هم عموماً اكثر اهلية للنجاح من اولئك الذين لم يفعلوا. وهكذا، اذا عزمت على انهاء ارتباك يائس او فكرت في الزواج فافعل ذلك قبل ان تدخل المشاكل عقدك الخامس حيث ينبغي لك ان تمتع نفسك بالحياة وتبدأ قطف ثمار الجهد الذي بذلته في السابق.

رابعاً: اعرف ضعفك. سلِّم بان ما لا تجيد صنعه لا يحتمل ولا يفي بالغرض. فاذا كنت لا ترتاح الى التعامل بالارقام وتستمتع بالعمل المبدع فلا تجبر ذاتك على تولي عمل حافل بالارقام لانه يدر عليك ربحاً جيداً او لان الآخرين يتوقعون ذلك، بل اقبل على العمل الذي تستمتع به قبل ان تبلغ الاربعين والا عشت عقداً تاعساً، وربما عقدين، والارجح انك قد تدمر فرصتك للنجاح الحقيقي.

خامساً: اعرف طاقاتك. من الافضل لك ان تقرر ما انت اهل له اكثر من سواه وتتحقق من الامور التي تستمتع القيام بها وتجيدها اكثر من اي شخص آخر.

عندما كنت افتى كنت الام غالباً على نظرتي الى المسائل من جانبيها مما جعلني ابدو لبعضهم متردداً. اما الآن، بعدما بلغت الرابعة والخمسين، فقد ادركت ان هذه المزية هي طاقة ثمينة، اذ جعلتني ابدو مستشاراً اكثر مني منفذاً، ولا بأس في ذلك. فالمؤسسة تحتاج الى

(١) Gulf & Western Industries

(٢) West Side Story

الاثنين. ومهما يكن دورك فمعرفتك لنفسك ومعرفة ما انت اهل له هما امران دقيقان في مسيرة النجاح.

سادساً: حسن التصرف بالمال. عندما كنت في سن اصغر، اسدى الي ايرفنغ لازار نصيحة أب: "احتفظ بأول مليون دولار تكسبه" وهذا هو المقصود بـ"حسن التصرف بالمال." وهو امر جيد ولكن الدولارات المليون تفوق ما استطيع توفيره اما الفكرة فذات مغزى عميق. اذ لا شيء يخمد العزيمة كالخضوع المطلق لشيء ما، اي ادراكك انك لا تستطيع ان تترك عملك او تغير مسلكك المهني.

احتفظ بما يكفي من المال الذي يتحول مصدر امان بالنسبة اليك. قد لا تحتاج اليه لكنه قد يساعدك في الرد المناسب على موقف بمثل هذه العبارة: "ايها السادة، انا مستقيل."

سابعاً: أنشىء شبكة من العلاقات. اذا بلغت الاربعين ولم تكن بنيت شبكة من الاصدقاء او على الاقل من اشخاص يثقون بك وتستطيع انت ان تعتمد عليهم فستكون في ضيق. قد يكون هؤلاء زملاء تمد اليهم يد المعروف وتدعم مشاريعهم وتصغي الى مشاكلهم وهم يبادلونك المثل.

ليست شبكة العلاقات شيئاً يصنع بين ليلة وضحاها. بل تتطلب عقوداً من العناية. في العمل، كما في السياسة، انت تحتاج الى اشخاص هم في مواقع صحيحة، تستطيع ان تتكل عليهم ويستطيعون هم ان يتكلوا عليك.

ثامناً: تعلم التفويض. كثيرون منا لا يفعلون هذا او هم عاجزون عنه، لذلك هم محكومون بالبقاء في مناصب ثانوية، والتفويض هو نصف النجاح. والمرء الذي لا يستطيع ان يفوض سلطته الى شخص آخر يجد نفسه مقيداً. حين تبلغ الاربعين تغدو اخبر من قبل فتختار الاشخاص المناسبين وتثق بهم.

تاسعاً: تعلّم متى تحفظ لسانك. كم من منصب فُقد بسبب رمي الكلام على عواهنه. فتعلّم السكوت والظهور مظهر الرجل الحكيم، فالناس في مثل هذه الحال يفترضون انك تعرف اكثر مما تظهر. لا تكن ثرثاراً، ولا تتحدث عن خططك. والشهرة بكتمان السر تفوق الشهرة التي يمكن ان تكسبك اياها الثرثرة. وكلما تقدمت في سلكك ازداد وضوح هذه الحقيقة. فكتمان السر في المراكز الادارية العالية مزية ذهبية.

عاشراً: كن مخلصاً. اذا لم تكن اكتسبت سمعة من جراء الاخلاص مئة في المئة عندما تبلغ الاربعين، فستلازمك هذه الشائبة طوال بقية حياتك المسلكية. ان شهرة عدم الاخلاص تجعلك مرفوضا في اي عمل اينما كان.

احتفظ دائما بخلق مرح، فهو احد جوانب السعادة، اذ لا شيء يدوم ابداً... حتى النجاح.

مايكل كوردا

الكاتب رئيس تحرير دار "سايمون وشوستر" للنشر.

الانقباض الجنوني

اكتشف العلماء الدليل الاول على أن بعض أنواع الانقباض الجنوني ينتقل بالوراثة عبر جينة (مورّثة) سائدة مصابة. وذلك يعني ان الاشخاص الذين يرثون الجينة من أحد الوالدين، لديهم استعداد قوي للاصابة بالمرض. ولكن يؤمل ان يكون هذا الاكتشاف مفيداً في المستقبل لتوقع احتمال الاصابة بالمرض وتشخيصه ومعالجته بدقة أكبر.

يعاني ملايين الناس هذا المرض النفساني الذي يتجلّى في نوبات من الانقباض تراوح بين حالات مسّية من الاضطراب الجسدي والأرق والافكار الجامحة والشعور الخادع بالعظمة. وقد ساد الاعتقاد طويلا أن الانقباض الجنوني اضطراب يعكس مشاكل اجتماعية. لكن الاكتشاف الجديد يبرز النواحي البيولوجية الطبيعية للمرض. نشر البحث في مجلة "الطبيعة" (Nature) بقلم جانيس ايجلند أستاذة الطب النفساني في جامعة ميامي بولاية فلوريدا. وهو ضم نتائج دراسات جينية على مدى عشر سنين شملت عائلات كبيرة يتزاوج أفرادها في ما بينهم.

وأظهرت دراستان أخريان نشرتا في العدد ذاته من المجلة أن الجينة مفقودة في مجموعة أخرى من السكان المصابين بانقباض جنوني. وهذا يعزز اعتقاد علماء كثيرين ان المرض هو فعلا مجموعة اختلالات مترابطة وليس كياناً في ذاته.

وإن يكن موضع الجينة قد عرف، فان ذلك الجزء المعين من الحمض النووي «DNA» الذي تتكون منه الجينات لم تجر دراسته. وعندما يتم ذلك فسيتسنى للعلماء معرفة أي العمليات الكيميائية في الدماغ تصاب بالانحراف مما يمهد السبيل لمعالجات جديدة أكثر فاعلية.

صحيفة "نيويورك تايمس"

منافع زيت السمك

مع أن الاسكيمو يستهلكون كميات كبيرة من الدهن فان اصابتهم بالنوبات القلبية قليلة، ربما لان غذاءهم يحتوي على كثير من السمك. وتدل الدراسات الجارية على أن زيوت "أوميغا - ٣" المتوافرة في سمك المياه العميقة ربما خفضت نسبة مصل الكولستيرول والـ"تريغليسريد" ومنعت تكوّن خثرة في الدم.

وادت اخبار هذه الدراسات الى ازدهار في مبيعات زيت السمك. لكن الباحثين الذين يدرسون تأثير زيوت السمك في الناس يتحفظون عن استعمالها الواسع.

ويقول الدكتور أ. هارولد لوبين من "جمعية الطب الامريكية" ان البحث التحليلي ليس كافياً لتحديد عيار الكمية التي تنفع، اذا كان هناك من نفع أبداً. ويشير الدكتور غاريت

فيتزجيرالد من جامعة فاندربلت في ولاية تنيسي الى أن على المرء ان يتناول خمسين حبة يومياً ليبلغ مستويات الاحماض الدهنية في زيوت "أوميغا - ٣" التي يبدو أنها تحمي الاسكيمو من أمراض القلب. وتخشى الدكتورة بوني واينر من جامعة مساتشوستس أن يصاب بعض المستهلكين بنزف قوي نتيجة أعراض جانبية اذا تفاعلت زيوت السمك مع أدوية اخرى تؤخر تخثر الدم (الجلطة) كالاسبيرين.

والى أن تثبت فاعلية هذه الزيوت وسلامة تناولها على المدى الطويل، بحسب "جمعية القلب الامريكية"، أفضل لنا أن نجعل من السمك ذاته جزءاً منتظماً من غذاء صحي.

رسالة "الحمية والتغذية" بجامعة تافتس

دماغ الكتروني للسرطان

يؤكد مدير المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة الدكتور فنسنت ديفيتا ان كثيرين من المرضى لا يفيدون من أحدث وسائل معالجة السرطان لان لا علم لاطبائهم بالأساليب المتوافرة. فالمعالجات قد تكون معقدة وسريعة التبدل، لذلك من العسير حتى على أبرز الاختصاصيين أن يطلعوا على آخر انجازات الابحاث الجارية.

وهناك اليوم نظام دماغ الكتروني سهل الاستعمال طوره المعهد الوطني للسرطان وهو يوفر هذه المعلومات للاطباء في أنحاء الولايات المتحدة. وهذا الجهاز الذي دعي "معطيات لاسئلة الاطباء" (Physician Data Query) يسهل تحقيق هدف المعهد خفض الوفيات بالسرطان بنسبة ٥٠ في المئة بحلول العام ٢٠٠٠. ويقول الدكتور ديفيتا: "بمجرد مساعدتنا الاطباء في توفير أفضل عناية ممكنة لمرضاهم ننقذ الوفاً من المصابين."

وفي امكان أي طبيب يقتني خطاً موصولا بدماغ الكتروني ومقرنة «hookup» للهاتف ان يفيد من هذا الجهاز. ويقدم الجهاز وصفاً لاحدث المعالجات لـ٨٢ نوعاً رئيسياً من السرطان مع النتائج الاولية للاساليب التي هي قيد الاختبار. وهو يضم لائحة باسماء نحو ١٠ آلاف طبيب يكرسون معظم جهدهم لمعالجة السرطان وما يزيد على ١٠٠٠ تجربة عيادية جارية و٢٠٠٠ مؤسسة تنفذ برامج منظمة للسرطان، بحيث يتسنى للطبيب أن يتدبر العناية والمشورة الضروريتين.

مجلة "أخبار الطب"

محتوى المواد الغذائية

أعلنت ادارة الغذاء والدواء الامريكية أنها فرضت على مصانع المعلبات الغذائية ذكر محتوى الصوديوم على أنواع كثيرة من المأكولات التي تنتجها. والصوديوم، الذي يوجد على نحو طبيعي في مواد غذائية كثيرة، معدن رئيسي. لكن كثيراً من الامريكيين يستهلكون ٧٠٠٠ مليغرام منه يومياً، وهي كمية تتجاوز كثيراً ما يحتاج اليه الجسم. والملعقة الصغيرة الواحدة من الملح تنطوي على ألفي غرام من الصوديوم. وكمية الصوديوم اليومية التي تدخل الجسم يجب ان تراوح بين ١١٠٠ مليغرام و٣٣٠٠ مليغرام. وكل ما يتجاوز ذلك قد يؤدي الى ارتفاع ضغط الدم لدى بعضهم.

وكالة "أسوشيتدبرس"

يشهد العالم تحولات مناخية كبرى ويربط بعضهم هذا التطور المناخي بحركة البقع الشمسية

إعصار ١٨٨٨

كان يوم السبت دافئاً ومعتدلا على غير عادة في مدينة نيويورك. رائحة الربيع تملأ الجو، وهواة الطيور في متنزه "سنترال بارك" لاحظوا عودة أبي الحناء. براعم الاشجار منتفخة والزعفران عال، والمزارعون في الضواحي يحرثون الحقول تمهيداً لزرعها.

حمل يوم الاحد سماء ملبدة بالغيوم. وسقط المطر خفيفاً بعد الظهر. غير ان محطة الارصاد الجوية توقعت في نشرة الساعة الخامسة أن نهار الاثنين سيكون معتدلا ودافئاً.

هذه النشرة وأخرى تلتها توقعتا موجة برد، لكن الساعات اللاحقة بينت عدم دقتهما.

لم يكن علماء الارصاد الجوية في نيويورك على علم بأن جبهتين من العواصف متجهتان الى المدينة. احداهما ثلجية آتية من المحيط الاطلسي عبر شمال وسط البلاد بسرعة ١٠٠٠ كيلومتر في اليوم. والثانية جبهة متعاظمة من الهواء الرطب الدافىء نشأت في المحيط الاطلسي قبالة ساحل كارولينا، وهبت بسرعة راوحت بين ٥٠ و١٠٠ كيلومتر في الساعة عبر وسط جورجيا، ثم تحولت الى كيب هاتر وهي تهدر متجهة شمالا.

Photo: Courtesy New York Historical Society, Basac Collection

عصر الاحد، فيما اقتربت العاصفتان، تدنت الحرارة واشتدت الريح وتجلد ماء المطر الذي هطل غزيراً في المدينة. وفي الساعة ١٢،١٠ بعد منتصف الليل، اي في الساعة الاولى من الاثنين الموافق ١٢ مارس (آذار) ١٨٨٨، لاحظ الربابنة في المرفأ قرب المدينة أن الريح توقفت وأن هدوءاً غريباً يسيطر على الجو.

وما هي الا دقائق حتى هبت ريح جديدة بسرعة متنامية من جهة الغرب - الشمال الغربي. وبعد برهة بدأ الثلج يتساقط خفيفاً جافاً. في السماء كانت الجبهتان الجبارتان تعصفان بتناغم وقد أبقتهما في مكانهما كتلة من الهواء القارس آتية من كندا. انهما ستتآلفان قريباً لتشكلا عاصفة عنيفة راعبة ستدمر في الساعات الست والثلاثين التالية مساحة ٣٢٠ كيلومتراً من المنطقة المحيطة بمدينة نيويورك.

مشاة ومحتجزون - السادسة من صباح الاثنين أشارت ميازين الحرارة الى خمس درجات تحت الصفر، وكانت تميل أكثر فأكثر الى الهبوط. الرياح الشمالية الغربية تسوط شوارع المدينة بسرعة ٥٨ كيلومتراً في الساعة تتخللها ثورات أقوى. ونظفت الجوانب الشمالية في عدة شوارع، وتكدس الثلج في الجهات الجنوبية. واستيقظ سكان نيويورك ليكتشفوا أن الشتاء عاد بنفحة انتقام. كانت الوظائف نادرة تلك السنة، الا أن الذين كانوا يعملون توجهوا الى مراكز أعمالهم جاهلين حقيقة الاحوال الجوية.

في السابعة ازدادت حدة العاصفة وراوحت سرعة الريح بين ٦٥ و١٠٠ كيلومتر في الساعة، وأخذت تقتلع الناس من مواطىء أقدامهم مما اضطرهم الى الزحف بين قطع الزجاج الساقطة والقرميد المتناثر من المداخن المنهارة. ويذكر شاهد عيان أن "الثلج كان يسقط، فتحمله الرياح العاصفة وتنشره في كل اتجاه. كان يلسع وجوه المارة بعنف ويكاد يعميهم، ويتسرب مع الانفاس الى الرئتين فتمتلئان ماء ويكاد المرء يختنق."

جميع وسائل النقل كانت تسير على الثلج، بما فيها القطارات التي تعبر أربعة خطوط من السكك المرفوعة عن الارض. واذ عنفت العاصفة توقفت عربات الاجرة وانزلقت عربات الخيل على الدروب الجليدية. وتوقفت القطارات المرفوعة بفعل تجمد مفاتيح التحويل، وعلق ١٥ الف شخص في العربات الخشبية غير المدفأة التي راحت تهتز وتترجج بفعل الرياح الهوجاء.

عصر الاثنين شارفت العاصفة ذروتها وأقفلت غالبية المؤسسات التجارية. وللمرة الاولى منذ تأسيسها عام ١٨١٧، أقفلت بورصة نيويورك أبوابها.

وتكدس الثلج بسماكة تسعة أمتار خارج جدران الطبقات السفلى لمباني المدينة، فاحتجز في الداخل أناس كثيرون. وتوقفت منذ الظهيرة جميع القطارات المتوجهة الى مانهاتن(١) والخارجة منها. وسدت جميع الطرق وتعطل شحن المؤن داخل المدينة. وأوى الناس الى أقرب ملجأ، في المكاتب

(١) مانهاتن هي المنطقة المركزية في مدينة نيويورك.

والمسارح والمطاعم والمقاهي وحتى في السجون. ونزل آخرون في الفنادق التي تضاعفت أجرتها مرتين وثلاثاً. ونام مئات في "المحطة الكبرى" حيث كانت الريح تصفر في نفق السكة الحديد نافخة الثلج الى القاعة الرئيسية في دوامة طاولت السقف.

طوف جليدي - مشطت الشرطة الشوارع لتقديم الاسعافات الاولية الى مئات الاشخاص الذين قضم الصقيع أطرافهم وانهارت قواهم وتساقطت عليهم شظايا وحجار. وشكّل غرباء في الشوارع سلاسل بشرية لاجتياز الشوارع بسلام أو لانقاذ المنكوبين شبه المدفونين في الثلج. ولجأ رجال الاطفاء الى جميع التدابير الاستثنائية. كانت الوسيلة الوحيدة المتوافرة لمكافحة النار صنابير الماء المجلد، ومع ذلك تمكنوا من اخماد كل حريق. وفي نهاية النهار كان الماء في خراطيم الاطفاء يتحول جليداً لحظة وصوله الى حائط المبنى.

تلك الليلة لفَّ الظلام المدينة. وما سماه بعضهم "الاعصار الكبير الابيض" اقتلع خطوط الهاتف والبرق والكهرباء التي تدلت من أعمدتها كخيوط عنكبوت في كل مكان من المدينة. وتبعثر الثلج مع الاعمدة المتكسرة والاسلاك الكهربائية التي تحمل خطر الموت. خطوط الغاز الطبيعي التي تزود المصابيح الكهربائية في الشوارع سالت على الارض أو سدّها الجليد أو أقفلها الناس لتخفيف خطر الحريق.

عندما قاربت الساعة السادسة صباح الثلثاء سجلت ميازين الحرارة هبوطاً الى ١٥ درجة مئوية تحت الصفر. وتكاثف سير المشاة وتراكم الثلج وثقل وزنه وتعدت سرعة الريح ١٣٥ كيلومتراً في الساعة مما حمل الشرطة على اقفال جسر بروكلين. وانفصل طوف جليدي كبير في نهر هدسون وانجرف نحو البحر، وفي طريقه علق بالمد المتعالي فعاد طافياً الى النهر الشرقي حيث انحشر بين بروكلين ومانهاتن. وعبَر ٣٠٠٠ شخص ذلك الجسر الطبيعي الذي بلغت كثافته ١٥ سنتيمتراً جليداً قبل ان يتشقق. واضطرت زوارق نجاة الى تخليص عدد من العابرين ذوي الحظ العاثر قبل ان يشرد طوفهم الجليدي الى عرض البحر.

سفن وجياد - في مانهاتن سد الثلج كل شارع غرب الجادة السابعة. وتكيفت قلة من سكان نيويورك مع الوضع الجديد. وقد وصفت امرأة المشهد من نافذتها في الجادة الخامسة: "انه يذكر بمدينة بطرسبرغ أو موسكو. الشوارع تتلألأ بياضاً ومركبات الجليد تنزلق يقودها رجال على رؤوسهم قبعات من فراء. انه أمر غريب أن ترى مركبات جليد تنزلق على مستوى نوافذ الطبقة الثالثة."

الاقلية المحظوظة التي انتعلت زلاجات وأحذية تزلج كانت موضوع غيرة المشاة المتثاقلين. وارتفعت الحرارة بعد الظهر، وخف سقوط الثلج. وبدأ عمال تنظيف الشوارع يزيلون حوالى ١٨ مليون متر مكعب من الثلج. كانت تلك نقطة مشرقة بالنسبة الى فقراء المدينة، اذ استخدمت السلطات ١٧٠٠ رجل لجرف

الثلج بالمعاول والرفوش بأجر بلغ ٢٥ سنتاً في الساعة. وهذا أجر عال في عصر كان العامل العادي لا يكسب أكثر من ثلاثة دولارات في الاسبوع.

في ذلك الحين، كانت الخسائر تتفاقم في كل مكان من الشمال الشرقي. في نيويورك وحدها قضى نحو ٤٠٠ شخص. وعثر جارفو الثلج على مئات الجياد متجمدة حيث تركها سائسوها.

في البحر والمرافىء على طول الشاطىء الشمالي الشرقي حطمت العاصفة أكثر من مئتي سفينة، وقضى أكثر من مئة بحار. وتجمدت الاشرعة الى حد انها كانت تتكسر وتتناثر كالزجاج. وفي بالتيمور بولاية ماريلاند هبت عاصفة مريعة نفخت الماء في مرفأ المدينة فأفرغته تاركة سفناً محطمة أو راسية في الوحل. وفي فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا قال شاهد عيان ان المرفأ كان مسدوداً بحطام السفن. ودفنت مدينة آلباني في ولاية نيويورك تحت ١١٧ سنتيمتراً من الثلج.

نظرية البقع الشمسية – يوم الاربعاء في ١٤ مارس (آذار) بدأ الشمال الشرقي يستعيد طبيعته. الا ان عاصفة ١٨٨٨ تركت أثراً باقياً تخطى المنطقة، فهي غيرت الى الابد الطريقة الامريكية لتخطيط المدن وبنائها.

أعلن عمدة مدينة نيويورك أن العاصفة تركت اثراً جيداً واحداً اذ أظهرت ضرورة انشاء سكة حديد للنقل السريع تحت الارض.

وفي العاصمة واشنطن التي عزلتها العاصفة أعلن أحد أعضاء مجلس الشيوخ: "نحن لا نستطيع السيطرة على عناصر الطبيعة. لا يمكننا ان نمنع حدوث عاصفة اخرى مدمرة. ولكن في وسعنا ان نحمي وسائل الاتصال. جميع الاسلاك الممدودة عالياً في الشوارع يجب أن توضع تحت الارض في المدن، وهكذا نتقي أهواء الطبيعة. تلك الاسلاك المعلقة ليست خطرة وقبيحة فحسب، بل انها تهدد أمن البلاد."

وسرعان ما مدت أسلاك الهاتف والبرق في المدن تحت الارض. ووضع تخطيط لنظام "مترو"(٤) في نيويورك ومدن اخرى.

ونشأت من عاصفة ١٨٨٨ نظريات مثيرة للجدل في ما يتعلق بالطقس وتأثير البقع الشمسية في المناخ. فهذه البقع المغناطيسية الكثيفة تزيد وتنقص في وجه الشمس خلال دورة قصيرة تدوم نحو ١١،٢ سنة. وفي ذروة هذه الدورات قد تطلق الشمس دفقاً اضافياً من الطاقة يبلغ ٠،١ في المئة، وهو تغيير يعتقد البعض أنه يؤثر في طقس الارض ومناخها.

حدثت عاصفة ١٨٨٨ الثلجية العنيفة في أدنى مراحل دورة البقع الشمسية. وفي المرحلة الدنيا السابقة كان شتاء ١٩٧٦ – ١٩٧٧ بارداً مدمراً. ويأتي شتاء ١٩٨٧ – ١٩٨٨ ايضاً قريباً من النقطة الدنيا في الدورة الحالية.

ويختلف دفق الشمس أيضاً في الدورات الاطول. وخلال الوف السنوات الماضية جلبت هذه الدورات فترات

(٤) المترو نظام قطارات تحت الارض.

قاسية من البرد والطقس الغريب دامت نحو ٩٠٠ سنة، وتخللتها فترات من الدفق الشمسي العالي والمناخ الدافىء راوحت بين ٧٠ و١٠٠ سنة. وبدأت الارض فترة مماثلة من الدفء قرابة العام ١٨٥٠. وتركيبة الحرارة والبرد التي صنعت عاصفة ١٨٨٨ حدثت في تلك اللحظة من التحول المناخي العالمي. ويفترض بعض العلماء ان ما حدث عام ١٨٨٨ يمكن ان يتكرر في شتاء ١٩٨٧ – ١٩٨٨، فيحدث تناسق بين نمطي الدورات الشمسية مما يؤدي الى تقلبات مناخية غير متوقعة.

هل تتكرر تجربة العاصفة الكبرى؟

ربما، فالولايات المتحدة تستوعب تشكيلة من التقلبات المناخية الحادة أكثر من أي بلد آخر في العالم. ويمكن أن تضرب عاصفة هائلة الساحل الشرقي خلال أي شتاء.

اذاً، في المرة المقبلة عندما يسقط الثلج، سيتذكر الامريكيون ان هناك عاصفة اخرى، اعصاراً كبيراً ابيض، سيهجم عاجلا او آجلا ليدمر بقعة كبيرة من القارة الامريكية.

لويل بونتي

سيدة الموقف

جلست في سيارتي أنتظر الخروج من موقف تفتح بوابته الخشبية حين توضع في صندوق بجانبها قطعة نقد معدنية. وكانت أمامي امرأة متوقفة أمام الصندوق لتسقط عملتها. انزلقت قطعة النقد من يدها ووقعت على الرصيف. فنزلت المرأة من السيارة والتقطتها ثم عادت الى السيارة واسقطتها في الصندوق. ولا بد أنها واجهت صعوبة في الانطلاق، اذ ان البوابة انغلقت قبل خروجها.

بدأت العملية من جديد. ولكن هذه المرة نزلت المرأة من السيارة ووضعت قطعة النقود في الصندوق ثم عادت الى السيارة وانطلقت... الى الوراء! وما ان تنبهت الى الخطأ وصححته حتى انغلقت البوابة ثانية!

وكررت العملية ثالثة واضعة القطعة من نافذة السيارة. لكنها وقعت من يدها هذه المرة ايضاً.

لم أشأ البقاء في الموقف الى الابد، فترجلت من سيارتي وعرضت عليها المساعدة. لممت قطعة النقود وتأكدت من أن المرأة جاهزة للانطلاق الى الامام، ثم أسقطتُ القطعة في الصندوق. فأنطلقت المرأة مرتبكة حالما وضعت القطعة، غير منتظرة فتح البوابة.

ما زلت أذكرها منطلقة وهي تجر أمامها بوابة الموقف!

د.ك.

ان عطلة أسبوعين مع أربعة أولاد داخل خيمة تجعلك تتوق الى صفاء العمل.

د.ل.

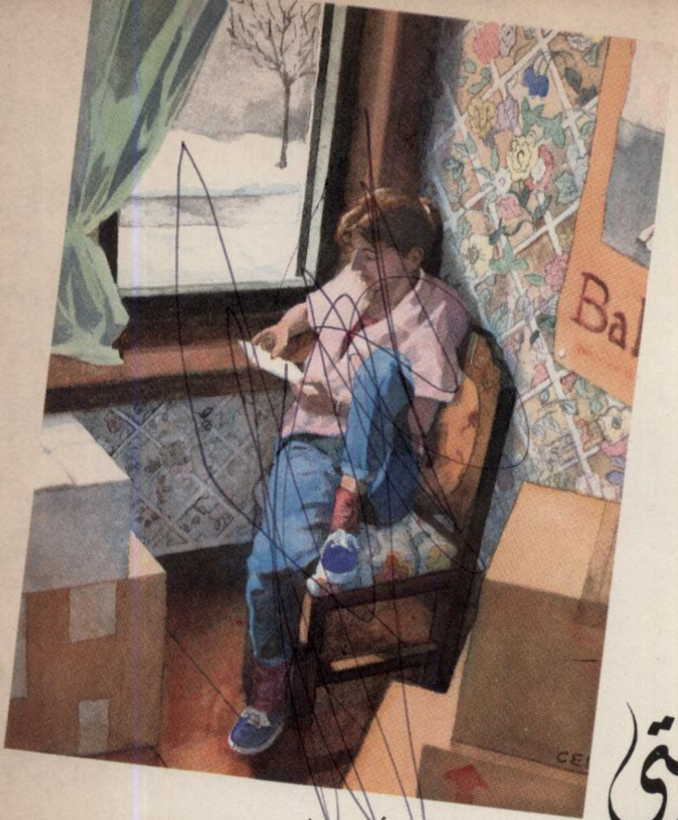

ابنتي المراهقة

أنت، في عيدك الثالث عشر، وعد في طريق التنفيذ

عزيزتي مي،

أمس رزمنا بقايا طفولتك. قاربتِ الثالثة عشرة وقلتِ حان الوقت لذلك. وهكذا صار القبو بيتاً للعبتك ومهدك وكل ألعابك التي كانت تهتف: "هذه غرفة طفلة صغيرة." أردتِ أن تعلقي رسوماً وتكوِّمي أشرطة موسيقية وتجعلي غرفتك تبدو غرفة فتاة كبيرة.

أنت الابنة الثالثة، لذلك لم يأت قرارك مفاجأة لابيك ولي. المفاجأة الوحيدة كانت أنه جاء عاجلا. أمس ولدتِ. متى توقفت عن الخوف من الظلمة؟ متى لعبنا الغميضة (الاستغماءة) للمرة الاخيرة حين ناديتِ بشجاعة: "هل اختبأتِ جيداً؟ أجاهزة أنت أم لا؟ أنا آتية"؟

والآن، جاهزة أنت أم لا، أنت هنا، نصف

Illustration: David Celsi

شكل الكمال

Swiss Made / Mod. dép.

الفردية ، الوضوح ، الأسلوب والكمال: كل هذه الصفات تتآلف في ساعة رادو فلورنس الكروية في إنسجام رائع. إن تصميمها القوي الشكل، الذي صُنع زجاج الساعة فيه من البلور الصفيري الياقوتي المصقول كالماس الصامد للخدش والمقاوم له يتيح ملائمة جمالية في غاية الإتقان لمعصم اليد. أما الطبقات الذهبية الزخرفية اللامعة كالمرآة على الزجاج البلوري فتضمن إشعاعاً وضاءً وبريقاً لاتخطئه العيون، وهو ماتشتهر به ساعات رادو في جميع أنحاء العالم. وبالرغم من مظهرها الرقيق وأناقتها الفائقة فإنها ساعة يعتمد عليها إلى أقصى الحدود ولا يتسرب إليها الماء أبداً.

ساعة كوارتز سويسري

رادو فلورنس أناتوم – قطعة من الشخصية الذاتية ، وبهجة دائمة.

RADO

فلورنس أناتوم

طفلة ونصف امرأة صغيرة، ملأى من المتناقضات، متلهفة للخطو الى ما وراء ما كان دائماً آمناً ومألوفاً نحو كل ما هو جديد ومثير.

هذا يعني، يا بنيتي التي قاربت سن المراهقة، أنك خلال بضع سنوات ستندهشين حين تدركين كم أنا وأبوك قليلا المعرفة بما هو الآن رائج وما هو غير رائج. ستجدّ أمور كثيرة: اذا ما أحببنا شيئاً كرهته، ومتى تحدثنا مع أصدقائك ارتبكتِ أنت وخجلتِ، وكلما قلنا "لا" لاي نشاط أجبت بسرعة انه مسموح لكل فتاة أخرى في سنك.

ستظنين في بعض الاوقات أننا أغبى والدين على الارض وأظلمهم وألأمهم. لا بأس، فنحن أحببناك الى درجة اننا جازفنا بفقدان محبتك لنا.

عندما نشعر أحياناً بأننا متعبان يغرينا أن نقول: "آه، حسناً، افعلي ما تشائين." لكننا نتوقف دائماً عند تفكير مرجف هو: ماذا يحدث للاولاد حين لا يعتني بهم آباؤهم؟ نحن من الطراز القديم. في اعتقادنا ان الحياة هبة يجب ان تُرعى وأن على الآباء ان يتولوا هذه الرعاية.

ان ما يجعل الآباء في حال ذعر بعض الاحيان هو علمهم أن ليس لسنّ المراهقة مسلك آمن، وأن ليس ثمة من سبيل لنأخذ بيدك ونوصلك بسلام من هنا الى هناك.

انها رحلة يجب أن تقطعيها بنفسك. وكل ما يمكننا ان نعد به هو تعهد ثابت أن ننسحب ساعة تودين.

نستطيع توجيهك واطلاعك على خبرتنا وعرض مقترحاتنا، ولك وحدك أن تقرري ما اذا كنت ستصغين أم لا.

من الصعب في بعض الاوقات الاّ نكون في عجلة لكي نكبر. صدقي أو لا تصدقي، أمك العجوز تتذكر كيف كان ذلك. أن تكوني في الثالثة عشرة هو وعد في طريق التنفيذ. هناك أحلام تنتظر لكي تصبح حقيقة، واشخاص جدد تلتقينهم، وايماءات الى أماكن محجوبة.

ولكن تذكري أن ذلك كله لا يعني أن تلك الامور ستحدث بين ليلة وضحاها، وإن تمنيت أن تحدث.

قبل وقت غير بعيد، عندما أردتِ لفت انتباهي اليك وشعرت بأني نصف مصغية، أمسكت وجهي بيديك وقلت لي معاتبة: "أماه، اسمعيني بعينيك وانظري الي بقلبك."

كم علمتنا من أشياء كثيرة، كنتِ دائماً حالمة، شاعرة، باحثة عن أقواس قزح بعد العواصف. شكراً لك يا ميّ على ما جئتنا به من فرح وجمال. أرجو الاّ تري الحياة دائماً بعينيك فحسب، بل بقلبك.

مع حبي،
أمك

باتريشيا شرلوك

❀❀❀

اذا استطعت الالتفات الى الماضي وتأمل حياتك برضا، فأنت تملك أثمن هبات الانسان: ذاكرة انتقائية.

ج.ف.

بيكاسو في قصر الملح

"أعطني متحفاً فأملأه،" قال بيكاسو بابتسامة وجيزة عابثة وبلهجته الاسبانية الشهيرة. كان ذلك قبيل وفاته في ٨ ابريل (نيسان) ١٩٧٣ وهو في الثانية والتسعين.

كل من جال في غرف المتحف الفخم في "أوتيل ساليه"، أحد قصور باريس الفخمة الذي يعود الى القرن السابع عشر، يعلم أن هذا التحدي تحقق. وتتساءل ماري لور بينار - برناداك القيّمة على المتحف: "أليس بيكاسو هو الفنان الوحيد المؤهل لان يكرَّس لفنه متحف خاص؟"

في القرن العشرين نبحث عن فنان آخر اقترن اسمه بالعبقرية الى هذا الحد، فلا نجد أحداً. فكل ما تميز به هذا العملاق بالغ العظمة بدءاً بشهرته الواسعة.

عام ١٩٦٦ أقيم أول معرض كبير لما خلفه بيكاسو من أعمال فنية، في قصر الـ"غران باليه" في باريس. وتوقع

أوتيل ساليه، والى اليمين تمثال نصفي لامرأة (١٩٣١).

Picasso

رسم ذاتي (١٩٠١).

المشرفون على المعرض حضور ٣٠ ألف زائر على الاكثر، لكن اسم بيكاسو السحري اجتذب ٨٥٠ ألفاً. وانتظم الالوف في صفوف ينتظرون دورهم للدخول.

وفي متحف "برادو" في مدريد تجتذب لوحته "غيرنيكا" حشوداً من محبي الفن والفضوليين وتثير جدلا حاداً حمل المسؤولين على أن يفردوا لها غرفة خاصة ويحموها بستر من الزجاج لا يخترقه الرصاص.

والاثمان التي تفرضها لوحات بيكاسو تتناسب وشهرته. عام ١٩٨٤ بيعت لوحته "النساء والماندولين" التي رسمها عام ١٩٢٥ بنحو عشرة ملايين فرنك

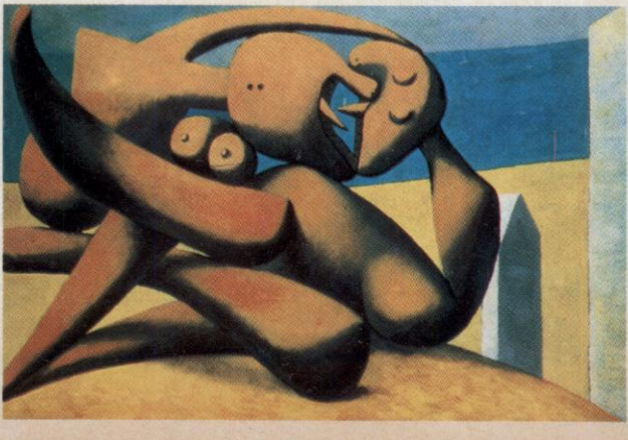

أشكال قرب البحر (١٩٣١).

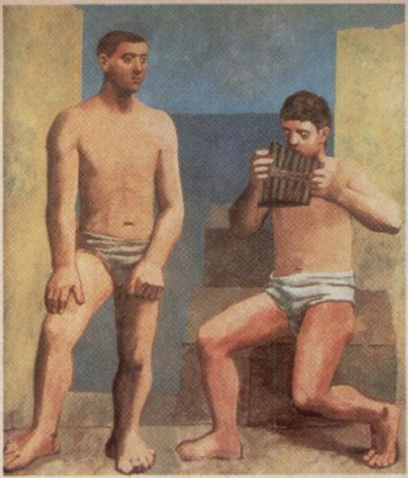

مزامير بان (١٩٢٣).

فرنسي (مليون و٧٥٠ الف دولار). أما انتاجه فلا يضاهى. فقد نال الشهرة وهو في العشرين من عمره، وبقي يعمل حتى بلوغه الثانية والتسعين. وكثيراً ما أنجز عدة لوحات في يوم واحد. وكان يجد متعة في الاحتفاظ بلوحاته التي يراها أكثر روعة ويبيع البقية لتأمين حاجاته. ونظراً الى غزارة انتاجه فان الكنز الذي اكتشف بعد وفاته يفوق التصور. فعندما عين منظم المزاد الشهير موريس رايمس عام ١٩٧٤ لجرد اعمال بيكاسو قدر أن مهمته ستستغرق خمسة أشهر. لكنه يقول:

رسم دورا مار (١٩٣٧).

بول في ثياب مهرج (١٩٢٤).

القبلة (١٩٢٥). تحت، صالتا عرض في أوتيل ساليه.

"استغرق عملي أربع سنوات." فلوحات بيكاسو ومنحوتاته التي ناهز عددها ١٨٥٥، والرسوم التي خلّفها لوارثيه، قدرت قيمتها بـ١١٥٤ مليون فرنك (نحو ١٩٢ مليون دولار).

قصر خرب - طُلب من دومينيك بوزو، القيِّمة الشابة المتخصصة بأعمال بيكاسو، أن تختار ٢٠٣ لوحات و١٤٧٢ رسماً و١٩١ منحوتة لتسلّم الى الحكومة تسديداً لضرائب الارث المتوجبة على تركة بيكاسو، فشكّل ذلك نواة متحف لبيكاسو، ولكن بقي ايجاد مكان فخم يليق باحتواء تلك الكنوز.

عام ١٩٧٥ اختار ميشال غي، وزير الدولة للشؤون الثقافية آنذاك، أوتيل ساليه. وكان القصر بني عام ١٦٥٦ لأمر أوبير دو فونتناي الذي كان يجمع ضريبة الملح للملك لويس الرابع عشر (١)، فعُدَّ جوهرة يندر نظيرها حجماً وفخامة حتى في ذلك الوقت. ويواجه البناء شارع تورينيي ويحفّ به فناءان كبيران وأبنية خارجية اضافية جميعها مزدانة بأعمدة صغيرة وبتماثيل أبي الهول. وزينت السلم الرئيسية بتماثيل أولاد وشخصيات خرافية وهي احدى أجمل السلالم في باريس.

عندما وقع الاختيار على أوتيل ساليه أعلن بعض النقاد بغضب: "بيكاسو ازاء لويس الرابع عشر!" وهم نسوا أن الرسام أحب الابنية القديمة وعاش في قصر غريمالدي بمدينة أنتيب وفي قصر فوفنارغ وعمل فيهما. وردت بوزو على الانتقاد: "هل القرن العشرون هو الحقبة الوحيدة في تاريخنا التي لا تقدر أن تتعايش مع ماضيها؟" ليس من سبيل لتقدير أعمال بيكاسو أفضل من رؤيتها في جو يشبه جو المكان حيث عاش وعمل معظم حياته.

(١) لذلك سمي "القصر المالح" (Hotel Sale).

Photos: Vauthey / Sygma

نساء أمام طاولة تزين (١٩٣٨).

ولكن تعيّن ترميم أوتيل ساليه. فبعد وفاة أوبير دو فونتناي أصبح القصر سفارة للبندقية، ثم انتقل الى عائلة جينييه الثرية، وفي ١٨٢٩ أصبح مقراً لطلاب "المدرسة المركزية" الجديدة. وفي الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية كان معملا لصب البرونز. وبعد الحرب أصبح مدرسة للهندسة. ونتيجة اهمال صيانته تحوّل شبه خراب. واستغرق تجديد الخارج ست سنوات، تلتها سنتان لاتمام الداخل.

عبقرية مبدعة – بيكاسو هو الشاهد الأكبر على هذا القرن. فتحفه الفنية في "الفترة الزرقاء" من انتاجه، مروراً بنعومة "الفترة الوردية"، امتداداً الى رسومه التكعيبية، وبعدها "الفترة الكلاسيكية" الانيقة، والاجسام المتلوّية المتقطّعة التي اثارت غيظ معاصريه، ما هي الا انجاز تصويري شامل لقرننا يشاهد على جدران أوتيل ساليه.

واذ نتنقل بين الغرف نكتشف أن هذا الفنان الثوري كان رساماً كلاسيكياً رائعاً بالدرجة الاولى وذا موهبة غريبة فائقة. وهو أفضل من خبر عبقرية الفنانين العظام السابقين. وهذه الناحية من فنه تكفي لتبرير اختيار أوتيل ساليه متحفاً له.

ان الناحية الكلاسيكية واضحة في "الرسم الذاتي" الذي خص به نفسه في الفترة الزرقاء، وقيل انه ومضة عبر القرون الى رسوم فان غوغ الذاتية. عندما رأى الشاعر الكبير غيّوم أبولينير ذلك الرسم من صنع فتى في العشرين، والنضج المخيف والحزن العميق اللذين يعكسهما، قال: "انه رسم حزين كأعماق الهاوية." والرقة الفائقة البادية في رسم "أولغا" الراقصة الروسية التي أصبحت زوجته والتي رسمها عام ١٩١٧، تجعله تحفة فنية أخرى بلغت حد الكمال تقنياً.

ولكن ربما كان لنا في مجال النحت أن نتبين عبقرية بيكاسو المتأصلة في التجديد والابداع. فهو الذي رأى رأس ثور في مقعد دراجة هوائية. وراقب سيارات ابنه الصغير بولو فشبهها برؤوس السعادين وحوّل تلك الالعاب تماثيل. وبمسمار صغير وبضعة عيدان ثقاب وخيط وقطعة قماش صغيرة وورقة نبات وفراشة صنع شكلين صغيرين يراوحان بين الرسم والمنحوتة.

لانشاء متحف لبيكاسو اقتضى توافر شرطين: أن يتنازل ورثة بيكاسو للدولة عن أهم لوحاته المعبّرة، وألا يعتبر المتحف مستودعاً تدفن فيه روح بيكاسو الى الابد. ورغبة من الورثة في إبقاء المجموعة كاملة مقدار المستطاع، لم يحاول أي منهم الاعتراض على اختيار بوزو للوحات.

يستقبل متحف بيكاسو، الذي افتتح في ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥، ما يراوح بين ٧٠ و٨٠ ألف زائر شهرياً، أي ضعفي العدد الذي كان متوقعاً (٢). وعلى مجموعات الطلاب التواقين الى دراسة الفن الحديث من خلال بيكاسو أن ينتظروا ستة أشهر أحياناً لتتاح لهم جولة في المتحف مع دليل، فيكافأون بتحسس الجو الذي صمم بمهارة ليحاكي الجو الذي أبدعت فيه تلك التحف الفنية.

وقد عبّرت بالوما، ابنة بيكاسو، عن ذلك في امتداحها للمتحف اذ قالت: "عشت حياتي محاطة بهذه الاعمال الفريدة، وأشعر في هذا المتحف كأني رجعت الى البيت."

جان - ماري جافرون

(٢) يفتح المتحف من العاشرة صباحاً الى الخامسة والربع عصراً، يومياً ما عدا أيام الثلثاء.

لغة الاطفال

لم ينقطع الصبي الصغير عن البكاء في الطائرة مما أزعج الركاب. وحاولت أمه والمضيفات تهدئته بالالعاب والحلوى ولكن من دون جدوى.

أخيراً تقدم أحد الركاب من الصبي وأخذ يحرك وجهه وأنفه بطريقة هزلية أضحكته، فهدأ بكاؤه رويداً ثم استسلم للنوم. فشكرت الام الرجل وسألته عما اذا كان له أولاد. فأجابها: "لا، لست متزوجاً." وأضاف: "أنني أعمل مصور أطفال."

م.د.

نادي الاثرياء

أنجح مدير أعمال أمريكي في العام ١٩٨٦ كان رئيس شركة "كرايسلر" لي ياكوكا الذي بلغت أرباحه نحو ٢١ مليون دولار بما فيها الاسهم المستحقة. كما كسبت قلة من كبار الموظفين الاداريين اكثر من خمسة ملايين دولار. لكن أولئك جميعاً صغروا أمام فنانين كسب عشرة منهم ٢٠ مليون دولار أو أكثر في العام ١٩٨٧.

هؤلاء هم: بيل كوسبي، مايكل جاكسون، تشارلز شولتز، إدي مورفي، بروس سبرنغستين، مادونا، ويتني هيوستون، ستيفن سبيلبرغ، سيلفستر ستالون، وجوني كارسون (انظروا الى

الرسوم المرفقة. الارقام ليست دقيقة بالطبع. إنها تعتمد الجعالة(١) وتقدير عائدات العروض وتخمين عدد الحضور ومعلومات أخرى مفيدة).

هؤلاء الاشخاص هم أكثر من فنانين. إنهم أصحاب أعمال.

لا يملك بيل كوسبي معامل فولاذ أو مصانع للأدمغة الالكترونية أو أبنية مكاتب أو شركات استثمار، لكنه صاحب مجموعة نفيسة من الثروة غير الملموسة. يطل كل أسبوع على ٦٣ مليون أمريكي ببرنامجه التلفزيوني الأكثر شعبية في البلاد: "استعراض كوسبي." الحقوق النقابية لهذا البرنامج التي يملك كوسبي ٥٠ في المئة منها، ستكسبه حتى العام ١٩٩٢ ١٨٠ مليون دولار على الأقل. كما يلقى سحره رواجاً في الكتب والاعلانات والحفلات والنوادي الليلية والافلام والاسطوانات وأشرطة الفيديو. واذا استمر نجاحه، فيصبح من دون منازع أول فنان تقدر ثروته بمليارات الدولارات.

سحر كوسبي – مثل أي فرد في سوق تجارية، لا يجني كوسبي ومورفي وستالون ومادونا وسبرنغستين الاموال الطائلة

(١) الجعالة مبلغ من المال يدفع الى المؤلف أو الممثل عن كل نسخة من عمله.

لأنهم أشخاص لطفاء. إنهم يصنعون ثروتهم.

كيف يصنع الفنانون الثروة؟

هذا أمر بسيط. اذا حضر الفيلم السينمائي مئة مليون شخص أو مليون واحد فقط، فالتكاليف هي هي. كذلك الحال في العروض التلفزيونية والتسجيلات والحفلات الغنائية والموسيقية. إذاً، فان الفنان الذي يستطيع زيادة عدد مشاهدي اعماله يستحق كل دولار يكسبه، لأنه بعد دفع التكاليف تصبح الارباح الباقية من حقوق المنتج. ويملك النجم قوة المساومة لكسب جزء كبير من تلك العائدات.

تأملوا ما ينتج من عرض ناجح. ان "استعراض كوسبي" أربح شبكة «NBC» التلفزيونية معارك التصنيف التلفزيونية في العامين ١٩٨٦ و١٩٨٧. فاحتفاظ «NBC» بالمرتبة الاولى ناجم، في معظمه، عن قدرة كوسبي على اجتذاب المشاهدين لحضور البرامج القريبة من موعده. وذلك التأثير يعني ارتفاع الدخل الاجمالي من الاعلانات التي تتخلل البرامج المجاورة. وقد جنت «NBC» ما يزيد على ٤٠٠ مليون دولار عام ١٩٨٧ في مقابل ١٥٦ مليوناً في العام الذي سبق عرض "كوسبي" الاول في ١٩٨٤.

الاول والثاني - إبتسم وليم بالي رئيس شبكة «CBS» حين سئل هل كسبت الشبكة ٥٠ مليون دولار من ألبوم "المثير" (٢) لمايكل جاكسون في العام

١٩٨٢. وكان جوابه: "ذاك رقم هزيل، هزيل جداً." ولا عجب في أن الشبكة لم تمانع في دفع جعالة بقيمة ٥٠ مليون دولار لجاكسون.

لما كانت الدول الاوروبية تسمح للشبكات التجارية بمنافسة مؤسسات الارسال الحكومية، فإن قيمة العروض التلفزيونية الامريكية ارتفعت إلى حد لا يصدق. يقول ميرف غريفن المضيف السابق الذي أبدع "عجلة الثروة" و"الخطر"(٣) وباع شركته بـ٢٥٠ مليون دولار في العام ١٩٨٦: "كانت فرنسا الاختراق العظيم. أصبحت عجلة الثروة هي العرض الاول للالعاب هناك."

تدر اعمال التسلية الفنية ثروة على الولايات المتحدة كما على الفنانين. وفي الوضع التجاري الامريكي المتأزم، أي تجارة تدر أوفر الارباح؟

الأدمغة الالكترونية؟ إنها في الدرجة الثالثة عشرة بين مصادر الثروة، وبلغت أرباحها عام ١٩٨٧ نحو مليار ونصف مليار دولار. فول الصويا؟ إنه في المرتبة الثالثة وتقدر أرباحه بـ٣،٩ مليارات دولار.

من في المرتبتين الأولى والثانية؟

الصناعات الجوية والفضائية. فبفضل طائرات "بوينغ" والصناعة الدفاعية، تحل هذه في المرتبة الاولى وبفائض ١٣،٧ مليار دولار. أما المرتبة الثانية فتحتلها بتقدم سريع أعمال التسلية الفنية التي أكسبت الولايات المتحدة في العام ١٩٨٦ فائضاً بقيمة ٤،٩ مليارات دولار: البرامج التلفزيونية ٥٠٠ مليون دولار، والافلام السينمائية ١،٢ مليار، وأشرطة الفيديو المسجلة ١،٨ مليار، والتسجيلات الموسيقية ١،٤ مليار.

يرى لي ريتش رئيس شركة "مترو - غولدوين - ماير اتحاد الفنانين" أن "الاعمال الفنية هي أقل الصادرات الامريكية تقديراً، لكن المبيعات غير الامريكية تغزو الاسواق. وخلال فترة وجيزة سيصبح ٥٠ في المئة من الدخل الاجمالي للأفلام أجنبياً."

يقول ستيف روس رئيس شركة "وارنر" ان مبيعات شركته من الافلام في اليابان زادت ثلاثة أضعاف، وزادت مبيعاتها من الاسطوانات والتسجيلات الموسيقية أربعة أضعاف منذ العام ١٩٨٢.

استغلال الجاذبية – على رغم أنه لا يغني ولا يرقص ولا يمثل، فإن منتج الرسوم الكاريكاتورية تشارلز شولتز يجلب المتعة لعشرات ملايين المشاهدين، وجزء كبير منهم أجانب. وفي اليابان بلغت أرباح السلع التي تصور شخصيات شولتز ٣٥٠ مليون دولار في العام ١٩٨٦، أي عشرة أضعاف قيمة مبيعات سيارات "جنرال موتورز" هناك. ويقدّم مصرف سانوا الياباني "بطاقات سنوبي النقدية"(٤). كما تثبت الفتيات اليابانيات جواربهن القصيرة بأشرطة "سنوبي" اللاصقة.

وتظهر هزليات شولتز الظريفة، التي تباع بما يفوق مليار دولار عبر العالم، في

(٢) «Thriller»

(٣) «Wheel of Fortune» and «Jeopardy»

(٤) «Snoopy cash card» وهي بطاقة تخول حاملها الحصول على مبالغ نقدية.

Condensed from Forbes (September 21, '87), © 1987 by Forbes Inc., New York, N.Y.
Illustration: Sam Viviano

الرسوم الكاريكاتورية للصحف المنشورة في ٢٦ لغة و٦٨ بلداً. وتعرض برامجه التلفزيونية الخاصة مثل "تشارلي براون" في بلدان كثيرة.

من غير المفاجىء أن النجوم ووكلاءهم أصبحوا خبراء في استغلال جاذبيتهم إلى أبعد الحدود. كان سيلفستر ستالون الرابح الاكبر في العام ١٩٨٦ إذ بلغت أرباحه ٥٣ مليون دولار. وهو نال كفالة مقدارها ١٦ مليون دولار عن فيلمه التالي المتأخر "رامبو ٣." وبترخيصه بضائع تحت اسم "رامبو" كسب ستالون ستة ملايين دولار، وسيجني هذه السنة أيضاً مداخيل اضافية من "عطور رامبو."

تميز بروس سبرنغستين بالهدوء خلال العام ١٩٨٦، لكن جولته الموسيقية سنة ١٩٨٤ - ١٩٨٥ وألبومه "مولود في الولايات المتحدة"(٥) أكسباه ٥٠ مليون دولار. أما مجموعته الحالية (خمس أسطوانات) التي أصدرها في أواخر ١٩٨٦ فقد بيع منها قرابة خمسة ملايين نسخة عبر العالم.

سر النجومية – خلافاً لنجوم الرياضة، ومعظمهم من المرتزقة، صنع الفنانون ثروات تفوق ما توحيه مداخيلهم السنوية. فالقيمة المستقبلية لمباراة ملاكمة باتت لا تذكر ازاء ما يجنيه الفنانون وكتّاب الاغنية من أرباح سنوية دائمة مع كل عمل ناجح.

بلغت أرباح عضو فريق الـ"بيتلز" السابق بول ماكارتني في العام ١٩٨٧ خمسة ملايين دولار من حقوق توزيع أكثر من خمسة آلاف عمل. كما يكسب خمسة ملايين دولار سنوياً، هي حصته (٢٥ في المئة) من حقوق تسجيلات البيتلز. كل ذلك من دون إتيان أي عمل جديد.

من الواضح أن النجومية تنال حقوقها. إنما المشكلة تكمن في عدم وجود مدارس أو تعاليم تصيِّر المرء نجماً. ما من طريقة تعلمك أي قصة أو أغنية أو شخصية ستحرز نجاحاً باهراً. فيلمان من كل خمسة أفلام رئيسية، وواحدة من كل خمس أغانٍ أو مسلسلات تلفزيونية، تسترد تكاليفها.

يسأل الممثل ووكيل الاعمال واين روجرز: "كيف تميز الفكرة الناجحة من الفكرة الخائبة؟ افترض أن شاباً دخل مكتبك وقال: لدي هذه القطعة الموسيقية عن يوليوس قيصر. ستطرده. ثم يعود الشاب لاحقاً ويقول: هذه قطعة موسيقية عن ايفا بيرون. ويأتي ثالثة سائلا: أتذكر كتاب ت.س. إليوت عن القطط؟ حسناً، ذاك أندرو لويد ويبر مبتدع "إفيتا" و"القطط". إنه صاحب مئات ملايين الدولارات."

صحيح ان النجومية امر خارق لا يعلّم في مدرسة، ولكن لا نجومية ولا خوارق حيث لا يعتبر فن التسلية ملكية فكرية تماماً مثل برامج الدماغ الالكتروني والمستحضرات الصيدلانية.

ألان دودز فرانك
وجايسون زفيغ

(٥) «Born in the U.S.A.»

نادراً ما تشهد أكشاك الهاتف أحاديث قصيرة. ف.ب.

قصة قصيرة

فوق الافق الكوني اندفع شيء غامض من النجوم وترك في نظامنا الشمسي هرماً من بلّور!

الخفير

عندما ترى البدر في المرة المقبلة عالياً في سماء الجنوب، تأمل جيداً حافته اليمنى ومرر نظرك صعودا على محيط انحناء القرص. قرابة الساعة الثانية ستلاحظ شكلا بيضوياً مظلماً. إنه "السهل العظيم،" احدى أجمل المناطق على سطح القمر، ويعرف باسم "بحر الازمات." طول قطره أربعمئة وعشرون كيلومتراً، تحوطه سلسلة من الجبال الرائعة التي لم تستكشف قبل وصولنا اليها في صيف ١٩٩٦.

كنت الجيولوجي المسؤول عن المجموعة التي تستكشف المنطقة الجنوبية. قطعنا مسافة مئة وستين كيلومتراً خلال أسبوع. وطفنا في التلال الواقعة عند سفوح الجبال في جرّار مكيّف الضغط. بدأت رحلتنا باكراً مع الفجر القمري، وبقيت لدينا مدة اسبوع

Condensed from «The Sentinel,» copyright © 1951 by Avon Periodicals, Inc., and 1979 by Arthur C. Clarke. From «Of Time and Stars: The Worlds of Arthur C. Clarke,» published by Puffin Books in association with Victor Gollancz, 1974. Illustration: Peter Gudynas

بالتوقيت الارضي قبل هبوط الليل. يكاد المرء لا يمل تلك الجبال الغريبة، الاكثر وعورة من تلال الارض اللطيفة. لم نكن ندرك، عندما انعطفنا حول نتوءات الجبل، أي أشياء رائعة ستظهر لنا.

تركنا مركبتنا ست مرات في النهار وخرجنا ببذلات الفضاء بحثاً عن معادن قد تهمنا. أبقينا على التوقيت الارضي. وفي العاشرة ليلا بعثنا الرسالة الاخيرة لاسلكياً الى القاعدة التي تبعد ثمانمئة كيلومتر. في الخارج كانت الصخور تتقد تحت أشعة الشمس العمودية. لكنه الليل بالنسبة الينا. نمنا، واستيقظنا بعد ثماني ساعات.

كان دوري لاعداد طعام الفطور في زاوية المقصورة الرئيسية التي كانت مطبخ المركبة. خرج السائق ببذلته الفضائية ليتفحص آثار المركبة. ودون مساعدي لويس غارنيت بعض القيود المتأخرة من البارحة.

بينما كنت واقفاً أمام المقلاة أنتظر نضوج النقانق، حدقت لاشعورياً الى الجبال التي ترتفع ثلاثة آلاف متر وتغطي الأفق الجنوبي كاملا. كانت سفوحها محجوبة بفعل تقوس السهل الفسيح أمامنا. وبما أن القمر عالم صغير جداً فقد كان الافق يبعد ثلاثة كيلومترات عن المكان الذي أقف فيه، والشمس تضرب تلك المتاريس بوهج يبهر الانظار، مع أن النجوم فوقها تشع بثبات في سماء مظلمة أكثر من منتصف ليل خريفي على الارض.

وقع نظري على تألق معدني على قمة نتوء عظيم. كان شعاعاً من النور، لا أبعاد له، كأنه نجمة انخمشت من السماء بمخالب احدى تلك القمم. وخيل الي أن السطح الناعم لصخرة ما يعكس أشعة الشمس مباشرة على وجهي. تسلقت برج المراقبة ببعض فضول لمعرفة نوع الصخرة التي يمكن أن تسطع باشراق في ذلك المكان. وأدرت المنظار نحو الضوء.

رأيت ما يكفيني كي أتشوق وأتعذب. مهما يكن ذلك الشيء، فانه صغير جداً ولا يمكن تحديده. ومع ذلك فله تناسق محير، والقمة التي رسا عليها مسطحة جداً. حدقت طويلا الى اللغز المتألق الى أن أعادتني رائحة الحريق المنبعثة من مطبخ المركبة الى وعيي، وأدركت أن النقانق المعدة للفطور قطعت رحلة الاربعمئة ألف كيلومتر من دون جدوى.

أمام الهرم

تجادلنا طوال ذلك الصباح ونحن في طريقنا عبر بحر الازمات. كان من المؤكد، قال رفيقاي، أنه لم يكن هناك أي شكل من أشكال الحياة على القمر. وأدركت أنا ذلك مثل أي شخص آخر، ولكن على العالِم في بعض الاحيان أن يجعل من نفسه مغفلا. وقلت أخيراً: "اني صاعد الى فوق، أريد أن أريح بالي."

فرد غارنيت: "اذا لم تدق عنقك فسوف تكون أضحوكة البعثة لدى عودتنا الى القاعدة."

خلدنا الى النوم باكراً تلك الليلة بعدما توغلنا مسافة ثمانمئة متر داخل النتوء. رافقني غارنيت في الصباح، وقد تنفس السائق الصعداء عندما تركناه ليهتم بالجرار.

للوهلة الاولى ظهرت المنحدرات الصخرية كأنها غير قابلة للتسلق. ولكن بالنسبة الى شخص لا يهاب المرتفعات بدا التسلق سهلا في عالم حيث الاوزان هي سدس ما هي على الارض. كانت محطتنا الاولى في نتوء على ارتفاع ألف ومئتي متر فوق السهل. ما زلنا نرى الجرار كأنه حشرة معدنية صغيرة بعيدة في أسفل المنحدر.

شعرنا ببرودة مريحة داخل بذلاتنا الفضائية، اذ كانت وحدات التبريد تحارب الشمس الحارقة وتبعد عنا حرارة أجسادنا. أدرك غارنيت أن عملنا مطاردة جنونية خيالية. ووافقته على ذلك. لكن متعة التسلق وادراكي أن أحداً لم يسبقنا الى هذا المكان منحاني المكافأة التي احتجت اليها.

وصلنا أخيراً الى حائط صخري يعلو حوالى ١٥ متراً فوق رؤوسنا. قد نجد على ذلك السهل الواسع الشيء الذي أغراني بالتسلق. كنت متأكدا من أنه ليس سوى جلمود حطمه نيزك سقط قبل عصور، وله سطح مستوٍ لا يزال براقاً في هذا الصمت غير القابلٍ للتغير.

استعملنا رزّة وحبلا لأنه لم تكن للحائط أي دعامات. لوحت بالرزة ورميتها فعلقت بحافة السهل بعد محاولتي الثالثة. وكنت الاول في تسلق الحبل تاركاً غارنيت ليلحق بي. كان وزني ١٨ كيلوغراماً فقط، لذلك سحبت نفسي الى أعلى بقوة يدي. لوحت لرفيقي وأنا على الحافة ثم تسلقتها بعجلة ووقفت منتصباً وحدقت أمامي.

حتى هذه اللحظة كنت مقتنعاً بأن لا شيء غريباً أو غير عادي أجده هنا، وأن القلق الذي انتابني دفعني الى هذه الخطوة. حسناً، لقد زال القلق، لكن الشكوك بدأت تمزقني.

كنت على سهل يبلغ عرضه حوالى ٣٠ متراً، وهو سُوِّي ومُهِّد ليحمل شيئاً هرمي الشكل يرتفع قامتين وقد ثبت في الصخر مثل جوهرة عملاقة متعددة الاوجه.

شعرت بارتياح وفكرت في انني ربما اكتشفت حضارة على سطح القمر.

بدأت أتساءل: هل كان هذا بناءً أم مقاماً أم شيئاً لا تسمية له في لغتنا؟ اذا كان بناء، فلماذا شيّد في مكان يتعذر بلوغه؟ تقدمت لأتفحص الشيء عن قرب، لكن حاسة ما منعتني من الاقتراب كثيراً.

ثم لاحظت شيئاً جمد الدم في عروقي. غلاف الغبار الكوني المتراكم على السهل بعمق بضعة سنتيمترات انتهى على نحو مفاجىء في دائرة طوقت الهرم وكأن حائطاً خفياً يحميه. التقطت حصاة ورميتها برفق نحو اللغز المشع. فبدا لي كأن الحصاة اصطدمت بسطح ناعم نصف كروي وتدحرجت برفق الى الارض.

أدركت أني أنظر الى شيء لا مثيل له في حضاراتنا الانسانية. لم يكن هذا بناءً، بل آلة تحمي ذاتها بقوى تحدت الابدية.

التفتُ نحو غارنيت الذي كان يقف بلا حراك الى جانبي. كان غافلا عني، لذلك لم أزعجه بل مشيت الى حافة المنحدر في محاولة لجمع أفكاري. على رغم الاثارة الاولى لاكتشافي افترضت أن هذا الظهور البلوري المفاجىء بناه قوم ينتمون الى ماضي القمر البعيد. ولكن فجأة انتابني شعور غامر بأنه غريب عن القمر بمقدار

غرابتي عنه. اذ لا يمكن أي حضارة قمرية، مهما كان مصيرها، أن تترك أثراً وحيداً لوجودها.

منارة عبر العصور

أمضينا عشرين سنة نسخِّر القدرة الوحشية للطاقة الذرية كي نشق ذلك الترس الخفي ونصل الى الآلة داخل الجدران البلورية.

تمكّنا من قياس عمر الآلة بواسطة سماكة غبار النيزك على السهل. ارتكزت الآلة على جبلها الخاص قبل أن تنشأ الحياة في بحار الارض. عندما كان عمر أرضنا نصف عمرها الحالي، اندفع شيء ما من النجوم عبر نظامنا الشمسي تاركاً أثراً لمروره، وأكمل طريقـه. واليكم تخميني في ما يتعلق بهذا الهدف:

قبل زمن بعيد، وسط مئات ألوف الملايين من النجوم الدائرة في فلك المجرة، عبرت أقوام غامضـة عوالم شموس أخرى وتخطّت كبرى المنجزات العلمية التي وصلنا اليها.

لا بد أن سكان تلك العوالم استكشفوا مجموعات النجوم مثلما استكشفنا نحن الكواكب. في كل مكان عوالم خالية وأخرى تتقدم ببطء وخمول. كانت أرضنا من هذه العوالم، ودخان البراكين يلوث الفضاء، عندما انزلقت السفينة الاولى لشعوب الفجر من وراء كوكب بلوتو.

نظر هؤلاء الهائمون الى الارض التي تدور بأمان في المنطقة الضيقة بين النار والجليد، وظنوا أنها الابنة المـدللة للشمس. هنا، في المستقبل البعيد، سيكون ذكاء. ولكن ما زالت أمامهم نجوم لا تحصى وقد لا يمرون في هذه الطريق ثانية.

لذلك تركوا هذا الخفير، واحداً من ملايين نثروها في كل مكان من الكون، لمراقبة العوالم التي تبشر بالحياة وحراستها. كان منارة تبث بصبر عبر العصور ما دام احد لم يكتشفها.

قد تدركون الآن لماذا وضع ذلك الهرم البلوري على القمر بدلا من الارض. لم يهتم صانعوه بالاجيال التي كانت لا تزال تجاهد لتتخطى طور الهمجية. انهم مهتمون بحضارتنا اذا اثبتنا جدارتنا بالحياة، وذلك بمواجهة التحدي الذي يتعين على كل الاجيال الذكية أن تواجهه عاجلا أم آجلا: عبور الفضاء الى ما وراء موطن النشوء.

ما ان ننجح في هذا الامتحان حتى يصبح الوقت هو الفاصل الوحيد بيننا وبين الهرم لنفتحه. لقد توقفت اشاراته الآن، وباتت مهمة واضعيه الاهتمام بالارض. قد يرغبون في مساعدة حضارتنا الناشئة. لا بد انهم عجائز، وعجائز جداً، وكثيراً ما يغار العجوز من الشاب.

لا يسعني الآن أن أنظر الى المجرة من دون أن أتساءل: من أي كتلة نجمية سيأتي المبعوثون؟ لقد أسكتنا جهاز الانذار ولم يبق لنا سوى الانتظار.

ولا أعتقد أننا سننتظر طويلا.

آرثر كلارك

للكاتب نحو ٥٠ مؤلَّفاً تراوح بين الاستكشافات الفضائية الجدية والروايات العلمية الخرافية. وروايته هذه، "الخفير" أو «The Sentinel»، ألهمت إنتاج الفيلم السينمائي الشهير "ملحمة الفضاء ٢٠٠١" أو «2001: A Space Odyssey»

السرطان هو السبب الاول للوفاة لدى النساء، ويلي مرض القلب في التسبب بوفيات الرجال، ويصيب بريطانياً واحداً من كل ثلاثة. وتجرى أبحاث لمعرفة أسبابه ومعالجته وتحسين فرص البقاء لضحاياه. هنا حصيلة أحدث الاكتشافات

السرطان يختار ضحاياه؟

هل هناك ما يمكن تسميته "العمر الخطر" بالنسبة الى السرطان؟

من الممكن أن يصاب المرء بالسرطان في أي فترة من حياته. لكن احتمالات الاصابة تزداد مع التقدم في العمر. فسرطان الرئة، الاكثر شيوعاً، يرتبط على نحو وثيق بعادة التدخين. وازدياد التدخين لدى النساء في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية أدى حديثاً الى ازدياد معدل الاصابة بين اللواتي تجاوزن سن الستين.

ولكن أكثر ما يبعث على الحيرة هو لماذا يصاب الاولاد بالسرطان. لقد بات هذا المرض قاتلا رئيسياً للاولاد بين السنة الاولى والسنة الرابعة عشرة من العمر، في المرتبة الثانية بعد حوادث الاصطدام.

Condensed from Options (April' 86), © 1986 by Options, London

هل السرطان وراثي في العائلات؟

لا، عموماً. ان سرطان الثدي المبكر هو أكثر شيوعاً في بعض العائلات من دون سواها. لكن البحث لم يثبت وجود صلة وراثية في ما اختص بهذا السرطان أو بسرطان القولون الذي يبدو أنه يصيب بعض العائلات. وتجرى أبحاث لمعرفة مدى تأثير الحمية في هذين النوعين من السرطان، وما اذا كانت هناك ناحية وراثية.

هل لا يزال التدخين الخطر الاكبر؟

بكل تأكيد. ان تسعاً من كل عشر حالات من سرطان الرئة تعود الى التدخين. والتدخين مرتبط بأنواع أخرى منها سرطان القصبة الهوائية والفم والبلعوم والحنجرة والمثانة والبنكرياس والكلى.

ان الذين يتنشقون الدخان وهم غير مدخنين، اذ يعيشون ويعملون مع مدخنين، يزداد خطر اصابتهم بأنواع السرطان الناتج من التدخين. قد يرتفع خطر الاصابة بسرطان الرئة بمعدل ٣٣ في المئة بالنسبة الى زوجة رجل يدخن ٢٠ سيجارة يومياً.

هل هناك أخطار في البيئة؟

هناك أنواع معينة من السرطان، كتلك المتعلقة بمعدن الأسبستوس، تتركز في أحواض السفن حيث كان الاسبستوس يستعمل. وهناك أنواع اخرى تحدث في بيئة معينة لكنها ترتبط بعادات السكان من دون أي علاقة بالمنطقة. ولكن، عموماً، يتعرض المدخنون الذين يقطنون في المدن للاصابة بالسرطان، اكثر من أولئك الذين يقطنون في الريف. وتتضافر الملوّثات الجوية مع دخان التبغ للتأثير في هذه الظاهرة.

هل في امكان الاتصال الجنسي أن يسبب السرطان؟

سرطان عنق الرحم هو الاكثر شيوعاً لدى النساء اللواتي ينشطن جنسياً في سن مبكرة. ويعتقد أن فيروساً، ربما انتقل جنسياً، يؤدي دوراً في تطور المرض. والوسيلة الوحيدة للوقاية هي اجراء فحص دقيق منتظم. فقد ثبت في أيسلندا، حيث تخضع النساء للفحص كل سنتين أو ثلاث سنوات، أن خطر الاصابة بسرطان عنق الرحم هبط الى ثلث ما كان. وفي النروج حيث تخضع نسبة خمسة في المئة فقط من النساء للفحص ارتفعت الاصابات ١٥ في المئة عما كانت في ١٩٦٥.

ويشير بحث الى أن تعاطي حبوب منع الحمل لمدة طويلة ربما زاد قليلا خطر الاصابة بسرطان الثدي. لكن ذلك لم يثبت الى الآن، ويعود في أي حال الى نوع من أقراص منع الحمل يحتوي على نسبة عالية من هورمون "استروجين،" ويبدو أن الاقراص تقي النساء من سرطان المبيض وبطانة الرحم.

هل هناك خطر كبير في حمامات الشمس؟

التعرض للشمس هو العامل الرئيسي في ارتفاع الاصابة بسرطان الجلد الذي يحتل المرتبة الثانية في قائمة

السرطانات الاكثر شيوعاً لدى النساء والرجال على حد سواء. وهناك دلائل على أن التعرض للشمس فترات قصيرة وحادّة أثناء العطلات يساهم في ازدياد الاصابات لدى شعوب المناطق الشمالية. ففي البلدان الاسكندينافية تضاعف عدد الاصابات خلال السنين العشر الماضية.

ان هذا السرطان، الاكثر شيوعاً بين الرجال، ينقسم ثلاثة أنواع: ورم خلوي حرشفي، ورم خلوي قاعدي، ورم قتامي خبيث ناشىء من اصطباغ الجلد(١). وفيما النوعان الاولان قابلان للشفاء، قد يصبح الثالث مميتاً اذا لم يكتشف باكراً.

انما ليس هناك دليل على أن تعاطي أقراص منع الحمل بالتزامن مع الحمامات الشمسية يزيد خطر الاصابة بالسرطان. وساد شك في أن المصباح الشمسي(٢) يحدث السرطان، ولكن الى الآن لم يثبت ذلك على نحو قاطع.

هل هناك أنظمة حمية واقية؟

لم يقم أي دليل قاطع على أن نظام حمية معيناً يسبب السرطان أو يؤمن الحماية ضده. ولكن يبدو أن هناك ترابطاً بين سرطان الثدي وسرطان القولون ونظام غذائي يحوي مقداراً عالياً من الدهن وقليلا من الالياف. ففي البلدان حيث يقل الدهن في الغذاء ويكثر الطعام الخشن(٣) كما في اليابان، تنخفض اصابات السرطان. وفي دراسة لنساء يابانيات قاطنات في الولايات المتحدة، حيث الطعام غني بالدهن وفقير بالالياف، تبين أن الجيل الثالث فقد مقاومته العالية لسرطان الثدي.

يتضح اذاً أن الوقاية هي في تناول أكثر ما يمكن من الاطعمة الخشنة، كخبز الدقيق الكامل والباستا (المعكرونة) والقمح الكامل والرز الاسمر والفاصوليا والبطاطا. والنظام الغذائي الذي يحتوي على نسبة عالية من الالياف يساعد على ازالة المواد الكيميائية الضارة من القناة الهضمية بسرعة فيحمي الجسم من ضررها.

وهناك أغذية تحتوي على فيتامينات ومعادن ربما ساعدت في الحماية من السرطان. ولكن يجب التثبت من ذلك. ان مادة "بيتا كاروتين" المتوافرة في الجزر وبعض الخضر تتحول فيتامين "أ" في الجسم وتعمل كواقٍ من السرطان. وهناك معدن الـ"سيلينيوم" المتوافر طبيعياً. وهو يخضع لاختبارات من اجل معرفة تأثيره في الوقاية أيضاً. ولكن علينا تجنب تناول اضافات من السيلينيوم لانه يمكن أن يصبح ساماً اذا ارتفعت كميته في الطعام.

هل تخفف الرياضة خطر الاصابة بالسرطان؟

اللياقة البدنية أفضل من البدانة كوسيلة للوقاية من بعض أنواع السرطان. البدانة مرتبطة بسرطان بطانة الرحم والمرارة، وان ندرت الاصابة بهما. وسرطان المبيض هو الاكثر شيوعاً بين

---

(١) Squamous cell carcinoma, basal cell carcinoma, malignant melanoma.

(٢) مصباح كهربائي يرسل الاشعة فوق البنفسجية ويستخدم خصوصاً في معالجة الامراض.

(٣) طعام، كالنخالة، يثير بخشونته التمعج اللاإرادي في جدران الامعاء.

ذوي السمنة المفرطة. وبينت الابحاث الاخيرة في الولايات المتحدة أن النساء الرياضيات قليلا ما يتعرضن للاصابة بسرطان الثدي والجهاز التناسلي في أواخر حياتهن.

وبمعزل عن عامل اللياقة أو البدانة، هناك نظرية تقترح أن الرياضة تؤثر في هورمونات المرأة، بحيث تبدأ فترة الحيض لدى الرياضيات في وقت متقدم وتنقطع في وقت مبكّر وتكون غير منتظمة. وهذا يشير الى أنهن ينتجن مقداراً أقل من الهورمونات الانثوية التي يحتاج اليها السرطان للنمو. ومهما يكن السبب فالباحثون يستنتجون، كما جاء في "مجلة السرطان البريطانية"، أن "التمارين الطويلة المدى ترسي نمط حياة يخفض بطريقة ما خطر سرطان الثدي والسرطانات الاخرى التي تصيب الجهاز التناسلي."

هل يمكن أن تصاب أنت بالسرطان؟

يُعتقد أن بعض الاورام المحدّدة في افريقيا ترتبط بالفيروسات. ان فيروس التهاب الكبد "ب"(٤) شديد العدوى ويصيب أكثر من ٢٠٠ مليون شخص من العالم. ومع أنه ينحصر في العالم الثالث فانه ينتشر سريعاً بين الشاذين ومدمني المخدرات.

ان الترابط بين هذا الفيروس وسرطان الكبد ثابت وان يكن غير حتمي. ومن الممكن الحؤول دون الاصابة به، وهو أول ما تسعى منظمة الصحة العالمية الى اقتلاعه. في هذه الاثناء لا يزال فيروس "آيدز"(٥) يحبط جهود العلماء الذين يسعون الى ايجاد دواء شاف. ان الترابط بينه وبين السرطان هو ورم "ساركوما كابوسي"(٦) الخبيث اذ انه من المضاعفات التي تتسبب في وفاة كثيرين من المصابين بمرض "آيدز."

تستمر مكافحة السرطان، لكننا غير قادرين على حماية أنفسنا، أكان ذلك بتغيير عاداتنا كالانقطاع عن التدخين أو بتوخي الحذر في انتقاء الاغذية التي نتناولها. فكلا الامرين لا يشكل ضماناً لنا ضد السرطان، ولكن ربما كان عيشنا ملتزمين القواعد الصحية السليمة الضمان الافضل لوقايتنا.

نستا وين إليس

(٤) Hepatitis B virus
(٥) آيدز هو داء فقدان المناعة المكتسبة.
(٦) Kaposi's sarcoma

هدية عم

في عيد ميلاده الثاني عشر تلقى الصبي رسالة من عمه يسأله أي هدية يريد، وهل يفضل أن يرسل اليه حوالة بـ٢٥ دولاراً. فردّ الصبي:

"عمي العزيز، شكراً على اهتمامك بي. أعلم أني سأحب أي شيء تهديه الي، ولكن ليس من الضروري أن ترسل أي هدية. و٢٥ دولاراً مبلغ كبير. ملاحظة: أمي نصّت الرسالة."

ج.د.

صوت السكون

نحن نقطن منزلا مجاوراً لطريق رئيسية مزدحمة، ويستحيل علينا تناول فطور هادىء في شرفتنا المقفلة.
وذات يوم سدّت الطريق بداعي الاصلاحات. فخرجت الى الشرفة لتناول الفطور وكان البرد شديداً. لكني وجدت الابواب والواجهات الزجاجية مشرّعة، فسألت زوجتي عن السبب وأنا أرتجف من البرد.
فأجابت: "وكيف نصغي الى السكون والابواب موصدة؟"

أ.غ.

اقتصاد الاب والابن

ربّانا أبي على حب الاقتصاد واجتناب الاسراف. وذات صيف ذهبت في مخيم كشفي وأردت أن أكتب اليه رسالة. فاقتلعت قطعة من لحاء الشجر ودبجت عليها كتاباً مشيراً بابتهاج الى أني اقتصدت فاستخدمت اللحاء المتوافر بدلا من الورق.
فنزع والدي طبقة من اللحاء وأرسلها إلي وقد خط عليها جواباً جاء في آخره: "تذكّر يا بنيّ أن في امكانك دائماً ان تتدبر أمرك بنصف ما هو متوافر لديك."

ج.س.

أمثولة زوج

تشكّى أحدهم الى صديقه من خشيته الشديدة الرجوع متأخراً الى البيت.
قال:"أنت لا تصدق كم أبذل من جهد كي لا أوقظ زوجتي. أولا، أطفىء المحرك على بعد خمسين متراً من البيت، وأكرج بالسيارة الى المرأب. ثم أفتح الباب بهدوء، وأخلع حذائي وأمشي الى غرفة النوم على رؤوس اصابعي وأنزع ملابسي بهدوء تام. ولكن ما ان أهم بالصعود الى الفراش حتى تستيقظ زوجتي وتصب عليّ جام غضبها."
فرد صديقه: "أنا أفعل خلاف ما تفعله تماماً، فعندما أعود متأخراً أحدث أكبر ضجة ممكنة. فأشعل الاضواء وأضرب الارض بقدمي وأقفل الباب بشدة وأطلب من زوجتي أن تقبلني ثم أنام.
فسأله صديقه وهو غير مصدق ما يسمعه: "وماذا تفعل زوجتك؟"
أجاب: "لا شيء. انها تتظاهر دائماً بالنوم."

صحيفة "ناشونال إنكويرر"

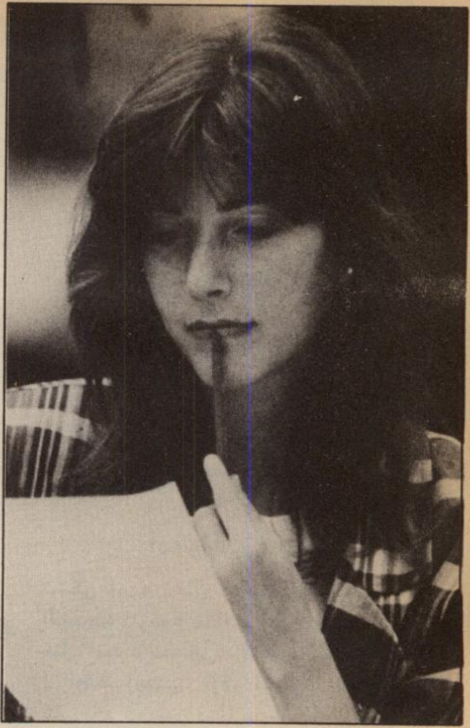

جرب هذا الامتحان لتعرف اسلوب تفكيرك وطريقة التعامل مع اولئك الذين يعالجون مشاكل مختلفة

أيّ مُفكِّر أنت؟

إن يكن التفكير تصرفاً غير منظور فنحن ندرك مسراه في عقولنا، ونرى انتاج افكار الآخرين من خلال الحلول التي يجدونها والقرارات التي يتخذونها. اما ما لا ندركه فهو ان الدواليب في عقولنا تدور بطرق مختلفة تماما. مثال ذلك: شخصان يشتريان سيارة جديدة. احدهما يجري دراسة استهلاكية شاملة وتحليلا ماليا، والآخر يؤثر التفرج عليها والتأثر بها. كل واحد منا يجمع الحقائق ويستنتج ولكن باسلوب في التفكير يختلف عن الآخر.

الامتحان الاتي الذي يضم مجموعة من الاسئلة يعطيك فكرة عن الفئة الفضلى التي يمكنك ان تصنف اسلوب تفكيرك فيها: هل هو اسلوب فلسفي تركيبي ام مثالي ام عملي ام تحليلي ام واقعي؟(★)

(★) اقتبس هذا الامتحان من
InQ Questionnaire, copyright 1977, 1980 by Bramson, Parlette, Harrison and Associates, Berkeley, Calif. 94707.

Condensed from «The Stressless Home,» copyright © 1985 by Robert M. Bramson, Ph.D., and Susan Bramson, published by Doubleday, Inc., New York, N.Y. This material also appeared in Ladies' Home Journal (October '85). Photo: Dennis Brack / Black Star.

ضع في المربع الرقم الذي يدل على درجة التشابه بينك وبين ما تحويه الفقرة، ولديك ارقام من ١ الى ٥: (١) يشبهك قليلا و(٥) يشبهك كثيراً.

أ. عموماً انا استوعب الافكار الجديدة على نحو افضل:

- بمقابلتها بافكار اخرى. ....
- بفهم طريقة تشابهها والافكار المألوفة. ....
- بربطها بالنشاطات الجارية والمستقبلية..................
- بالتركيز والتحليل الدقيق. ....
- بتطبيقها على الاوضاع الثابتة. ....

ب. كلما قرأت مقالا حول مساعدة الذات انتبهت اكثر:

- الى امكان تحقيق التوصيات او استحالة تحقيقها. ....
- الى صحة المعطيات، مدعومة بمعلومات. ....
- الى صلة النتائج بما لدي من خبرة. ....
- الى تفهم الكاتب لما يجب انجازه. ....
- الى الافكار المستنتجة من المعلومات. ....

ج. عندما أرى أناسا يتحاورون أوافق الجانب الذي:

- يحدد الخلاف ويحاول ايضاحه..................
- يجيد الاعراب عن القيم والمثاليات موضوع البحث اكثر من سواه. .....
- يعكس آرائي واختباراتي الشخصية أفضل من غيره..................
- يقارب الوضع بمنطق وتماسك أكبر. ....
- يحاور بقوة وايجاز أكبر..................

د. عندما أُفحص أو أُمتحن، أُفضّل:

- أسئلة ترفق بأجوبة أختار من بينها. ....
- تقريراً مكتوباً يشمل الخلفيات والنظريات والاسلوب..................
- تقريراً عن الطريقة التي طبقت بها ما تعملته. ....
- تقريراً شفوياً يشمل كل ما اعرف. ....
- مباحثة مع آخرين هم أيضاً يخضعون للامتحان. ....

هـ. عندما يضع أحدهم توصية، أفضّل:

- ان يراعي الموانع كما يراعي الفوائد. ....
- ان يُظهر كيف أن التوصية ستدعم كل الاهداف. ....
- ان يوضح اي منافع ستحقق. ....
- ان يعزز التوصية بمعلومات واضحة..................
- ان يظهر كيف أن التوصية يمكن ان تنفذ. ....

و. عندما أعالج مشكلة:

- أحاول أن أتصوّر كيف سيحلها الآخرون. ....
- أحاول ايجاد الطريقة الفضلى لحلها. ....
- أبحث عن وسائل لحل المشكلة عاجلا ....
- أحاول الربط بينها وبين مشكلة أو نظرية أوسع منها ....
- أفكر بعدد من الوسائل المتباينة لحلها..................

المجموع

فلسفي مثالي عملي تحليلي واقعي

اجمع علاماتك عمودياً، وضع المجموع في المربعات السفلى. الحرف الموجود تحت كل مربع يدل على اسلوب تفكيرك.

اعلى معدل تسجله يدل على اسلوب تفكيرك المفضل.

اظهرت دراساتنا ان خمسة عشر في المئة من الناس يستعملون كل اساليب التفكير على نحو متساو، بينما خمسون في المئة لهم اسلوب واحد مفضل. اما الخمسة والثلاثون في المئة الباقون فيتوزعون على مربعين او ثلاثة بحيث يكونون ذوي اسلوبين من التفكير او ثلاثة اساليب.

(١) ذو الاسلوب الفلسفي التركيبي: انت امرؤ مبدع محرّك يسير كل شخص ضعيف التفكير. سحرك وفلسفتك النظرية يصرفانك عن الحقائق الثابتة التي تهم كل انسان سواك.

ترى طرقا عدة للبحث عن الحقيقة، وبالتالي انت مناقش مجتهد. معظم الناس مفكرون مستقيمون، ينتقلون بالتتابع من فكرة الى فكرة اما انت فتقفز سريعاً من فكرة الى اخرى تاركاً غيرك يظهر مظهر التائه.

اذا كانت زوجك او احد اصدقائك من ذوي الاسلوب الفلسفي التركيبي، وانت لست كذلك، فذكّر نفسك بان حوارهما الفكري لن يؤخذ على سبيل المزاح. واذا خرج احدهما من دائرة ما دعه يطير قليلا فربما كانت هنالك فكرة مبدعة. اما انت فتهيأ لتكون عمليا من دون حماسة.

(٢) المثالي: يركز المثاليون في مناقشاتهم على التشابه. انت مصغ جيد تهتم للاهداف والقيم ولما هو خير للآخرين. تقدر الفضيلة والنزاهة، وغالباً ما تنكر على نفسك الفشل في ادراك توقعاتك السامية. يخيب املك بالآخرين عندما يتحايلون او يتجاهلون القيم الاخلاقية. المثاليون معنيون بالمستقبل اكثر من سواهم. ولكنك قد تنهك طاقتك الكبرى عندما تساعد من لا يحتاجون الى مساعدة او من لا يريدونها. قد يصفك بعض الناس بالفضولي.

اذا عشت مع مثالي آخر، فاحفظ في ذهنك انه قد يكون لديه توقع غير واقعي من نفسه ومن سواه. يسأل غالباً: "ماذا تتوقعون مني، من انفسكم، من الاطفال؟" انه مستعد للتحدث عن اهداف وخطط طويلة المدى. سهّل له الانتقاد، وتذكر انه لا يريد المس بك وقد يصبر على الضيم حتى ينفجر.

(٣) العملي: نظرتك الى الحياة ايجابية زاهية. ولما كنت تؤمن بالممكن فانك لا ترهق نفسك بالمشاكل. تدرك ان غداً سيمنحك فرصة جديدة للمحاولة.

ومع انك تدرك هدفك وتقبض بقوة على الحقيقة، فانك تفتقر الى الطاقة على التخطيط المفصّل. تركز على ما يمكن انجازه بما هو متوافر.

انت مبتدع، داهية، ولا يهمك صنع الاشياء على افضل وجه.

انت رجل تسوية، وقابل للتكيّف على نحو عجيب، لانك لا تحتاج الى ان تأخذ العالم كله دفعة واحدة. بجهد قليل يمكنك ان تقبض بحماسة على ناصية ما يبدو مستحيلا. انت اكثر الناس ادراكا للتنظيم الممتاز واشدهم براعة في المفاوضات.

لا تتوقع من العملي ان يخطط للمستقبل، فالاهداف الكثيرة تثقل كاهله.

(٤) المحلل: بصفة كونك محللا، تفكر في ان ثمة طريقة واحدة فضلى لعمل اي شيء على الاطلاق. والمحلل، ليجد تلك الطريقة، يقرر عقلانيا ماهية المشكلة، فيجمع المعلومات بتأن ويبحث بدقة عن المعادلة الصحيحة. ومتى وجدت الطريقة الفضلى رسخت في ذهنك حتى تأتي طريقة افضل منها على الاقل وتبرهن بدقة انها افضل.

انت مفكر ثابت، تؤمن بان الاحاسيس والتمنيات والاوهام كلها صحيحة وفي محلها شرط الا تمثل دوراً كبيراً في صنع القرار. وترى ايضاً ان المديح والمجاملة امران دخيلان. ولسوء الحظ قد يعتبر اهتمامك بالاتقان والدقة، من دون ثناء، جائراً وبمثابة التفلية من القمل.

اذا كان احد افراد عائلتك محللا فقد تشعر بالاحباط لاصراره المستمر على ان ثمة اسلوباً افضل مما هو مطروح.

لا تترجم عدم الحماسة استهجانا. والمحللون يحتاجون الى التفكير في كل الشؤون. حاول ان تتأكد من ان حساباتك تتوازن كل شهر، ان المحللين يوازنون الفاعلية بالكفاية.

(٥) الواقعي: مهما تشعر وتسمع فان الخبرة تبقى، خلافا لذلك، هي الشيء الحقيقي المثير، وما عداها خيالي او نظري ولا فائدة كبيرة منه. انت تحب الوقائع ولاسيما منها تلك التي تواجهك لأنك تأخذ الامور على النحو الذي تظهر فيه.

لا تثق بالتسوية، ولا بالبحث الفلسفي التركيبي، ولا بالمثالية، ولا بالاساليب الناعمة للتعامل مع الناس، بل ترى اهدافك بوضوح ولا تعرف لماذا لا يستطيع غيرك ان يراها كذلك. وهكذا متى شاركت العمليين في ارادة التحرك من دون الكثير من البحث عن الجوهر او التحليل فسرعان ما تنفصل عنهم عندما يحولون النقاش الى تسوية.

واذا تعاملت مع شخص واقعي فاشرح افكارك بايجاز متجنباً الاسهاب. دافع عن افكارك، الواقعيون يزدرون الذين يوافقون بسهولة تزلفا او حفاظا على السلامة. اذا وافقت على فعل شيء ما فافعله، فالاخلاف بالوعود هو احط شيء عند الواقعيين.

مهما يكن اسلوب تفكيرك فاحفظ في ذهنك ان الاختلاف لا يعني نقصاً. واذا كنت، مثلا، خارج منهج عائلتك او سربك، وتريد دائما ان تخطط عندما يصرّ الاخرون على ان يكونوا تلقائيين، فالزم موقفك. قد لا يستوعب الآخرون ذلك ولكنهم قد يحتاجون الى بعد نظرك الفريد.

وفِّق بين المهمات وطريقة تفكيرك، وخذ من الاعمال ما كان اكثرها ملاءمة لها. ولكن تحدَّ نفسك بان تجرب بين الحين والآخر امراً لا يأتي تلقائياً. كل امرىء يستطيع توسيع مدار عقله، ولا بأس في تعلّم خطط جديدة للتفكير بقليل من الجهد.

روبرت وسوزان برامسون

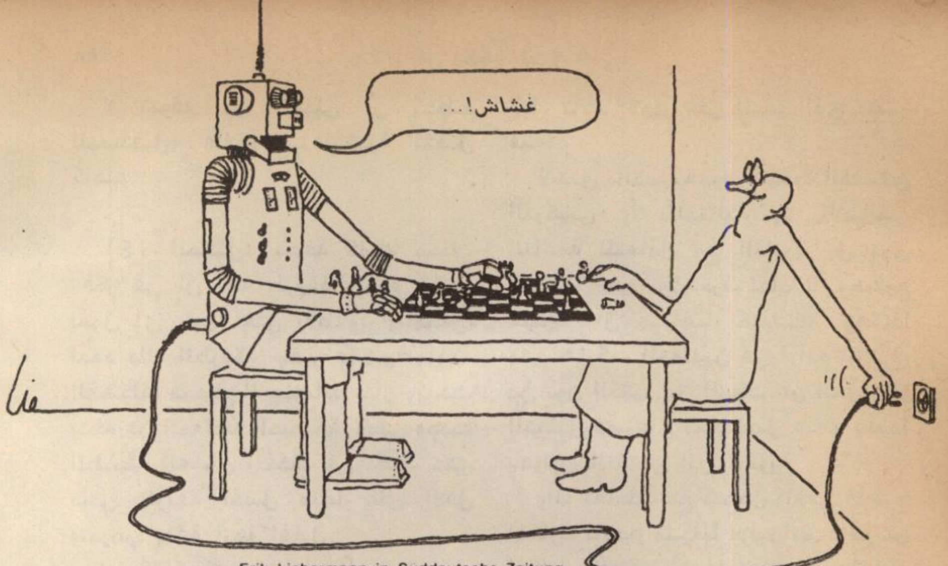

Erik Liebermann in Suddeutsche Zeitung

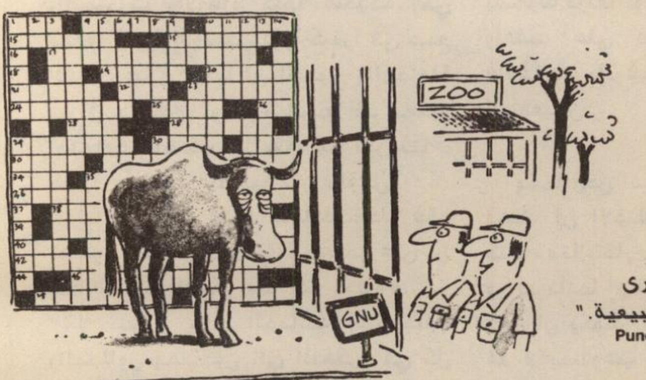

"يسعدني دائماً أن أرى
حيواناً في بيئته الطبيعية."
Punch / Süddeutsche Zeitung

"أعرف يا عزيزتي
أن اللعبة تأخرت كثيراً،
لكن واجبي الزوجي
يلزمني باستعادتك."
Fuchsel in Hörzu

لحظات لعوبة

"المتنزه أصبح مشاعاً. على كل لاعب أن يدفع للمالك ١٥٠ ألف دولار."

Johnson in Wall Street Journal

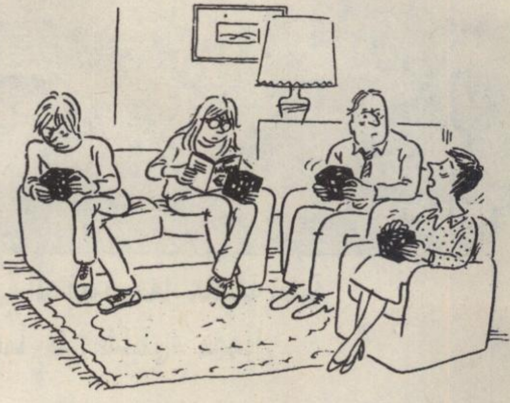

"عندما كنا نشاهد التلفزيون كانت أحاديثنا ممتعة أكثر."

Artz in Hörzu

"بصراحة، ألعاب الفيديو هذه أصبحت واقعية أكثر مما ينبغي."

L. Herman in Friends

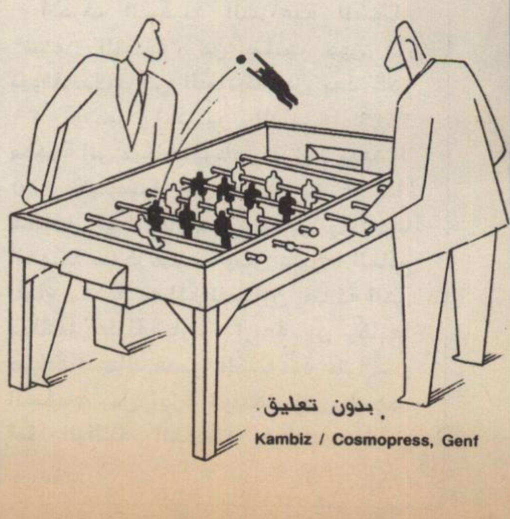

بدون تعليق.

Kambiz / Cosmopress, Genf

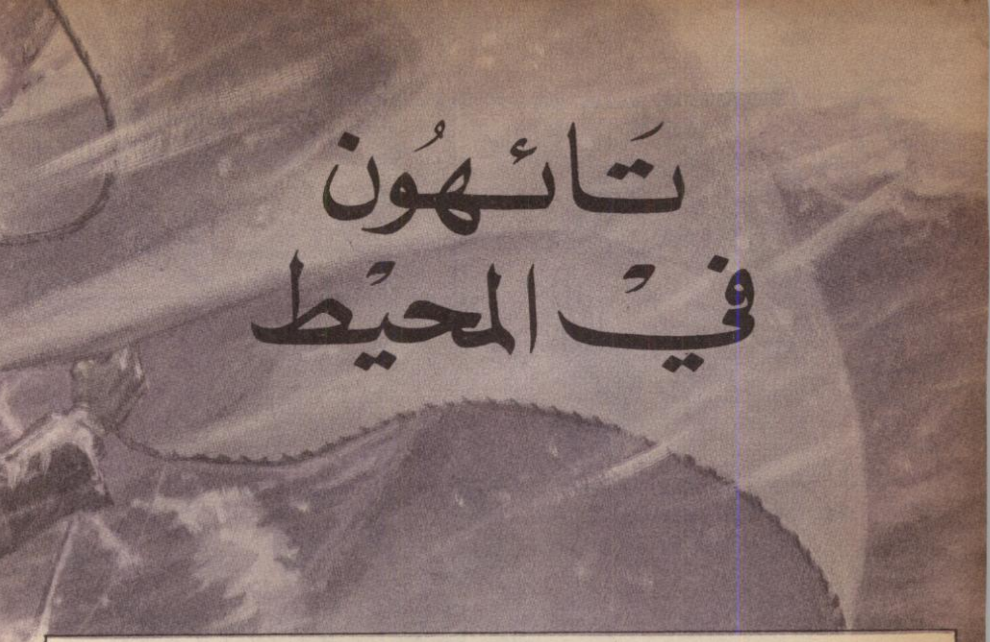

تائهون في المحيط

إنجرفت السفينة الشراعية الصغيرة بفعل عاصفة ليلية ورست بعد ٤٨ يوماً على شاطىء مجهول

جوانب مهشمة ومنصة مراقبة جرفها التيار وقوارب إنقاذ محطمة. هكذا رست السفينة بعد الفجر في خليج بين التلال. أمضى طاقمها المضنى نهاره مرسلا إشارات الاستغاثة وملوحاً بالأعلام ومطلقاً النار من بندقية قديمة. أخيراً مرت باخرة وأرسلت قارباً. ونادى ضابط: "ماذا تريدون؟"

أجابه قبطان السفينة الذي طال شارباه ونمت لحيته فبدا رثاً ووسخاً: "نحن من نيوفاوندلاند. وقد أبحرنا قبل ٤٨ يوماً."

– ولمَ قُطعتم هذه المسافة الطويلة؟

"لم نستطع شيئاً. لقد جُرفنا عبر الأطلسي. أين نحن الآن؟"

إرتاب الضابط في أمرهم: "ماذا؟ ألا تعرفون في أي بلاد أنتم؟"

أبحرت السفينة الشراعية السوداء "نبتون الثانية" من سانت جون في نيوفاوندلاند في السادسة من بعد ظهر ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٩ متجهة إلى ميناء نيوتاون الذي لا يبعد الا ١٨٥ كيلومتراً عن خليج بونافيستا. شحنها قبطانها جوب باربر وملاحوها الخمسة سمكاً مملحاً. وكان عنبرها المانع للماء محشواً بضائع للمخازن الثلاثة التي تملكها عائلة باربر. أربعة من ركابها صيادو أسماك قدموا المساعدة على متن السفينة بدل أجرة عودتهم إلى بلادهم. أما الراكبة الخامسة فكانت استر

Illustration: Earl Norem

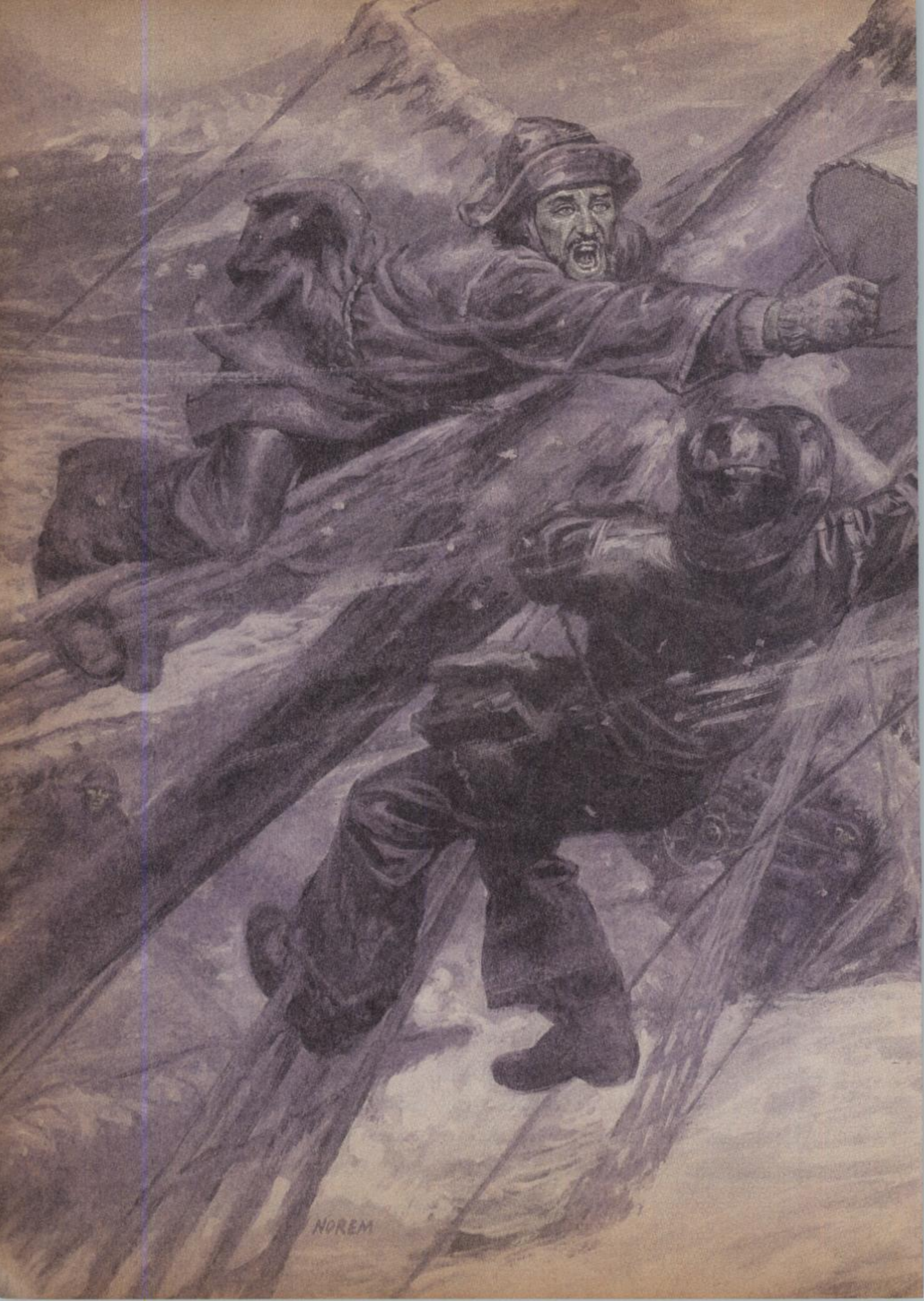
NOREM

هامفريز وهي امرأة في الخمسينات وزوجة عريف الملاحين بيتر هامفريز.

بعد وقت وجيز هبت عاصفة هوجاء حملت ثلوجاً حاجبة. وعند الفجر أصبحت السفينة على بعد ٥٥ كيلومتراً من نيوتاون ورأى ركابها تلك البقعة من اليابسة. لكن الريح تحولت نحو الشرق واتجهت نحوهم كالاعصار. لم يبقَ للقبطان جوب سوى الهروب نحو البحر.

عاصفة ثلجية - كانِ القبطان جوب (٣١ عاماً) بحاراً منذ سنه الثانية عشرة ومعتاداً الابحار على الشاطىء. فالابحار في المحيط لغز بالنسبة اليه، لكن انجرافه داخل البحر في سفينة من دون محرك لم يبدُ مجازفة غير عادية، وكان على ثقة بايجاد طريق للعودة خلال بضعة أيام. ومع ذلك، عندما تنبه إلى تلوث برميلي ماء على ظهر السفينة بالملح، اقتصد في توزيع الماء مقدماً نصف كوب من الشاي صباحاً ومساء الى كل شخص.

كان الثلج يتساقط رذاذاً منذراً بالخطر ومغلفاً كل شيء: ظهر السفينة والمرفاع والمراسي وجميع الحبال. تصلبت الأشرعة كالألواح وعمل الرجال على تفتيت الثلج وجرفه قبل أن يزيد وزنه فيقلب السفينة. ومع ذلك تحولت السفينة في الفجر التالي قطعة ثلجية من أقصاها إلى أقصاها. وأشار جهاز السرعة إلى ابتعاد "نبتون الثانية" ٢٢٠ كيلومتراً عن مقصدها.

تمايلت السفينة بعنف وغطى الثلج حافتها. كانت أشرعتها العليا تلوح طليقة مما اضطر جوب وأحد المتطوعين إلى التسلق لتثبيت حبال الأشرعة والصواري، وهي مهمة صعبة حتى في الطقس الجيد.

وتحطمت موجة لولبية كبيرة على مؤخر السفينة مدمرة حجرة الدفة. وحفظت الحبال المتشابكة عريف الملاحين هامفريز من الوقوع في البحر. انتشله الرجال من الركام بواسطة عوارض خشبية ثم نقلوه إلى أسفل. وعندما أسرعوا إلى إنزال الشراع الرئيسي الذي انقطع حبله، واجهوا البحر المريع الذي تدفق فوق السفينة، وجعلوا يتدافعون للامساك بالحبال حفاظاً على أرواحهم.

حفنة زبيب - بعد ستة أيام اندفعت السفينة إلى مياه دافئة في مجرى الخليج بعدما ذاب الثلج. لكن الرياح العاصفة والامواج العالية لم تتراجع الا قليلا. حتى السلوقيّة التي تجمع فيها الركاب، وهي حجرة مثلثة في مقدم السفينة ينام فيها البحارة، لم تكن آمنة. وتعين على الجميع ارتداء المعاطف الواقية من المطر إذ كانت مياه البحر تغمر السطح. أما الطبخ فكان مستحيلا.

أخيراً حل بعض هدوء منحهم فرصة تحضير الطعام بعد تسعة أيام من قضم الزبيب والكعك. وكانت مياه المطر المتجمعة في الأوعية المعلقة تحت الأشرعة كافية لتحضير حساء البازلاء.

اغتبط الرجال بتغير اتجاه الريح فرفعوا الأشرعة وانطلقوا نحو نيوفاوندلاند. وبعدما أبحروا ٤٦ كيلومتراً براحة وأمل طوقت العواصف "نبتون الثانية" من جديد فانجرفت تحت رحمة الريح والأمواج.

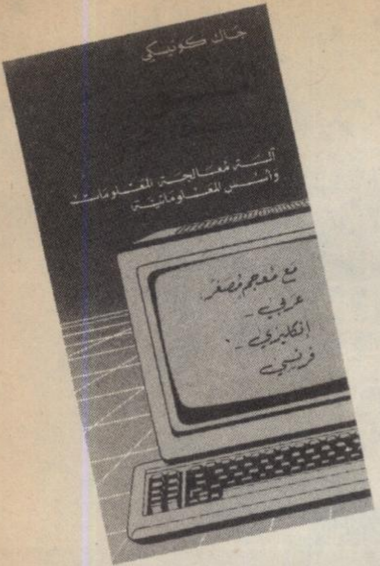

المُنَسِّق (الكومْبيوتر)

آلة مُعالجة المعلومات وأسُس المعلوماتيّة

تأليف جاك كونيسكي

هل هناك تعبير علمي اقرب الى عمل الكومبيوتر من كلمة "المنسق"؟

و"المنسق"، كما يصفه واضعه المهندس والاستاذ الجامعي جاك كونيسكي، هو "مرجع دقيق، علمي، سهل يوضح لنا حقيقة هذه الآلة (الكومبيوتر) التي فرضت استعمالها لمعالجة المعلومات في حياتنا اليومية وأدخلت حقلا جديداً في سلسلة العلوم عُرِفَ بالمعلوماتية، ما لبثت أن أصبحت أداة أساسية تستعين سائر العلوم بطاقاتها.

وهذا المرجع المطلوب هو الآن بين أيديكم، وقد وُضع للمرة الاولى في اللغة العربية مع التصوير التقني الملوّن ملحقاً بمعجم مصغّر للمعلوماتية يَسْرد أهم كلماتها وعباراتها باللغات العربية والانكليزية والفرنسية.

ولا شك في أن هذا الكتاب يُكَوِّن أداة مفيدة سوف يستعملها التلامذة والطلّاب والموظفون وأربابِ العمل والمسؤولون في جميع المِهَن والحقول؛ وهو لم يوضع فقط ليُطالع بل ليُعتمد مرجعاً يُستشار كلما دعت الحاجة الى توضيح فكرة أو كلمة أو عبارة أو إلى رؤية صورة تعود الى المُنَسِّق والمعلوماتية."

أسرع في الحصول على الكتاب الآن.

قسيمة الشراء (إملأ بخط واضح وبالعربية أو الانكليزية):

الاسم: ________ العمر ________

العنوان الكامل: ________

(ارسل بالبريد الجوي المسجّل (المضمون) القسيمة مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم جاك كونيسكي بقيمة ١٠ (عشرة) دولارات أمريكية الى أحد العنوانين الآتيين:
مجلة "المختار": ص.ب: 8707-11 بيروت - لبنان أو - مجلة "المختار": ص.ب: 55228 المتن • الشمالي - لبنان.
الرجاء وضع العبارة الآتية على المغلّف: "المنسق".

بحلتها الجديدة

مجلة كل بيت

الحسناء

اسبوعية فنية اجتماعية شاملة

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة تهتم بشؤون كل بيت:

- منوعات
- تحقيقات ومقابلات
- فن
- ثقافة
- تجميل
- اناقة
- مشكلة وحل
- طب
- مطبخ
- طبيعة
- حديث الابراج
- بالاضافة الى عدة ابواب اخرى

في فجر اليوم الرابع عشر علت صرخة ابتهاج: "سفينة! سفينة!" وتوقفت "سدريك"، إحدى بواخر شركة "وايت ستار"، رداً على نداءاتهم واتجه القبطان جوب وثلاثة رجال نحوها في زورق صغير. كان البحر هائجاً، وأثناء تسلق جوب سلم الحبال في السفينة المترنحة اهتزت هذه فسقط في المياه. إنتشله رجاله، لكن المسامير الناتئة في جانب السفينة قلبت الجميع.

لم يتمكن جوب من الصعود الى متن "سدريك"، فاستعلم عن خطي الطول والعرض في تلك المنطقة بواسطة سلة دليت من جانب السفينة، وبعث برقية إلى بلاده. لكنه نسي أن يطلب ماء. وأسوأ من ذلك أن تلك المعلومات البحرية لا تجدي من دون خرائط. كل ما علمه أنهم على بعد ١٣٠٠ كيلومتر من نيوفاوندلاند.

بقيت الريح رحيمة بضعة أيام. وتابعت "نبتون الثانية" ابحارها على أمل هدوء العواصف. ولكن بعد ٤٥٠ كيلومتراً هبت ريح معاكسة شديدة. وفي ٢٠ ديسمبر (كانون الأول)، وهو اليوم الثاني والعشرون من الابحار، توقفت الباخرة "بيفربرن" للعون. ومنعها البحر الهائج من إرسال زورق فأشارت بالأعلام، لكن أحداً من الطاقم لم يفهم وابتعدت الباخرة.

أجبرت "نبتون الثانية" على تغيير اتجاهها بسبب العواصف العنيفة. تدفقت الأمواج فوقها واحتجزت الطاقم والركاب في حجرة السلوقية. وفي ليلة الميلاد استطاعوا تحضير إبريق من الشاي. كان يوم الميلاد فترة راحة قصيرة بعدما تقدموا ببطء ٦٥ كيلومتراً من بلادهم. أما عشاء الميلاد فكان حفنة من الزبيب.

طيور نورس — كان الطعام قليلا على رغم أن مخازن السفينة كانت ملأى بالمؤن. وفي ٢٧ ديسمبر (كانون الاول) جازف رجلان بفتح جزء من باب المخزن الرئيسي بحثاً عن طعام. كانا عرضة للسحق بين الألواح الخشبية وأقفاص الشحن، فلو تكسرت موجة كبيرة على ظهر السفينة وملأت المخزن لغرقا. وبعد سحب كمية كافية من الطعام والفحم ثبت الرجال باب المخزن بعوارض خشبية.

بعد ٣٠ يوماً أدرك القبطان جوب أنه في حاجة إلى شهر آخر من الابحار للوصول إلى نيوفاوندلاند، حتى في الأحوال الطبيعية. وقال: "أيها الرجال، السفينة شبه محطمة، ونحن منهكون، اذا تابعنا محاولة العودة إلى نيوفاوندلاند فسنمضي الشتاء في البحر. سنحاول الاتجاه إلى الجزر البريطانية."

وعثر أحدهم على خريطة قديمة للطرف الغربي من القناة الانكليزية (بحر المانش) في إحدى الخزائن. وفي السادسة من مساء ٣٠ ديسمبر (كانون الأول) استدارت "نبتون الثانية" نحو الشرق.

أبحرت بانتظام مدة أسبوعين شمالا – شرقاً في أحوال أفضل من قبل. سارت في اتجاه الهواء بدلا من مقاومته. لكن الأعشاب والحيوانات اللاصقة في أسفلها خففت سرعتها. تفتتت الحبال وهددت بتعطل الاشرعة سريعاً. واسودّ لون

الركاب فباتوا كالغربان. فلا ماء للاستحمام.

وذات ليلة قرر جوب بعث رسالة إلى أمه داخل قارورة مختومة. لكنه لم يلبث أن طرد الفكرة من رأسه اذ شعر أن فيها دليل جبن. وفكر: غداً يكون أفضل، ساعدنا يا إلهي!

في اليوم التالي ألقي خيط الرصاص لسبر عمق البحر. وراقبه الرجال بقلق إلى أن توقف فجأة على عمق ١٨٠ متراً. إنهم يقتربون من أحد الشواطىء. ولكن أين؟ كانت السماء صافية وطيور النورس محلقة فوق الصواري. أشار خيط الرصاص بعد قليل إلى عمق ١١٠ أمتار. وفي تلك الليلة صاح أحدهم: "اني أرى ضوءاً!"

إشارات استغاثة - كان مساعد القبطان بيرس باربر يهتف كلما ومضت المنارة البعيدة. ومضة كل ٢٠ ثانية. لا بد من أنها جزر سيلي قرب رأس كورنوال جنوب غرب بريطانيا. بعد ٤٦ يوماً تحت رحمة الرياح اقتربت السفينة من المكان ذاته الذي كانت تقصده. وقال القبطان جوب: "غدا نكون في بليموث أيها الاخوة!"

وحين لمع ضوء آخر في الميناء تأكد جوب من أنها صخرة وولف. وأيقن من الخريطة أنهم سيقطعون سلسلة من المنائر، ورأساً تلو آخر، حتى الصباح. لكن تتابع الأضواء لم يتطابق مع الخريطة، لعلها ليست القناة الانكليزية!

ثم سُمع إنذار مفاجىء. "هناك أضواء الى اليمين." كانت هناك أضواء على الجانبين. لا يعقل أن تكون تلك القناة.

ومع ذلك كانت اليابسة بادية بوضوح تحت ضوء القمر. إنه منظر لا يقدر بثمن، وإن تكن الأرض مجهولة.

بعد تغيير الاتجاه والابحار المرهق ألوف الكيلومترات توقفت "نبتون الثانية" على شاطىء مجهول تماماً تهب نحوه الريح. نفحة ثانية سترميها على الصخور، لأنها لن تصل بأمان وأشرعتها عارية من الحبال والقبطان عاجز عن معرفة سلسلة الصخور والأخطار الكامنة تحت سطح الماء. إن ثقبت السفينة فلن يتمكن أحد من النجاة بسبب تحطم زوارق الانقاذ واستحالة السباحة.

في وقت متقدم بعد الظهر بانت بيوت على بعد تسعة كيلومترات. قال جوب: "سنعرف هوية البلد قبل حلول الظلام."

مع المغيب انعطفت السفينة المحطمة بعيداً عن الميناء الغريبة وأطلقت النار طالبة النجدة. رأى الطاقم ثلاثة رجال يغادرون الميناء في زورق صغير. لكن انهماراً جارفاً للمطر غلفهم وعاد الزورق من حيث أتى. ثم حمل تيار سريع السفينة إلى ظلمة مخيفة.

طوال الليل أبحر القبطان جوب متعرجاً وعيون الجميع شاخصة الى منظر الأمواج المريع. عند الفجر بانت منارة أخرى وأسرعت السفينة نحوها منعطفة نحو خليج رملي صغير تحوطه جبال مكللة بالثلوج.

"أنزلوا الشراع الأمامي والشراع الرئيسي! هل المرساة جاهزة؟"

- كل شيء جاهز يا سيدي.

"اقتربنا ما فيه الكفاية. هيا."

إنه ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٠

والسفينة في المرفأ. ولكن في أي بلاد؟ هناك رجل يمشي على الشاطىء مع كلب أسود، وثلاثة رجال آخرون، لكن أحداً لم ينتبه الى السفينة المسحوقة ورايتها الحمراء معلقة مقلوبة علامة الضيق. كان حافظ المنارة يشير بالأعلام، لكن أحداً لم يفهم قصده.

في المساء تصاعد دخان من عمود خلف المنارة، ورفع حافظ المنارة العلم. ظهرت باخرة صغيرة مسرعة في محاذاة الشاطىء، وتلاشى الزبد الابيض تحت مقدمها عندما أبطأت. اتجهت نحو الخليج ورست، وعندئذ تمكن طاقم "نبتون الثانية" من قراءة اسمها: "هسبيروس." وخلال لحظات قليلة اقترب زورقها المجهز بمحرك.

سأل الضابط: "ماذا! ألا تعرفون في أي بلاد أنتم؟"

أجاب القبطان جوب: "لا، لم نقصد قطع المحيط الأطلسي."

- حسناً، أنتم في شمال اسكوتلندا.

رست "نبتون الثانية" في أردنامرشان في المرتفعات الجنوبية. والضوء الذي حسبه ركابها جزر سيلي كان منارة سكيريفور، والجزيرة حيث عجز الزورق الآلي عن الوصول اليهم كانت تيري.

اصطف ألوف الاسكوتلنديين على رصيف الميناء فيما سحبت السفينة النيوفاوندلاندية بركابها الشجعان إلى بلدة أوبان. وبعد استقبال شعبي في المبنى البلدي واستراحة قصيرة، عاد معظم المغامرين إلى بلادهم في باخرة أخرى. وبقي القبطان جوب باربر، وركّب محركاً لسفينته لئلا تقع ثانية في خطر الانجراف عن الشاطىء. وبعد ثلاثة أشهر عاد جوب الى سانت جون وحظي باستقبال الأبطال. وأسس في ما بعد شركة للهندسة البحرية.

وعادت "نبتون الثانية" بعد إصلاحها مع قبطان آخر. وبيعت بعد سنوات، ولم تلبث أن غرقت وسط الأطلسي في رحلة إلى البرتغال.

جون دايسون

أم مهجَّرة

تقدمت سيدة تحمل كيسين كبيرين من ابنتي راجية أن توصلها بسيارتها الى بيتها القريب. وسرّت ابنتي بتقديم هذه المساعدة.

وفي السيارة بدأت السيدة تتذمر من العيش في المدينة. لقد نزلت من الجبل استجابة لإلحاح ابنها. انها تفتقد بيتها الجميل الذي تركته وأثاثها الانيق الذي باعته. جميع أصدقائها هناك، والناس هنا غير لطفاء. وأضافت أنها مستعدة لأي شيء من أجل إرضاء ابنها، لكنها تأسف لانتقالها الى هنا.

وسألتها ابنتي وهي تترجل من السيارة: "هل يقطن ابنك في مكان قريب؟"

فأجابت السيدة: "آه، لا، انه في الجبل."

إ.و.ا

قبل ٢٠٠٠ سنة نصح الطبيب الاغريقي أبقراط بمزاولة المشي كمقوّم أساسي لحياة سليمة. واليوم يُعمل بهذه النصيحة في أنحاء العالم، وقد طور الانكليز رياضة المشي وخصصوا لها دروباً ومعابر كما ابتكروا اشارات سير وانشأوا ضابطة لـ"حقوق المرور." وذهبوا بعيداً في هذا المضمار الى حد يوحي كأن بريطانيا اضحت كلها حقلا واسعاً لممارسة هذه الهواية الممتعة.

عالياً في طريق داونز الجنوبية لم يكن أحد على مرأى مني ومن زوجتي ونحن نعبر الممر القديم. امتدت مقاطعة ساسيكس تحت أنظارنا. ثم تسلقنا قمة تلة وتوقفنا عجباً. أشرفنا على مجموعة من المشاة انتشروا الى مسافة بعيدة.

بدافع فضولي جلسنا نراقب مرورهم. إنهم أعضاء في "اتحاد مشاة المسافات الطويلة"، ويمضي نحو ٤٠٠ منهم عطلة الربيع في اجتياز المسافة بين ونشستر وايستبورن في "رحلة المئة ميل"(١) السنوية.

تستقطب هذه الرياضة جميع فئات المشاة، السريعين والمتمهلين، ممن جعلوا السير رياضتهم الوطنية المفضلة. وبحسب تقرير حكومي حديث، يمارس مواطن من كل خمسة المشي بانتظام في الريف. وكمعدل وسط يقطع المرء سبعة كيلومترات أو ثمانية متمتعاً بأفضل وسيلة للاستجمام نصح بها الطبيب الاغريقي أبقراط قبل ألفي سنة كمقوم أساسي لحياة سليمة.

تغطي ممرات المشاة والجياد ١٩٣ الف كيلومتر في انكلترا ووايلز، حيث يمكن ركوب الاحصنة او الدراجات، كما تغطي الوف اخرى اراضي اسكوتلندا. هناك احتياط وافر لجميع الذين يشاركون في ما يسميه الكاتب ديفيد شارب "دافع الاستكشاف بالاسلوب الوحيد الذي يناسب رقة ريفنا: على الاقدام."

الهيئات السياحية وجمعيات المشي والمتنزهات العامة والسلطات المحلية، جميعها، تقدم خرائط وأدلة الى المشاة. نحو ١٠٠ منشورة مجانية أو شبه مجانية تصف النزهات في مقاطعة آفون فقط. كذلك تصور كتب أكثر شمولا طرقاً مختارة في أنحاء البلاد. في العام ١٩٨٦ ذهل محررو "كتاب نزهات الريف"(٢) الذي بيعت منه نصف مليون نسخة، لدى سماعهم نبأ اجتياز امرأة من شيشاير دروبه الـ٢٠٥ الممتدة من كورنوال الى الاراضي الجبلية والتي بلغ طولها الاجمالي ١٤٤٠ كيلومتراً.

تجارة مزدهرة – هناك أساليب أقل صعوبة لاختبار متعات المشي. في امكان

---

(١) نحو ١٦٠ كيلومتراً.

(٢) Book of Country Walks

المرء وضع خطة للطريق التي سيسلكها خلال النهار مستنداً الى خريطة، فيحمّل دراجة في سيارته الى نهاية الطريق ويقفلها أو يربطها هناك، ثم يوقف سيارته في الطرف الآخر من الطريق

يخططون لنزهاتهم نصف الشهرية في وليمة غداء في مقهى.

غالباً ما تنظم النوادي برامج لنزهات مع دليل. كذلك تفعل مؤسسات تجارية عدة وسلطات محلية. كما تقدم "هيئة

ازدهار... المشي!

ويمشي الى حيث الدراجة ويعود بها. او يجرب تلك النزهات الدائرية المتكررة ويقطع ما بين ثلاثة كيلومترات و١٦ كيلومتراً منطلقاً من نقطة محددة ومنتهياً فيها.

توفر هذه النزهات "الفوائد الموعودة" كالمناظر الشاملة الرؤية و"اللفّات" القصيرة التي تعيد المرء الى نقطة الانطلاق. يخطط المتجولون الحذقون لهذه النزهات ويكتبون عنها في الصحف المحلية، ثم تجمع في كتيبات. يشتري السكان المحليون نحو ٨٥٠ نسخة سنوياً من "نزهات مايك في مقاطعة بولتون" وهي كتيبان للمحامي مايك كريسويل يتميزان بمداعبات كلامية مثل: "في هذا الحقل، طمعاً بمزيد من قطع السكر، كشر جواد عن أسنانه وفكّ أزرار قميصي قبل أن يحاول نزع سروالي."

المشي متعة أنيسة، خصوصاً بالنسبة الى ٧٧ الف عضو في ٦١٥ نادياً للمشي منتسبة الى "جمعية المتجولين"(٣) في بريطانيا. وما زال "جوّالو الغابات"(٤) الموقرون في لندن يتكاثرون منذ ١٠٣ سنوات ومعظمهم من المتقاعدين الذين

مرسيسايد للسياحة" رحلات ليفربول الممتعة مثل "طيور ليفر ومفاجآت أخرى" يواكبها أدلة متخصصون. وفي لندن يكتشف المشاة زوايا تشارلز ديكنز ويتعقبون تفاصيل "الحريق العظيم." وقد شاركت نوادي مقاطعة ساسيكس في تحضير ١١٨ نزهة للعائلات أثناء أشهر الصيف، وتدير شركة "دورهام" رحلات بعربات الجياد: "أركب وامشِ."

أما الذين يملكون مزيداً من الوقت والمال فتعرض لهم ٨٠ شركة عطلات للمشي في بعض المناطق الفاتنة. فالاعمال في ازدهار. وبلغ عدد زبائن احدى الشركات ٣٥ الفاً، بينهم ألفا زائر أجنبي، تشوقوا الى اجتياز الدروب "الشاقة" أو "المعتدلة" أو "السهلة."

ميراث الجميع - عموماً، يعتبر قطع ثلاثة كيلومترات في الساعة خطوة مريحة في السهول المنبسطة مع التوقف من حين الى آخر. وترتأي جمعية المتجولين المشي ١٣ كيلومتراً يومياً كحد أقصى

(٣) Ramblers' Association
(٤) Forest Ramblers

للمبتدئين و١٦ الى ٢٤ كيلومتراً كمسافة معتدلة للأكثر خبرة. جون ميريل، الذي يلقب "أهيَب مشاة بريطانيا" اذ يضم سجله ١٢ نزهة على القدمين تتعدى مسافة كل منها ١٦٠٠ كيلومتر، يقطع حوالى ٤٥ كيلومتراً يومياً بمعدل خمسة كيلومترات في الساعة متبعاً القاعدة الصارمة: "أدر عيناً عمياء نحو القروح."

آن كنتم تهدفون الى قطع التضاريس الوعرة، فستحتاجون الى أحذية خاصة بالمشي. في العام ١٩٨٦ اشترى الزبائن نحو ١٠ آلاف زوج أحذية من ٣٠ متجراً لشركة "بلاكس" في أنحاء البلاد. ويدفع معظم الناس ما يراوح بين ٤٠ و٥٠ جنيهاً استرلينياً (٧٢ - ٩٠ دولاراً) ثمناً للحذاء، في حين يبلغ سعر الحذاء المانع للماء ضعفي ذلك. اما حقائب الظهر والمعاطف والسراويل الواقية من المطر فتزيد الكلفة ٦٠ جنيهاً (١١٠ دولارات) على الأقل. وتدل احصاءات مبيعات ملابس المشي التي تزداد نحو ٢٠ في المئة سنوياً، على رغبة البريطاني في مزاولة المشي في جميع المناخات.

يظهر هذا العناد لدى المشاة المتخصصين امثال طوم بنسون من برستون في لانكشاير الذي حطم الرقم القياسي للمشي بلا توقف في العام ١٩٨٦ وأدهش العالم حين قطع ٦٦٧ كيلومتراً في ١٥٧ ساعة. كما سجل جورج ميغان، من كنت، الرقم القياسي في مشي أطول المسافات: ٣٠٦٠٨ اميال من اقصى أمريكا الجنوبية الى ألاسكا الشمالية، واستمرت رحلته ست سنوات وتسعة أشهر.

كذلك لا يتعب ٥٣ الف عضو في جمعية المتجولين. تتعرج ثماني طرق عامة من كل عشر داخل المزارع، ويشن هؤلاء الاعضاء معارك مستمرة لفتح الممرات المحروثة او المقفلة ببوابات حديد أو أسلاك شائكة او محاصيل زراعية. ويقول سكرتير الجمعية الآن ماتنغلي: "إنها مسألة حقوق عامة وجزء من ميراث الجميع". وفي كل سنة تقطع نصف ممرات المزارع بطرق غير شرعية.

تقدم "لجنة الريف" الحكومية الى السلطات المحلية منحاً سنوية للطرق المعدة للاستجمام تقدر بـ٣٠٠ ألف جنيه (٥٤٠ الف دولار). وتستخدم هذه السلطات عدداً متنامياً من "ضباط حقوق المرور." وفي العام ١٩٨٥ ثبتت مقاطعة لينكولنشاير ٩٠٥ معابر و١٠٥٠ اشارة سير في الطرق. وتساهم مجموعات من المتطوعين المحليين في الاعمال الشاقة لفتح الممرات.

وتقدم جمعية "تشيلترن" مثالا رمزياً على انجازات المتحمسين الهواة، إذ أطلقت في العام ١٩٦٧ مشروع "دروب اللجان الاهلية." بعد مسح ممرات المنطقة التي بلغ عددها آنذاك ٣٢٠٠، اكتشفت الجمعية نحو ألف ممر مغلق أو محفور أو مغطى بالنبات. ومنذ ذاك الحين نظمت حملة لاقناع المزارعين بازالة تلك العقبات. ويتولى الاعضاء وضع "أسهم بيضاء" هي اشارات المشي.

تحضيرات ومكافآت - بدأ متطوعون المهمة الطويلة في تحضير الخرائط المفصلة. وحصل حادث بسيط في العام

١٩٧٥ حين صدر قرار بأن أحد الممرات في مقاطعة تشيكرز والذي يغطي ٤٥٠ متراً في المقر الريفي لرئيس الوزراء، يشكل خطراً على الامن، وجرى تحويله بأمر حكومي. وتملك جمعية "تشيلترن" اليوم احدى أفضل شبكات الممرات في بريطانيا. وبيع أكثر من ١٠٠ الف خريطة للمشاة الذين يحتشدون هناك، وكثير منهم من لندن.

قليلون يميزون اتساع شبكة الدروب المرخصة. فقد حوّلت سكك حديد كثيرة دروباً للمشاة مثل خط وادي سيت في اقليم بيك والخط المهمل بطول ٧٢ كيلومتراً في دورهام التي تتباهى بمحطة يقال انها مسكونة بشبح القطار المتأخر من نيوكاسل. اما الممرات على ضفاف القنوات والانهار، التي يبلغ طولها الاجمالي ٣٢٠٠ كيلومتر، فهي مفتوحة للجميع وان تكن غير مرخصة.

الى ذلك، تتعدد الدروب الطبيعية حيث يتعلم الزائرون المزيد عن الحياة الحيوانية والنباتية بمساعدة خريطة صغيرة تزودهم معلومات مثيرة. هناك دروب جيولوجية ودروب صناعية ودروب حرجية. وفي ٦،٤ كيلومترات من الطريق الاثرية في اقليم بيك يجتاز المرء ستة آلاف سنة من التاريخ، من القبور الضخمة الى افران القرميد الفيكتورية. وهناك "طريق برونتي" التي تمتد ١٥،٥ كيلومتراً في مستنقعات يوركشاير ولانكاشاير، وقد عبرتها الاخوات الروائيات الشهيرات.

مستنقعات بريطانيا وتلالها مناطق رائعة للمشي، خصوصاً في اقليم لايك. هناك تسلك العائلات الطرق السهلة التي حددتها خرائط "هيئة كمبريا للسياحة." ومن جهة اخرى يسلك المشاة المتمرسون المناطق الوعرة التي يصفها ألفرد واينرايت في "الدلائل المصورة الى هضاب لايكلاند،" وهي سبعة أجزاء بحجم الجيب تتميز بالخرائط والصور المبهجة الدقيقة والتعليقات الساخرة من نوع: "انها المكان المناسب للاستسلام والنوم."

لا يحلم المشاة الجديون بأمر كهذا. فالمسافة هي التحدي. وتعتبر الممرات "الرسمية" الطويلة الثلاثة عشر، التي تدعمها لجان الريف مالياً، الأكثر شعبية. تحف بها أشجار السنديان وتمتد على مسافة ٢٧٠٠ كيلومتر من طريق وولدس في يوركشاير، وطولها ١٢٧ كيلومتراً، الى ممر الشاطىء الجنوبي الغربي الذي يبلغ طوله ٨٦٥ كيلومتراً.

اما الطريق الأصعب ارتقاء فهي طريق بناين، الممر الرسمي الاول الذي فتح قبل ٢٣ سنة. يستغرق اجتيازها عدة أسابيع، إذ تقطع المرتفعات السبخة والغامضة المعالم وتضطر المرء الى استعمال الخرائط والبوصلة لأن تغيرات مفاجئة في الطقس قد تجعل الوضع خطراً حتى على المشاة المتمرسين. فرذاذ المطر في الوادي قد يتحول عاصفة ثلجية على القمة.

في دليل ١٩٦٨ الى طريق بناين قدم ألفرد واينرايت مكافأة الى القراء الذين أكملوا طريق الـ٤٣٢ كيلومتراً: كأساً من الليموناضة على حسابه في حانة كيرك يثولم في الطرف الشمالي للطريق. وفي

العام ١٩٨١ بلغت قيمة الفاتورة الوف الجنيهات. ومع ارتفاع ثمن الشراب عشرة أضعاف بسبب التضخم المالي اضطر واينرايت الى خفض عرضه الى كأس صغيرة. كذلك على المشاة أن يحملوا نسخة من الدليل.

يقول كريس ستير رئيس "اتحاد مشاة المسافات الطويلة": "ان نزهة طويلة عبر الريف هي بمثابة تسلق جبل افرست للرجل الفقير." أسست الجمعية في ١٩٧٢ وتضم اليوم خمسة آلاف عضو يضبطون ساعاتهم المنبهة في "نزهات التحدي" حيث يسعون الى قطع مسافة معينة ضمن وقت محدد.

محارة غنية باللآلىء – إحدى فضلى نزهات التحدي المعروفة هي درب لايك وايك التي تغطي ٦٥ كيلومتراً من مستنقعات يوركشاير الشمالية ويفترض عبورها خلال ٢٤ ساعة من أجل الفوز بعضوية نادي "لايك وايك." وعلى رغم المحن التي تعترض هذه النزهة فقد أثبت نحو عشرة آلاف شخص أهليتهم سنوياً، الى أن أجبرت عوامل الانجراف منظمي هذه الحملات على تحديد الاعداد المتقدمة. وجمعت مجموعات المشاة اكثر من ١٠٠ ألف جنيه (١٨٠ الف دولار) للاعمال الخيرية، غير مبالية بالاقدام المتألمة غير المتوقفة التي لا يخفف عنها سوى المزيد من المشي.

في وقت قريب سيواجه المشاة تحدياً جديداً: "ممر التايمس" الذي سيمتد من سد التايمس في وولويتش شرق لندن الى منبع النهر في كمبل في غلوسترشاير. وعندما يحظى المشروع بموافقة الحكومة سيبدأ العمل من اجل الحصول على حقوق للمرور وبناء جسور جديدة للمشاة تصل ضفتي النهر.

بعد الانتهاء سيصبح ممر التايمس، وطوله ٢٩٠ كيلومتراً، أول ممر رسمي للمسافات الطويلة في موازاة مجرى النهر. ولا شك في انه سيجذب هواة المشي المزودين حقائب ظهر، ومتنزهي ايام الآحاد على السواء. ولكن مثلما كتب ألفرد واينرايت: "أنتم لا تحتاجون الى طريق رسمية تحفزكم على الخروج الى الهواء الطلق، فأي هاوٍ يتمتع بروح المبادرة يستطيع وضع خطَطه الخاصة. ان خريطة بريطانيا محارة غنية باللآلىء."

بيتر براون

الممثل وبائعة الفاكهة

تملك عمتي كشكاً لبيع الفاكهة. وسرَّها ذات يوم أن ترى بين زبائنها ممثلا سينمائياً معروفاً. فأخبرته أنها شاهدت جميع الأفلام التي مثلها، وخصّته بسعر مخفض لمشتراه من الفاكهة. لكنه راح يساوم بغية الحصول على سعر أقل. فقالت له عمتي بلهجة حازمة: "يا سيدي، أنا لم أطلب مرة حسماً على التذاكر حين ذهبت لمشاهدة أفلامك."

د.ر.

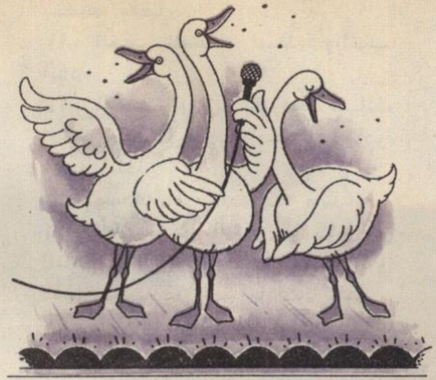

دَائِرَةُ المعَارِف

من أسباب المتعة التي يجدها القراء في "المختار" وضوح العبارة وغناها في آن. هنا مفردات "مُغْنية" وردت في الاعداد الاربعة الاخيرة. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. أخرق: رث - مثقوب - صعب المراس - أحمق.

٢. يعبأ: يبالي - يلبس عباءة - يمتلىء - يحمرّ وجهه ارتباكاً.

٣. هندم: جمع - سوّى وأتقن - قطّع - غنى بصوت خفيض.

٤. وهلة: جمال باهر - نور باهت - فزع - سقطة.

٥. مغبّة: عاقبة - عطش شديد - حب - نميمة.

٦. اعتدّ: فاخر - صدّق واقتنع - غضب - صار معدوداً.

٧. تريّث: كمن - عدّد الميت - أبطأ - أشفق.

٨. خِزي: خجل - هوان - كلام مبطّن - حسد.

٩. دبّور: زنبور - شاب متهتك - جبان - وسيط.

١٠. وحام: شهوة الحبلى - لحم المعدن - خصام - صوت النعام.

١١. دَمِث: خبيث - قصير القامة - مظلم - ليّن وسهل.

١٢. تداعى: تباهى - تهدم وتصدع - تراكم - تفانى.

١٣. انتضى: ضرب - ركب الفرس - استلّ - انتفض.

١٤. استلف: اقترض - تلف - نسج حكاية - اختلس.

١٥. مسَّده: هيأه - أسنده - مجّده - أمرَّ عليه يده.

١٦. كفاف: ما يلبس في اليد - ما كفى - خبز - دمع.

١٧. عرينة: عين - مأوى الأسد - زوجة - حديقة.

١٨. نُسغ: لعاب - مادة صمغية - عسل - سائل نباتي.

١٩. زريّ: ذميم محتقر - حزين - جدير - فاحش الثراء.

٢٠. أوسق: قيّد - حمّل - اطمأنّ واعتمد - سجّل.

٢١. صهوة: جبين - تلّة - مقعد الفارس - حصان.

٢٢. أخنى: أذعن - شتم - جار وغدر - نزل الى الارض.

٢٣. جأش: ابن الحمار - صوت غليان - قلب.

٢٤. تَجِلَّة: جلالة وعظمة - تحية - رؤيا - وضوح.

٢٥. ارتجال: رجولة - شِعر - سير - كلام بلا استعداد.

الأجوبة الصحيحة

١. الاخرَق: الاحمق، والذي لم يُحسن عمله. الخَرَق: الحمق، وسوء التصرف.
٢. يعبأ: يبالي. يقال "لا أعبأ به" أي لا أبالي به احتقاراً.
٣. هندم الشيء: سوّاه وظرَّفه وأتقنه. الهندام: حسن القد واعتداله.
٤. الوهلة: الفزع. ويقال "لقيته أول وهلة" أي أول شيء.
٥. المغبَّة: عاقبة الأمر.
٦. اعتدَّ: صار معدوداً. يقال "هذا أمر لا يُعتدُّ به" أي لا يلتفت اليه. والعامة تقول "اعتدّ بنفسه" أي اعتمد عليها.
٧. تريَّث: أبطأ.
٨. الخِزي: الهوان والذل. أيضاً: العقاب.
٩. الدَبّور: الزنبور وهو جنس من الحشرات له لسعة مؤلمة.
١٠. الوحام: اشتداد شهوة الحبلى لبعض المآكل.
١١. الدَمِث: الليِّن الخلق. يقال "رجل دمِث الاخلاق" أي سهلها. مكان دمث: ليِّن وسهل.
١٢. تداعى البناء: تهدم وتصدع من غير أن يسقط. تداعى القوم: دعا بعضهم بعضاً.
١٣. انتضى السيف: استلَّه. والثوبَ: أبلاه.
١٤. استلف المال: اقترضه. تسالَفَ الرجلان: أخذ كل منهما أخت زوجة الآخر، فهما سِلفان.
١٥. مسَّده: أمرّ عليه يده بشدة.
١٦. الكَفاف من الرزق: ما كفى عن الناس. يقال "قوتهُ كفاف حاجته" أي مقدار حاجته من غير زيادة ولا نقصان.
١٧. العرينة والعرين: مأوى الأسد والضبع والحية والذئب.
١٨. النُسْغ: سائل غذائي تمتصه الجذور من الارض ويجري في الساق والاوراق عبر العروق.
١٩. الزَرِيّ: الذميم المحتقر الذي لا يُعدّ شيئاً. ازدراه: احتقره واستخف به.
٢٠. وَسَق الدابة وأوسقها: حمّلها. الوَسْق: حمل البعير.
٢١. الصهوة: مقعد الفارس من الفرس. يقال "استوى على صهوة العز."
٢٢. أخنى عليه الدهر: جار عليه وغدر به. أخنى عليه في الكلام: أفحش.
٢٣. الجأش: القلب والصدر. يقال "رابط الجأش" أي شجاع. الجائشة: النفس.
٢٤. التَجِلَّة: الجلالة والعظمة. الجُلّى: الامر الشديد والخطب العظيم، جمعها جُلَل.
٢٥. الارتجال: الكلام من غير استعداد، ومنه "ارتجل الشعر."

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد جيداً
٩ - ١٣: مقبول

كمانُ أبي

عاش والدي للجمال. وان يكن مرضه سلب ذاكرته، فقد ظل الجمال يتجلى له

سنة كان والدي في صف التخرج في كلية شيكاغو الموسيقية كان عليه أن يتابع برنامجاً دراسياً كاملا من المقررات، ويعزف مقطوعات موسيقية، ويكتب مقامة رباعية، وقطعة تعزف على الكمان، وأطروحة، اضافة الى اعالة زوجة وطفل. كان طعامه اليومي غالباً سلطة خس وقهوة. كان نحيفاً كوتر كمانه. وقد عزا معلمه زين بوديست هذه النحافة الى الغذاء النباتي الذي هداه اليه. أما والدي فأحجم عن مغالطة معلمه في هذه الفكرة لانه كان يريد أن يحصل منه على علامة عالية. ظن المعلم أن والدي، بما له من أسلوب مرتجى، سينجز مآثر من الابداع لم تشاهد في الصفوف.

ذات يوم حدث ذلك الذي ظنه المعلم. أرسل والدي الى اللوح الاسود ليكتب قطعة موسيقية من ثلاثة مقاطع. طفق والدي يكتب بلا توقف، فأزهرت رموزه الموسيقية كما يزهر النرجس والزعفران. ملأ ثلاثة ألواح سوداء. أيّ نصر كان للاستاذ النباتي! في ذلك المساء دعا والدي الى عشاء احتفالا به. جيء بلائحة الطعام، فقال والدي: "أريد شريحة لحم."

أحب هذه القصة، لأن والدي عمل شيئاً

© 1987 by Kelly Cherry. Condensed from Commentary (June '87), New York, N.Y.
Photo: Ray Fisher / Violin Courtesy Jacques Français

لنفسه. سنحت له الفرصة ليأكل طعاماً لائقاً، فاختطفه اختطافاً. للمرة الاولى في حياته لم يحجب ذاته تجاه التزام أو وجدان أو نزوع الى التواضع.

فأرتان مذعورتان - كان صوت والدي خافتاً في الشريط الذي سجل عليه حكايته هذه. في العام ١٩٨٣ كنا جالسين الى طاولة صغيرة في المطبخ ببريطانيا حيث تقاعد والداي لينصرفا الى سماع موسيقى جيدة.

صنع والدي تلك الطاولة كما صنع أول طاولة أذكرها في إيشاكا بولاية نيويورك. كانت ذات سطح مشمع، يجلس عليها والداي بعد انتهائهما من العزف ويتحدثان حول أداء الفرقة وكيف أن عازف الفيولونسيل اللعين قصَّر في ذروة المقطوعة.

كنا فقراء جداً في ايشاكا. الشقة صغيرة، حقيرة، لا مصعد لها، وهي واقعة على علو ثلاث سلالم فوق متجر بقالة. أما والداي، العضوان في فرقة موسيقية، فكانا شخصيتين لامعتين. يتمشيان ويتحدثان عن حقيقة ساطعة ألا وهي أن الجمال يمكن أن يوجد أينما كان. ترتدي والدتي أحد أزيائها الخاصة بأمسيات الفرقة الموسيقية، أما والدي الانيق فيرتدي ثوبه الرسمي الابيض والاسود. عندما يعزف أبي على الكمان يصبح شخصاً آخر. كان قوياً ذا نغم فائق. يقول دائماً ان الموسيقى لغة، واذا ما تحدث عنها فمعناه واضح وفي صوته ثقة.

بدا صوته خافتاً في شريط التسجيل لانه كان يشكو انتفاخاً في حويصلات الرئة (١)، فهو ووالدتي مدخنان مدمنان.

أما السبب الذي من أجله كنت أصغي الى الشريط بمثل هذا الانتباه فلكونه لا اشارة فيه الى ضرر عقلي.

سألته ماذا يتذكر عن طفولته في المنزل الكبير في جادة أوكلاند في روكهيل بولاية كارولينا الجنوبية. على جانبي الطريق شجر سنديان مورق. في أيام الربيع يزهر النسرين ذهبياً منوّراً. أما المنزل فأرضه مرصوفة بالخشب وسقفه عال وأمامه حديقة. بعد ولادة أبي ببضع سنوات ظلت العائلة في بحبوحة. ثم افتقرت، وهو يتذكر كيف تغيّر البيت فأصبح عتيقاً. يتذكره كله. فكره سريع وواضح.

بعد بضع سنوات بات والدي يرتبك عندما يسأله امرؤ عن اسم جاره فيقول: "حقاً أنا لا أعرف." عيناه تتواثبان في وجهه كفأرتين مذعورتين. وهكذا بدأت النهاية المخيفة.

عمل والدي مرشداً في القاعة الموسيقية في شيكاغو. يقول في تسجيله: "كان ذلك أعظم أمر مدهش حدث لي." يا الهي، سمعت ميشا إلمان وهيفتز وميلستين. ولكن لم يستطع أحد أن يجاري كريزلر كعازف على الكمان."

سألته ما الذي جعل فرتز كريزلر امرأً خاصاً، أجاب: "نغمه أكثر من أي شيء آخر، والجمال الصافي لصوته. كان له ذلك الاهتزاز القوي، وكان قادراً على ابقاء النغمة رانّة الى الابد. كان عزفه جميلا جداً فتدمع عيناي كلما سمعته."

ذلك هو والدي، وذلك هو تأثره بالجمال

(١) Emphysema

الموسيقي وبالمقاييس المثالية التي وضعها لنفسه وللآخرين. حين يذكر موسيقياً دون المستوى الجيد يمتزج صوته بالاستهزاء. أما والدتي فكانت نقدية أكثر منه. كلاهما ناقم على نفسه لانه لم يكن عازف كمان كاملا.

غضب وشفقة – ان الكلمة التي لم نشأ أن نسمعها لفظت الآن: "آلزهايمر" (٢). انها كلمة تبدأ بصرخة تمزق، كضربة ولد غير موهوب في أول أمثولة على الكمان.

يعرف والدي أن ثمة خطأً، فيغرق في الصمت. وعذره أن نفسه قصير فلا يقوى على الكلام. اذا لم يقل شيئاً فلن يعرف أحد أنه يتضايق حين يحاول ايجاد الكلمة المناسبة. انه ذكي. عندما يسأل أي سنة هذه، يغمز بعينه ويجيب: "أنها سنة العيش في خطر." وهو عنوان فيلم أخبرته عنه.

في آخر مراحل "آلزهايمر" لا يبقى للمريض ذاكرة ولا تاريخ، وباختصار، لا ذات. فيصبح جسمه كأنه منزل اقتحم وأفرغ من العقل. يعرف المريض ماذا يحصل له. ينكره ويشعر بخسارة كفقد حبيب. عقله، صديقه الحقيقي الوحيد، ولّى.

لا يستطيع ارتداء ثيابه أو تبيّن طريقه الى الحمام. يمشي منحنياً، يستريح، يتأنق في خطوه. في شفتيه تجعد. لا قوة ارادة لديه لانه لا يستطيع التركيز على فكرة مدة كافية ليجعل منها اساساً لعمل ذي هدف.

قضية والدي أبعد من ذلك. منذ بضع سنوات، بعد مدة طويلة من السن التي يفترض أن يعجز المرء بعدها عن التغير، بدأ والدي يتغير. كان التقاعد بركة له. للمرة الاولى منذ طفولته لا يتوجب عليه أن يعمل. انه في حال استرخاء. يعتمر قبعة صياد ايرلندي مصنوعة من الصوف، ويلف وشاحه الانكليزي حول عنقه، ويحمل عصاه وينزه كلبه. يقف ليتحدث مع الاولاد. تعلّق بحصان عجوز في المرعى فكان يأخذ له دائماً قطعة من السكر. يتحدث مع المارين، ويصادق الجيران. كان في هذه المرحلة من حياته أسعد منه في أي وقت آخر، الا حينما كان يعزف مع الفرقة الموسيقية.

الوقت يمضي سراعاً. ذات يوم رأيت والدي واقفاً أمام ساعة جدارية يحدق اليها ملياً. بعد هنيهة أدركت انه لا يحاول أن يعرف الوقت، بل يحاول أن يعرف لماذا يضع شخص ما أرقاماً في دائرة على نحو يجعل من الصعب جمعها أو طرحها. مشيت وراءه ودسست يدي في يده. مفاصل أصابعه متورمة بحيث يصعب عليه أن ينقر أوتار الكمان. السؤال الذي أردت ان أسأله اياه هو: "لماذا يُنتزع الناس الطيبون المكافحون من أحلامهم غير المؤذية؟"

أما والدتي فلا تستطيع الفصل بين الغضب والشفقة. فاذا ما أسفت لحال والدي فتحت باباً على حزنها وخوفها. انه يريد أن يساعد في عمل ما في البيت. يحاول أن يحضر لوالدتي كوباً من الكاكاو. يضع الابريق على الموقد فيفور ماؤه. يرفعه ويضعه على حمالة صحون

(٢) داء "آلزهايمر" يتسم بفقدان الذاكرة وله أعراض تشبه أعراض الخرف.

The sky is still our limit

45 % of total newsweekly magazines sales in Greater Beirut Metn and Kesrouan extract of a bookshop survey conducted by C.E.P.I. in November 1985

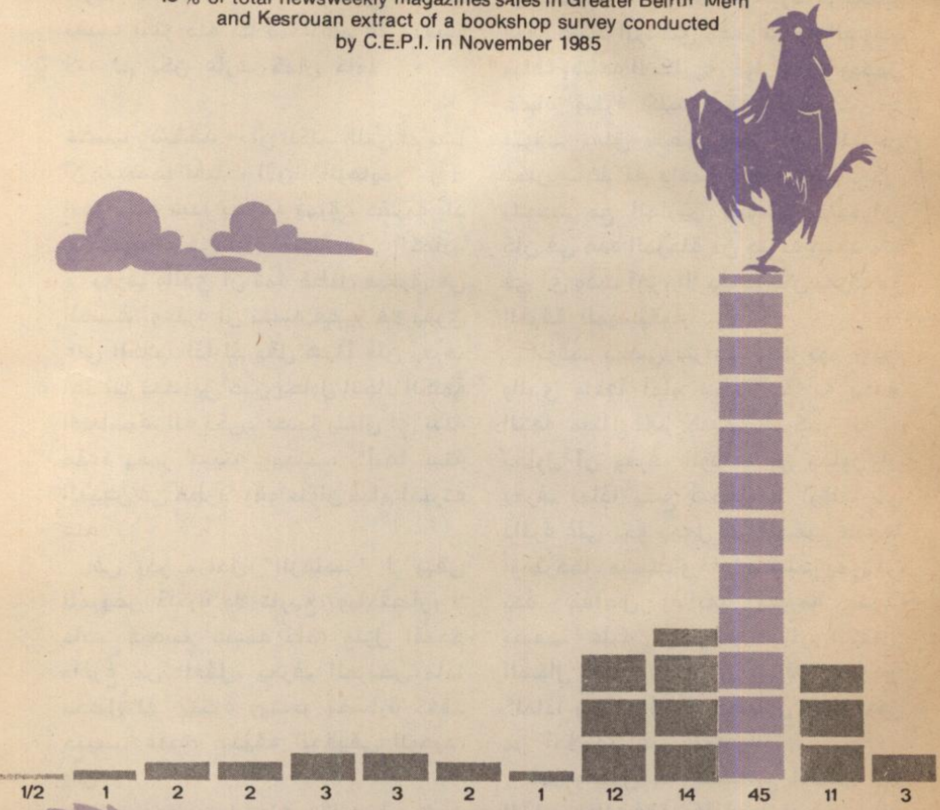

النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

exclusive advertising representative **TAMAM S.A.L**

بلاستيكية فتسيل الحمالة. ينقل الابريق الى موقد آخر فيسيل عليه البلاستيك الملتصق بأسفل الابريق. وهكذا يخرب موقدين. تصرخ أمي، فينسل أبي الى الطبقة العليا خجولا مرتبكاً. تقف أمي في المطبخ وهي ترتجف وتبكي لاعنة حدة طبعها. ثم تراني فتصرخ في وجهي: "لماذا أنت هناك؟ أليس لديك شيء تعمله أفضل من مراقبة عجوزين يتقاتلان؟"

الوتر الخامس – تمضي أيام لا يحدث فيها أي سوء. لكن والدي قد يردد اسمي أكثر من المعتاد: كيلي، هل أحضرت البريد؟ كيلي، أنا أحب شعرك هكذا. كيلي، كيلي، كيلي، كأنما يريد أن يذكّر نفسه من أنا. ثم تأتي أيام لا يريد فيها أن يتكلم ولا أن ينظر الينا. انه ليس وحده، في هذه الايام، الذي يجد الحياة غامضة. أتساءل ماذا تعني الحياة لامرىء يحرمه عطل الدماغ وتشابك تلافيفه من تحديد ذاته.

جلسنا صفاً واحداً في ثلاثة مقاعد أمام التلفاز. هو يرتدي صدرة اهديتها اليه في عيد الميلاد. هذه الليلة كان بنشاس زوكرمان يعزف كونشرتو الكمان لبيتهوفن.

نظرت الى والدي، ورأيت بنشاس زوكرمان العجوز يعزف على كمان بخمسة أوتار. أما الوتر الخامس فكان غير منظور، يمتد من التلفاز الى رجل ضعيف مرتبك يرتدي صدرة عزيزة عليه. انه الرجل الذي قال مرة حين سمع أويستراخ يعزف على أسطوانة فونوغراف: "يا الهي، انه يمزق قلبك أليس كذلك؟" تنتقل الموسيقى على ذلك الوتر فينسج منها والدي أسلوب حياته، معلماً اياي ماذا يعني في الحقيقة أن تقف نفسك على الشيء الذي تحب.

اثناء الايقاع يكون والدي ذاته تماماً. عبر الموسيقى يعرف العالم، وعبر الموسيقى يعرف نفسه.

أما يداه، هاتان اليدان المصابتان بالتهاب المفاصل، فمستريحتان على جانبيه بانكماش والابهامان ملتويتان. بدأت يده اليسرى تتحرك، وبدا كأنه ينقر بأصابعه أوتار الكمان عازفاً لحن بيتهوفن مع زوكرمان. شاهدته أمي. انه ما زال يعزف، لا يزال يعزف على كمان عقله.

بعد ذلك ذهبت الى غرفتي وأصغيت ثانية الى التسجيل من أوله وأنا أحزم حقيبتي.

كيلي شيري

... وللكلاب طرقها

دخلت امرأة المكتبة العامة ووضعت كيساً على الطاولة أمام الموظفة، وهمست وهي تخرج منه بقايا كتاب ممضوغ: "الكلب فعل كل ذلك."

كان عنوان الكتاب "تدريب الكلاب على طريقتي" للمؤلفة بربارة وودهاوس.

ا.غ.

انكليزي وألماني اشتبك بلداهما في حرب طاحنة
وكان لهما حلم واحد

حَسَنًا فعَلَ هِتلِر

في ١٨ مارس (آذار) ١٩٤٥ دخلت اسراب من القلاع الطائرة "ب - ١٧" وطائرات "ليبيراتورز ب - ٢٤" بهدوء اجواء قلب الرايش الثالث. كان افراد طاقم الطائرات الامريكي في حال استرخاء واطمئنان، اذ انه لسنة خلت وهم يسيطرون على الاجواء الالمانية. فجأة ظهرت سبع وثلاثون مقاتلة عدوة منطلقة بسرعة تفوق التصور. تعذرت ادارة مدافع القاذفات وتصويبها بالسرعة الكافية لجبهها. والاغرب من ذلك انه لم تكن للطائرات المغيرة مراوح دفع.

تلك المصادمة التي أسقطت فيها ثماني عشرة قاذفة زرعت الرعب في قلوب قائدي طائرات الحلفاء. لقد كانت لحظة خاطفة لاختراع قدّر له ان يغير حياتنا.

بدأت القصة عام ١٩٢٩ عندما عرض فرانك هويتل الضابط في سلاح الطيران البريطاني البالغ من العمر ٢٢

Illustration: Dirk Grob

سنة، نوعاً جديداً من الدفع يمكّن الطائرات من التحليق على علو مرتفع جدا وبسرعة كبيرة. والسر في ذلك: الاستغناء عن المراوح والبستونات في المحرك، لان المراوح على علو يزيد على ستة آلاف متر تخف فاعليتها والبستونات تعجز عن "التنفس" بسبب قلة كثافة الهواء.

لم يأخذ أحد هويتل على محمل الجد: طائرة دون مراوح دفع؟ هذا أمر غير معقول. فاختراع هويتل الذي يشبه السيجار، يدفع الهواء الى داخله بواسطة مروحة كطاحونة الهواء، ويسخّن الهواء المضغوط بالوقود، وحجم الغازات المتولدة والمندفعة بسرعة فائقة الى الخارج يولد ارتكاساً مضاداً اي قوة رجعية مضادة تدفع الطائرة الى الامام. ولكن المستشار الاول في وزارة الطيران البريطانية المعني بأمور المحركات، اجرى تدقيقاً في حسابات هويتل مسقطاً الفكرة بأكملها.

الا انه كان هناك شخص واحد مؤمن بالفكرة هو معلّم يدعى جونسون يعمل وهويتل في قاعدة سلاح الطيران الملكي. ففي ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٠، اي عشر سنين قبل الحرب العالمية الثانية، حمل هويتل على ان يعرض فكرته على مكتب تسجيل الاختراعات البريطاني. وخلال السنتين التاليتين حاول هويتل وجونسون اقناع رجال الصناعة الخاصة بالاختراع ولكنهما فشلا.

ثوان مرعبة – عام ١٩٣٤ خطرت لشاب الماني في الثالثة والعشرين من عمره الفكرة ذاتها. الشاب هو هانز فون أوهان، تخرج في الفيزياء في جامعة غوتنجن. وقد حمل رسومه الى ميكانيكي سيارات يدعى ماكس هاهن، وطلب منه ان يصنع له نموذجاً، فوافق.

عندما اكتمل النموذج كان اشبه ببرميل نفط كبير موضوع جانبياً على عمود. في التجربة الاولى عمل النموذج كقاذفة لهب، اذ اندفعت من المؤخر ألسنة لهب مذهلة طويلة. وعندما فصل اوهان باعث الحركة الكهربائي عن المحرك اعتقد انه سيسير بقوته الذاتية، لكنه توقف.

في يناير (كانون الثاني) ١٩٣٥ كان على هويتل تجديد براءة اختراعه. ولكونه اباً لولدين وعليه تسديد استحقاقات كثيرة، فقد فشل في تأمين الرسم المطلوب والبالغ خمسة وعشرين دولاراً. ولاخفاقه في دفع المبلغ انقضت مدة الرخصة القانونية لبراءة المحرّك النفّاث.

وبدا كأن كل شيء انتهى الى ان برز صناعيان انشأا شركة لتطوير محرك هويتل. واعادت وزارة الطيران، من دون رضاها الكامل، هويتل الى المشروع شرط ان يعمل فيه ست ساعات في الاسبوع وتكون للحكومة خمسة وعشرون في المئة من حصته.

في مارس (آذار) ١٩٣٦ ابلغ اوهان الى استاذه في الفيزياء المشاكل التي اعترضت نموذجه. فسمح له بان يجري تجربة عليه في الجامعة ثم كتب الى صانع الطائرات إرنست هينكل مشيداً بالاختراع. فأخذ هذا بالفكرة وعرض على اوهان وظيفة وطلب منه ان يكتم سر

العمل مخافة ان تضع وزارة الطيران الالمانية يدها عليه.

في هذه الاثناء كان هويتل تغلّب على الصعوبات الفنية وابتكر الضاغط الملائم والتوربين وجهاز الاحتراق واجزاء اخرى. وعندما جمعت بانت كأنها بوق موسيقي جبار. وفي ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٣٧ أدار هويتل المحرك وللمرة الاولى سمع الأنين الذي يتميز به صوت المحرك النفاث. وبدا هويتل مطمئنا فزاد السرعة الى ٢٥٠٠ دورة في الدقيقة فتحول الأنين فجأة زعيقاً حاداً. ويتذكر هويتل: "هرب الجميع الا أنا. لقد تجمدت من الخوف فلم اقو على التحرك." وبعدما هدأ روعه اقفل هويتل صمام تغذية الوقود، لكن المحرك المتمرد استمر في الدوران لعدة ثوان مرعبة اخرى.

على وشك الانهيار – في بداية ١٩٣٨ ارهقت ساعات العمل الطويلة هويتل فاخذ يعاني صداعا قوياً كاد انْ يسبب له انهياراً عصبياً. وتعذر عليه جعل محركه يشتغل بانتظام من دون توقف. واوشك ان يفقد كل المستخدمين، والمتعهدون الثانويون مشاكسون غير راغبين في تسهيل شؤونه. على رغم ذلك، افلح بعد سنة وبجهده الفردي في اكمال صنع محرك ثانٍ. لكن الكارثة كانت له بالمرصاد. فقد دارت التوربين بانتظام لساعتين تقريباً وتطاير المحرك اجزاء عندما بلغت سرعته ١٣ الف دورة في الدقيقة. كان يفترض نبذ الهيكل المحطم ولكن تعذر على هويتل تأمين محرك جديد. وفي نهاية يونيو (حزيران) بلغت الديون المستحقة عليه ٤،٨٠٠ دولار.

عام ١٩٣٩ بدأت اوروبا تعاني كابوس الحرب الرهيب. فلو عضدت بريطانيا مشروع هويتل منذ بدايته لأمّنت لسلاح طيرانها السيطرة المطلقة في الجو. وبحلول يونيو (حزيران) تمكن هويتل من اعادة تشغيل محركه بعدما اعاد صنعه. واخيراً منحته وزارة الطيران عقداً لصنع محرك خفيف الوزن لاستخدامه في طائرة.

اوائل عام ١٩٣٩ كان اوهان اتمّ صنع محركه. وفي يوليو (تموز) كشف إرنست هينكل بافتخار فكرة المحرك النفاث لهتلر. لكن الفوهرر لم يتحمس لها.

عندها رأى هينكل ان الطريقة الوحيدة لحمل هتلر على تغيير رأيه واسترداد بعض المال الذي وظفه، التحول الى بناء طائرة نفاثة، لكنه تكتم في شأنها خشية

ان تمنعه القيادة العليا من تنفيذ مشروعه.

النجاح الكبير – قبيل فجر الاحد ٢٧ اغسطس (آب)، جُرّت الطائرة «He 178» الى مدرج طائرات هينكل في مارينيهي، بعيداً عن عيون البيروقراطيين في برلين. وعندما ارتفع بها القائد ايريك فارسيتز لتجربتها اندفعت الغازات الحارة راعدة من مؤخرها. وحاول هينكل على مدى ثلاثة ايام اقناع موظفي سلاح الطيران بالحضور الى مدرجه لمشاهدة الطائرة النفاثة الاولى في العالم، فرفضوا دعوته.

عام ١٩٤٠ اطلق هتلر طائرات الـ"لوفتواف" على بريطانيا. وخلال المعركة استمر هويتل في العمل. وبحلول يوليو (تموز) كان محركه النفاث يعمل بانتظام ويولد قوة دفع كافية لطائرة صغيرة دعيت رسميا «E 28/39» .

وفي ١٥ مايو (ايار) ١٩٤١ صعد قائد الى قمرة القيادة الضيقة في الطائرة لتجربتها وما هي الا ثوان حتى كان انين الطائرة الصغيرة العالي يتردد بين الغيوم. منذ ذلك التاريخ اصبحت للحلفاء طائرة نفاثة. وأرسلت لاحقا طائرة ثانية هي «E 28» الى هاتفيلد لكي يشاهدها رئيس الوزراء آنذاك ونستون تشرشل، لكن موظفي الحكومة فاتهم، بعبث صبياني، ان يدعوا هويتل.

بعد سقوط فرنسا منعت القيادة الالمانية العليا كل تطوير بما فيه القوة النفاثة الذي لا يمكن انجازه في ما لا يزيد على سنة ليصبح استخدامه ممكنا عسكرياً واملاً في ان بريطانيا ستطلب الصلح، خلال تلك المدة، من دون شك. ولكن كان هناك مهندسان في وزارة الطيران تجاهلا التعليمات مدفوعين بالنجاح الذي حققه هينكل وعقدا التزامات سخية لتطوير المحرك النفاث بهدوء. فبدأ منافس هينكل الرئيسي ويلي مسرشميت وضع تصميم لطائرة نفاثة مقاتلة سميت «Me 262».

ومما يصعب تصديقه ان قيادة الاركان عندما علمت بالامر ارسلت الفيلدمارشال إبرهارد ميلش الى منزل مسرشميت لابلاغه وجوب التوقف حالا عن العمل على الطائرة.

اخيراً... هتلر – على رغم اوامر ميلش الشخصية، استمر مسرشميت في تطوير الطائرة التي قامت باول تحليق لها في ١٨ يوليو (تموز) ١٩٤٢. وفي نهاية ١٩٤٣ كانت جاهزة للانتاج الجماعي. وفي هذه المرحلة ابدى هتلر اهتمامه بها ولكنه أمر بان تحول النفاثة المقاتلة قاذفة قنابل. وكان هذا احد اكثر اوامره غباوة اذ استغرق التحويل عشرة اشهر طويلة حاسمة.

بالنسبة الى الحلفاء كان قرار هتلر هبة غير متوقعة. فلولا سيطرتهم المطلقة في الجو في يونيو (حزيران) ١٩٤٤ على سماء نورماندي لكانت عملية الانزال في اليوم المحدد بالغة الصعوبة، وربما مستحيلة. وعندما ارسل اخيراً سلاح الجو الالماني الطائرة «Me 262» للقتال في الجو كانت سرعتها تزيد ١٦٠ كيلومترا في الساعة على سرعة طائرات الحلفاء وتتفوق عليها في سرعة

الارتفاع. لكن الأوان كان فات فالمانيا كانت في حال انهيار، وانتهت الحرب في اوروبا خلال شهرين.

ان معارضة البيروقراطيين في كلا البلدين فكرة صنع "طائرة من دون دفع مروحي" فوتت على النفّاثة فعلا فرصة دخول الحرب العالمية الثانية. ولم تحدث المواجهة بين الطائرات النفاثة الّا في الحرب الكورية. عندها كان العالم كله المّ بفكرة فرانك هويتل وهانز فون اوهان التي تعهداها خلال سنين عدة من المعارضة وعدم الثقة بامكان تحقيقها.

عـام ١٩٤٨ اعتـرفت الحكـومـة البريطانية علناً بفضل هويتل ومنحته مئة الف جنيه استرليني كما منحه الملك جورج السادس لقب "فارس." ومن حينه اغدقت عليه البلدان والمدن والجامعات والجمعيات المهنية في انحاء العالم، الميداليات والمنح ودرجات الشرف. وعام ١٩٧٦ هاجر الى الولايات المتحدة حيث علّم في اكاديمية الولايات المتحدة البحرية في أنابوليس. وهو يعيش اليوم بعيداً عن الاضواء في بيته الريفي في مريلاند.

وبعد انتهاء الحرب هاجر فون اوهان ايضاً الى الولايات المتحدة حيث اصبح رائدا في التصميم النفاث في قاعدة رايت - باترسون لسلاح الجو في دايتون بأوهايو. وعمل لاحقاً أستاذاً في الجامعة هناك.

التقى هويتل وفون اوهان للمرة الاولى في مدينة نيويورك عام ١٩٦٥ فاصبحا زميلين وصديقين.

نويل فيتماير

شجاعة في غير محلها

كانت امرأة تمشي في موقف للسيارات، فرأت سيارة من دون سائق تتجه نحوها ببطء. فما كان منها الا أن قفزت اليها برشاقة وفتحت الباب وشدت الكابح اليدوي فأوقفتها.

ولدى نزولها رأت ميكانيكياً في ثيابه الزرقاء بين جمهرة الناس الذين احتشدوا حولها، فأعلنت بافتخار: "أنا التي أوقفت السيارة."

فقال الميكانيكي: "أعرف ذلك، فأنا الذي كنت أدفعها من الوراء."

ذ.ر.

فزع حقيقي

اشترت الام لابنها زياً مخيفاً ليُفزع به أترابه في حفلة تنكرية. وكانت رقعة الثمن لا تزال عليه. فسألها الصبي: "هل أنزع الرقعة عن الثوب يا أمي؟"

فردت الام: "لا، لا تنزعها، فسنفزع والدك ايضاً."

ر.أ.

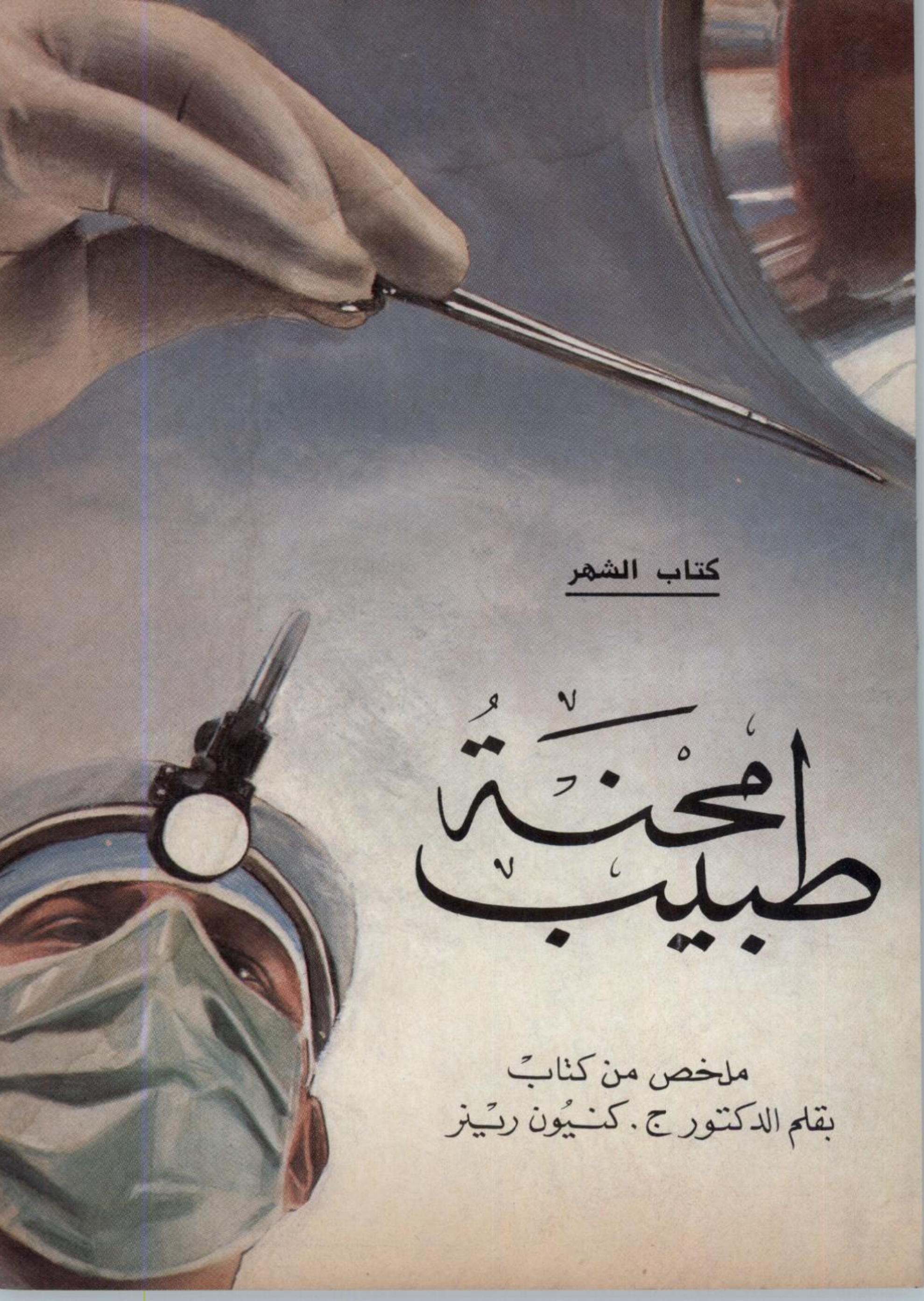

كتاب الشهر

محنة طبيب

ملخص من كتاب

بقلم الدكتور ج. كنيون ريز

قليلة هي الاختصاصات التي تتطلب سنوات طويلة من الدراسة والتمرين وتفرض مهارات كثيرة وترهق الاحاسيس مثل جراحة الاعصاب. انها تعالج أكثر أجزاء الجسم البشري دقة وغموضاً، الدماغ والنخاع الشوكي حيث تختبىء الاورام الخبيثة وتتمدد الاوعية الدموية وتهدد زلة مبضع بالشلل أو الموت. أما مكافأة هذه المهنة فتكمن في إنقاذ حياة الآخرين، إنما يفترض في جراح الاعصاب تقبل حوادث الموت عندما تخفق جميع الوسائل.

هذه قصة جراح أعصاب واجه مسؤوليات عمله الجليلة والمثيرة منذ أيامه الاولى في كلية الطب مروراً بفترة التدرب في المستشفى فالتخصص فالممارسة الاحترافية. انها أيضاً قصة مؤثرة عن أب وزوج يواجه اختيارات معذبة له ولمرضاه ولعائلته

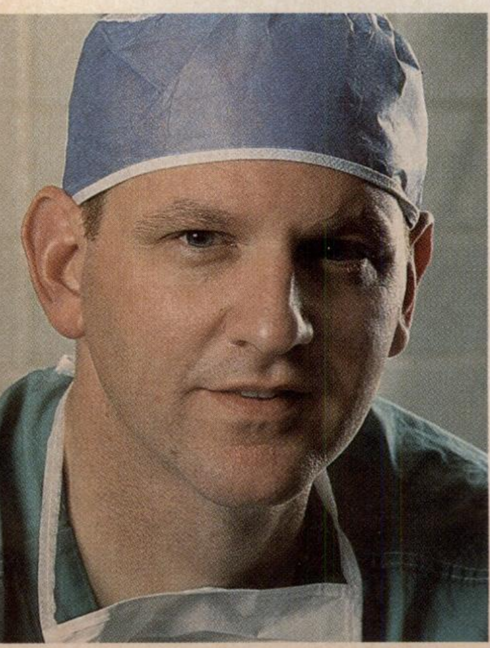

محنة طبيب

Condensed from «First Do No Harm: Reflections on Becoming a Brain Surgeon,» copyright © 1987 by j. Kenyon Rainer, M.D., is a Villard book, published by Random House, Inc., New York, N.Y.
Illustrations: Alain Reingold

راقبت سيارة الاسعاف وهي تقبل مسرعة عبر موقف السيارات ثم تتوقف عند مدخل الطوارىء. وتهيأت لمعالجة المريض المصاب في رأسه. كنت طبيباً متمرناً في المستشفى العمومي في موبيل بولاية ألاباما ولما أمض سوى ثلاثة أيام من الخبرة في جراحة الاعصاب. تساءلت بانفعال عن سبب غياب جراح متمرس لمعالجة هذا الرجل.

أنزل المسعفون الرجل الفاقد الوعي من سيارة الاسعاف وجررت أنا الحمالة إلى أقرب غرفة. كان مصاباً بسكتة دماغية إلا أن ضغطه الدموي تحسن بفضل الحقن الوريدية. ضغطت الشرايين التي تصب الدم من جرح خلف أذنه اليسرى.

أخبرني أحد المسعفين: "اسمه روبرت سمبسون."

– كيف حصل الحادث؟

"إنحرف الى وسط الطريق واصطدم بسيارة مقبلة نحوه."

– أكان مسرعاً؟ أو ثملا؟"

"لا."

كشفت الأشعة كسراً في الجمجمة خلف الأذن اليسرى، وبين التصوير الطبقي الموجه بالدماغ الالكتروني(١) جلطة دموية بحجم ليمونة تضغط الدماغ تحت الكسر مباشرة. من الضروري إزالتها لتخفيف الضغط عن دماغ سمبسون إذا كان هناك امكان لانقاذه.

أعدت سمبسون الى غرفة الطوارىء لينقل اليه دم وليحقن مضادات حيوية ولقاحاً ضد الكزاز وليجرى تخطيط لقلبه. وفي حين انشغلت به الممرضات اتصلت بالدكتور كلارك جراح الاعصاب. كان يجري جراحة في أحد المستوصفات.

أمر الدكتور كلارك: "جهز رأسه للجراحة، وأحدث شقاً فوق كسر الجمجمة وباشر إزالة التجلط الدموي. ولكن هل أنت متأكد من أنه ناجم عن الحادث؟ أحياناً تنفجر أنورسما (٢) وتسبب جلطة."

أجبته: "الجلطة تحت الكسر تماماً. اني متأكد من أنها نتجت من الاصطدام."

– هل أجريت تخطيطاً شريانياً لتتأكد من أن الانورسما غير واردة؟

"لا يا سيدي. أعتقد أن الجريح صدم رأسه بالحاجب الزجاجي."

– حسناً. أراك بعد ٣٠ دقيقة.

شعرت بأني وحيد داخل غرفة العمليات. هناك ممرضتان وطبيب تخدير، لكني الجراح الوحيد. حلقت رأس سمبسون ومسحته بالكحول ونشرت ملاءات جراحية على المريض. ماطلت ١٥ دقيقة منتظراً الدكتور كلارك، بعد ذلك لم يعد هناك مفر من إجراء الجراحة.

أعطتني الممرضة المبضع اللامع البارد، فمددت الشق خلف أذن سمبسون نحو جبينه حوالى ثمانية سنتيمترات. شعرت بطرف الكسر القاسي تحت فروة رأسه وأخذت انتزع الشظايا عن سطح الدماغ. تصبب العرق تحت ردائي وأنا

ملاحظة من التحرير: أبدلت أسماء الاطباء والمرضى حفاظاً على خصوصياتهم.

(١) Computerized Axial Tomography «CAT»

(٢) الانورسما «aneurysm» تمدد الاوعية الدموية.

أحدق الى التجلط الاسود الكثيف تحت أجزاء الجمجمة المحطمة.

صرخ الدكتور كلارك: "توقف." رفعت بصري فرأيته يتفحص نتائج التصوير الطبقي المعلقة على صندوق العرض. قال: "معظم هذه الجلطة داخل الدماغ، وقليل منها على السطح حيث يفترض أن تكون إذا نجمت عن الحادث. لقد أصيب هذا الرجل بانفجار أنورسما. لا تسحب الجلطة الآن لأنها مثل قشرة فوق الانورسما، واذا أزلتها الآن فسوف ينزف حتى الموت على الطاولة."

غسل الدكتور كلارك يديه وذراعيه بصابون مطهر وارتدى ثوب الجراحة واقترب. أراني طريقة نشر عظمة الجبين بواسطة ثاقب آلي ورفعها عن بقية الجمجمة. ثم قطع بمقصه الغشاء الاخير المغلف للدماغ بالمقص وكشف الموضع المتورم الملطخ.

قال الدكتور كلارك معلقاً على اللون الاحمر بدلا من الاصفر الطبيعي: "إنه دماغ غاضب." وطلب مني إنهاء سحب الجلطة فيما هو يضغط بإحكام الشريان الرئيسي الذي يقود الى الانورسما.

في أسفل الحفرة التي أحدثتها الجلطة ظهرت الانورسما بحجم بلة (كلة) زجاجية. لقد انتفخ موقع واهن في جدار أحد الشرايين مثل رقعة ضعيفة في إطار سيارة. وحين سحبت بقايا الجلطة انفجرت الانورسما وتدفق الدم وغمر حافة الجمجمة.

"مشبك أنورسما،" قال الدكتور كلارك بهدوء بينما كنت أحاول إزالة الدم. تناول المشبك من يد الممرضة وأنزله في الدماغ وأقفله على الجذع الرئيسي للشريان الذي يغذي الانورسما.

قال: "نحن ملزمون الآن. حدد الوقت. لدينا نحو أربع دقائق ونصف دقيقة لشبك الانورسما وفتح الشريان الرئيسي والا أصيب الرجل بسكتة دائمة." أخذ مني أنبوباً ماصاً وسحب بسرعة كل الدم عن الدماغ.

قالت ممرضة: "ثلاثون ثانية."

تابع الدكتور كلارك عمله. أمكن الآن رؤية الانورسما النابضة بكاملها متفرعة من الشريان.

"دقيقتان."

حاول الدكتور كلارك استخدام مشبك مستقيم. لكنه في كل مرة ضغط عنق الانورسما ضيق على الشريان أيضاً. فقال: "لنحاول استعمال مشبك منحن الى أسفل." أقحمه فوق الانورسما، فانطبق على نحو ملائم.

"ثلاث دقائق ونصف دقيقة."

– أعطيني نازع المشبك. يجب رفع المشبك الموقت عن جذع الشريان.

ناولته الممرضة آلة.

قال الطبيب بهدوء: "ليس هذا النازع الصحيح."

شهقت الممرضة وأوقعت الآلة على الارض.

قال الطبيب: "لا بأس. لدينا وقت."

"أربع دقائق."

تفحصت الممرضة آلاتها. أمسكت واحدة من أربع آلات أمامها لنـزع المشابك، وترددت ثم رفعت نظرها. هز الطبيب رأسه موافقاً وغمزها، فأعطته الآلة. إنسلت يده في الدماغ وأزالت

المشبك الموقت عن الشريان الرئيسي.
قالت الممرضة: "أربع دقائق و١٥ ثانية."
فرد الدكتور كلارك: "سينجو هذا المريض."
جامل الدكتور كلارك الممرضة ثم عاونني في إغلاق الغشاء الدماغي وإعادة جزء الجمجمة فوق جبين السيد سمبسون ثم خياطة فروة الرأس.
في السادسة صباحاً، بعد خمس ساعات من الجراحة، مشيت والدكتور كلارك في جولتنا الصباحية على المرضى. وبعد فحص سمبسون طمأنني الطبيب: "نتيجة ممتازة."
قلت: "في المرة المقبلة سأتنبه إلى مسبب الجلطة الدموية."
فرد الطبيب: "تذكر ما كتب أبقراط(٣): العلم هو أن تعرف، أما أن تكتفي بالاعتداد بمعرفتك فهذا جهل مطبق."

"إنه ميت"

بدأت سنواتي الست عشرة التمرينية في جراحة الاعصاب في كلية الطب بجامعة ألاباما في برمنغهام. في الصباح كنا نصغي الى محاضرات في تعقيدات الكيمياء الحيوية، ثم نتجمع فوق المجاهر لدراسة علم الأنسجة وهندسة الخلايا في الجسم. وبعد الظهر ننكب على تشريح الجثث.
تطلبت امتحانات التشريح جهداً كبيراً. باللمس فقط كان علينا تسمية العظام المخبأة داخل أكياس ورقية، والتعرف الى العضلات والشرايين والاعصاب المنتزعة خلال العمليات.
في السنة الثانية ازدادت الدروس الكتابية عن علم وظائف الاعضاء وعلم الامراض وعلم الاحياء المجهرية وعلم العقاقير. وأخيراً حانت سنوات الطب السريري والانهماك في الطب الداخلي والجراحة وطب الاطفال وغيرها من الحقول. تعلمنا ذاك القول المأثور القديم: "الطبيب المتمرن يعلم كل شيء ولا يفعل شيئاً، الطبيب الجراح لا يعلم شيئاً ويفعل كل شيء، الاختصاصي بعلم الامراض يعلم كل شيء ويفعل كل شيء ولكن بعد فوات الأوان."
بعد أربع سنوات أصبحت "كتاباً طبياً" كامل البرمجة. في وقت وجيز سأغدو طبيباً، لكن أحداً لم يعلمني الفرق بين الحياة والموت.
قبل التخرج ببضعة أيام كنت أعمل في إحدى غرف الطوارىء في الجامعة. كنت أتحدث مع الدكتور بيل واكر عن احدى الحالات عندما أسرعت ممرضة نحونا: "طعنة في القلب، الفتى فاقد الوعي."
قال لي بيل: "باشر، سأوافيك بعد دقائق."
بدا الصبي الأسود في غرفة الطوارىء في عامه الثاني عشر. مدد عارياً على النقالة وسيل رقيق من الدم ينساب من يسار صدره. لم يشر مرقاب القلب إلى أي خفقة. أما جلده فكان بارداً، وبؤبؤا عينيه لم يتأثرا بالضوء مما يدل على توقف دماغه عن العمل. قاست الممرضة

(٣) طبيب يوناني (٤٦٠ ق.م. - ٣٧٠ ق.م.) يلقب "أبا الطب."

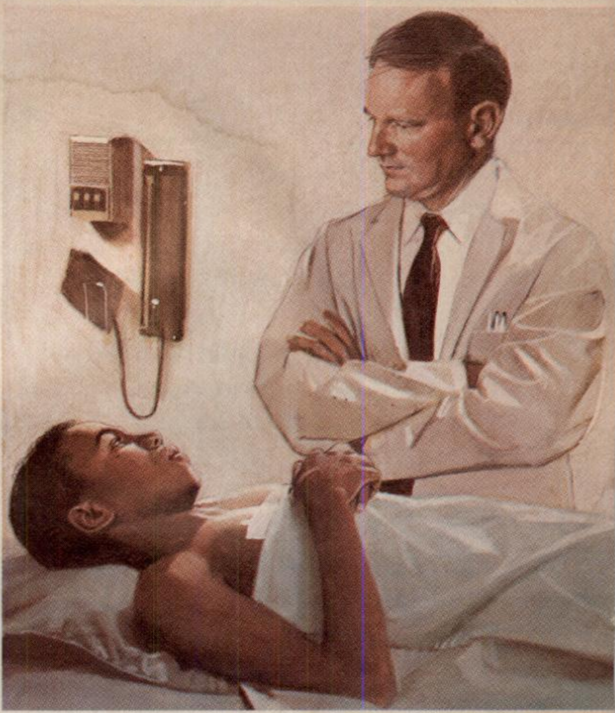

تركها السكين الطاعن في جدار القلب، وأغلقها بيده اليسرى كابساً القلب بيده اليمنى محافظاً على خفقانه إلى حين وصول جراحي القلب لنقل الصبي الى غرفة العمليات. وقبل مغادرته غرفة الطوارىء كان الصبي يتمتم ويحرك ذراعيه ورجليه.

غادرت الغرفة وتجولت في القاعة وقد أثبطت همتي. لقد أعلنت وفاة الصبي الذي أنقذ بعد ثوان أمام ناظري. لحق بي بيل واكر وربت كتفي.

تمتمت: "اللعنة يا بيل. سأصبح طبيباً بعد أيام قليلة وأنا لا أفرق بين الميت والحي."

أجاب: "لا تقلق بهذا الشأن. ولكن من الآن فصاعداً لا تتردد أو تخش الاقدام على عمل. فالجراح الذي لا يثق بنفسه خطر."

كان يوم التخرج في مايو (أيار) ١٩٧٥ حاراً ورطباً. تقدم ١١٨ متخرجاً داخل قاعدة البلدية وسط تصفيق الاهالي والزوجات. جلست خطيبتي جولي ديلوتش مع والدي. بدت مثلما التقيتها في الجامعة للمرة الاولى: ناحلة وشعرها الاسود منسدل على كتفيها وعيناها العسليتان تبرقان في وجه باسم ذي غمازة كبيرة في الخد الأيمن. ابتسمت بفخر وغمزتني لدى مروري.

ضغطه الدموي. لم يكن من ضغط. حاولت البحث عن نبضة. لا شيء.

قلت: "إنه ميت."

دخل بيل بينما كنت أطلب من الممرضة إيقاف المرقاب. تلمس الجرح فوق القلب، ومن دون كلام تناول إبرة عن الرف وغرزها في صدر الصبي وصولا الى الدم في الكيس الشغافي حول القلب. وسحب الدم بمحقنة، مما خفف الضغط حول القلب فعاد يخفق.

بعد ذلك أخذ سكيناً وفتح شقاً في صدر الصبي وفصل الاضلاع بمبعّدة فولاذية وكشف القلب. عثر على الفجوة التي

بعد الجوائز والخطابات وتسليم الشهادات اختتم الاحتفال بإقسام "يمين أبقراط":

"أقسم بمقدساتي... أن أعيش حياتي وأمارس مهنتي باستقامة وأمانة... بعيداً من الخطأ...

"أعد بهذه الامور، وبمقدار التزامي هذا القسم لتغمر حياتي السعادة والصيت الحسن."

في الصباح التالي مررت بخطيبتي لأودعها قبل مغادرتي برمنغهام الى موبيل في الفترة التمرينية. قررنا إرجاء الزواج سنة أخرى ريثما تنال هي شهادة الماجستير في التعليم من جامعة ألاباما في برمنغهام وأنجز أنا سنة التمرين القاسية.

ودعتني بحرارة. وما زلت أتذكرها تلوح عند المدخل وأنا أنطلق بسيارتي.

٤٢ ساعة يومياً!

يرتفع المستشفى الميثودي ١٣ طبقة في وسط ممفيس بولاية تنيسي. يتألف من سبعة أجنحة منفصلة، وفيه ٦٤ غرفة عمليات وألف سرير. وبعد انتهاء الفترة التمرينية كان هذا مقر فترة التخصص التي تستمر أربع سنوات.

وقفت أمام المدخل الرئيسي أقرأ من جديد الرسالة التي تسلمتها قبل شهرين: "تم تعيينك طبيباً مقيماً مساعداً في جراحة الاعصاب ابتداء من أول يوليو (تموز) ١٩٧٦. إتصل بالطبيب المقيم الاول الدكتور بيتر بون..."

بحثت عن بيتر بون في جناح جراحة الاعصاب. كان طوله ١٨٣ سنتيمتراً، مثلي تماماً لكنه أنحف. استقبلني مرحاً: "يسعدني انضمامك الينا. سأعرفك الى مريض على وشك الخضوع لجراحة."

قادني بيت الى غرفة بأربعة أسرة حيث كانت إمرأة تحوك كنزة صوف. قال بيت: "مرحباً يا ليولا."

تركت ليولا حياكتها وردت: "طبيبي المفضل! أراهن أنك جئت تخبرني عن نتائج فحوصي."

جلس بيت على السرير الى جانبها وقال: "أجل. تظهر صور الأشعة ورماً في الدماغ وعلينا استئصاله."

سألت ليولا: "وماذا يحدث إن لم أخضع للجراحة؟"

- الورم في حجم الليمونة الآن. سينمو اكثر ويسبب المزيد من ألم الرأس والدوار والغثيان. ثم تقعين في غيبوبة وتموتين.

"حسناً! متى ستجرى الجراحة؟"

- الاولى بعد الظهر.

خارج الغرفة سألني بيت إن كنت تفقدت المنطقة، فأجبته: "ليس بعد، ممفيس مدينة كبيرة."

ضحك بيت: "عنيت المستشفى. أنت لن ترى المدينة أبداً."

تجولنا لثلاث ساعات وتفقدنا ٦٠ مريضاً يزورهم بيت بون كل يوم. راجع جداولهم وأمر بالأدوية وصور الأشعة. لم يبد عليه التعب.

سألني أخيراً: "هل أنت جاهز للغداء؟"

- بالتأكيد. لنتوجه الى المطعم.

"ليس لدينا متسع من الوقت يا صاحبي. اسأل الممرضة هل حصلت حوادث

وفاة في هذه الطبقة الليلة الماضية."
- لماذا؟
"لنعرف أي أطباق نختار من عربة غداء المرضى."
بعد الغداء دخلنا إحدى غرف العمليات فيما الطبيب المخدر يهيىء ليولا.
بعد حلاقة القسم الخلفي من رأسها بعناية غرز بيت في جمجمتها دبابيس فولاذية لمسند معدني من أجل تثبيت رأسها. أخيرا، حين باتت في الوضع الصحيح، بدت ليولا كأنها جالسة في مقعد وهي مغفية مرتاحة ويداها مطويتان في حضنها.
نظفنا أيدينا. ثم فتح بيت جرحاً مستقيماً بطول ٢٠ سنتيمتراً خلف أذن ليولا وداخل فروة رأسها. أعطاني كماشة العظم. وبدأت باعتناء أنزع فتات العظام عن دماغ ليولا. واتسعت الفجوة في جمجمتها تدريجاً.
حين أصبح اتساع الفتحة كافياً قطع بيت الغشاء المغلف للدماغ ونزعه كالبرقع كاشفاً الدماغ. ثم بدأ البحث عن الورم.
سألته: "كيف تجد الوقت لكل هذا العمل؟"
أجاب: "في السنتين الاخيرتين اتبعت برنامجاً ناجحاً أثناء الخدمة: أقوم بجولات مجانية في الرابعة والنصف صباحاً، تليها جولات مراسية مع الجراحين من الخامسة والنصف الى السابعة، قبل الذهاب الى غرفة العمليات في السابعة والنصف. في العادة أخرج من العمليات قرابة الثالثة فأعد بعض البيانات والعلاجات قبل ذهابي الى اجتماع الساعة الخامسة.
أتناول العشاء بين الخامسة والنصف والسادسة، ثم أتوجه الى غرفة الطوارىء لمعاينة المرضى الذين انتظروني خلال النهار. في الثامنة أنهي إعداد البيانات الباقية، وقرابة العاشرة أذهب في جولات مسائية وأفحص الذين أخضعوا حديثاً للجراحة. بين منتصف الليل والاولى صباحاً أدون وصفات للمرضى الذين سيخضعون لجراحة أو تصوير للنخاع الشوكي والاوردة في اليوم التالي. أعود إلى غرفة الطوارىء لأتحقق من المرضى، ثم أحاول أن أنام بين الثانية والرابعة قبل بدء نهار جديد."
- إنه يوم كامل. هل أنت متزوج؟
"نعم، منذ ثمانية أعوام، وقد رزقنا أربعة أطفال. وأنت؟"
- منذ عشرة أيام. تزوجت جولي فور انتهاء الفترة التمرينية في موبيل. ألغينا شهر العسل وتوجهنا الى ممفيس لنكسب مزيداً من الوقت من أجل ترتيب بيتنا الجديد، لكنه كان أسبوعاً ممتعاً. خرجنا لتناول العشاء وشاهدنا بعض الافلام السينمائية واحتسينا المشروبات اللذيذة.
"إني سعيد لسماع ذلك، هذه فرصتك الاخيرة. آه، هاك الورم!"
بعد فحصه تحت مجهر مطهر بدأ بيت استئصاله. كان العمل مجهداً وتوالت الساعات. أخيراً، في الاولى صباحاً بعد ١٢ ساعة من بداية الجراحة، انتزع بيت بقايا الورم من الدماغ وناوله الممرضة قائلا: "استأصلته بكامله."
سألته: "هل بقي هناك ما نفعله؟"

أجاب: "علي تفقد المرضى الذين أخضعوا للجراحة حديثا وكتابة تقارير للذين سيخضعون لها غداً."

"امنحني فرصة!"

ساعدت بيت في جولاته وتبعته إلى وحدة العناية الفائقة لتفحص وضع ليولا.

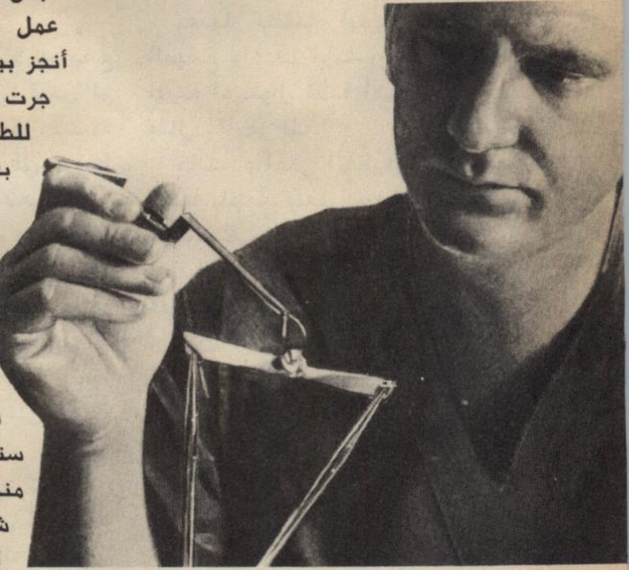

كانت مترنحة لكنها واعية. فحصها بيت وطمأنها الى أن الورم غير خطر. بعد ذلك تحدث إلى ممرضات الليل. كانت عيناه منتفختين لكن وجهه باسم ومعنوياته مرتفعة. انه مستيقظ منذ ٢٤ ساعة وعليه العمل ١٨ ساعة أخرى قبل الخلود الى النوم.

سألته: "بيت، لماذا أنت سعيد؟"

أجاب: "لأن أمامنا نهاراً جيداً، هناك جراحتان ممتعتان للدماغ. وما زالت الساعة الرابعة، لذا سأنجز جولاتي خلال ثلاثين دقيقة."

كنت وجولي نتحين الفرص للمشي معاً في الجوار. في الطقس البارد أو الممطر كنا نعمل داخل البيت فنطلي الجدران ونجهز غرفة لطفلنا المقبل.

ولكن في ديسمبر (كانون الاول) حدث جدل بيني وبين بيت أخل بسلاسة عمل فريق الدماغ. فطوال أشهر أنجز بيت كل الجراحات الصعبة، إذ جرت العادة أن تكون الافضلية للطبيب المقيم الاول. وذات ليلة بعدما انتهينا من العمل اليومي انفجرت غاضباً: "امنحني فرصة! لقد حان الوقت لاستخدام يدي في عمل غير نحت العظام ومسك الماصة."

مشيت نحو بيت ووقفت في وجهه وبيننا بضعة سنتيمترات وقلت بصوت رتيب منخفض: "سأجري جراحة شيرلي روبرتس. رأيتها حين أدخلت غرفة الطوارىء شاكية من ألم في الرأس، وأعطيتها إذن الدخول وشخصت تمدد الأوعية الدموية. ليس عدلا أن تجري أنت الجراحة."

رد بيت: "بلى، ذلك عدل، لأنني أعرف كيف تجرى جراحة الانورسما وأنت لا تعرف ذلك."

- إنها تثق بي يا بيت ولا تعرفك.

"حسناً، نفذ العملية. ولكن لا تقتلها والا تسببت في طردنا. لننزل الى المكتبة ونراجع تفاصيل الجراحة."

بينما كنت أراجع الكتب عن جراحة الانورسما ذهب بيت الى غرفة العمليات وأتى بطبق معدني عليه مئات المشابك التي تستعمل لفصل الانورسما عن الشريان الذي يغذيها. قطع شريطاً من المطاط وعقده في وسطه مقلداً الانورسما. وعلمني قائلا: "تمرن على وضع المشبك على العقدة من دون المس بشريط المطاط."

سبق أن رأيت الدكتور كلارك يضع مشابك الانورسما في موبيل، لكني لم أفعل ذلك مرة. أمسكت المشبك وكبسته وجعلته ينغلق على العقدة في شريط المطاط. قلت: "ليس ذلك صعباً."

تأمل بيت شريط المطاط، وبعد ثوان "وثب" المشبك منفصلا. فقال: "لقد وضعت المشبك بعيداً عن العقدة، يجب أن يكون أقرب الى شريط المطاط."

حاولت من جديد. وفي هذه المرة انطبق المشبك على العقدة وعلى شريط المطاط معاً.

قالت بيت: "هذا سيىء. تذكر أن شريط المطاط يمثل الشريان الرئيسي الذي يغذي الدماغ، والعقدة هي الانورسما. اذا كبس المشبك على الشريان أصيبت المريضة بسكتة دماغية. واذا انفصل المشبك عن الانورسما نزفت المريضة حتى الموت. ثابر على التمرين."

انهمكت ساعتين أفتح المشابك المئة وأغلقها على شريط المطاط. كبست العقدة من مسافة ذراع واحد مائلا بيدي من زوايا مختلفة لاختبر امساك المشبك بطرق عدة. وتمرنت على شبك شريط المطاط داخل وعاء زجاجي يمثل الفتحة الضيقة في الدماغ التي تقود الى الانورسما.

في السابعة صباحاً، بعد الانتهاء من جولة غرفة الطوارىء، دخلت غرفة العمليات الرئيسية لجراحة الأعصاب. كان طبيب التخدير يحضر شيرلي روبرتس.

بعدما نظفنا أيدينا أمسك بيت المبضع وأحدث جرحاً راداً الجميل الذي أديته له طوال ثلاثة أشهر. تنحى جانباً وقال: "إنها لك."

كانت جراحتي الحقيقية الاولى صعبة لكنها ناجحة. وبعد أسبوع غادرت شيرلي المستشفى.

سألتني شيرلي بينما كنت أزيل قطبها: "هل من تعليمات يا دكتور؟"

قلت: "لا تجهدي نفسك إلى أن يشفى دماغك. هذا يعني الابتعاد عن الاعمال المنزلية والقيادة والجنس الى أن أراك بعد شهر."

خمس في أربع

في إحدى أمسيات فبراير (شباط) طلب الدكتور ريتشارد هاركنس، رئيس برنامج جراحة الاعصاب في خمسة مستشفيات في ممفيس، التحدث إلي.

قال بفظاظة: "قررت أن تمكث سنة أخرى. لقد مددت فترة تخصصك خمس سنوات بدلا من أربع."

رددت بحدة: "لا يا سيدي. عند التحاقي وعدتني بأربع سنوات. ليس عدلا تغيير ذلك الآن."

قال الدكتور هاركنس بانفعال: "لا

يهمني ما تعتبره عدلا. ستبقى خمس سنوات. يمكنك المغادرة إما في العام ١٩٨١ واما الليلة."

في وقت مبكر من الصباح التالي، بعدما أنهى بيت جولاته على المرضى الجدد، وافاني الى جناح النوم. أخبرته عن عزمي مغادرة ممفيس اذا أصر الدكتور هاركنس على إبقائي خمس سنوات، وأضفت: "لا تزعجني فكرة السنوات الخمس، بل إنه المبدأ. لو كنت أحتاج الى هذه السنوات لأصبح جراحا كفياً لرضخت للأمر. لكنه يريد ابقائي لأنه يحتاج الى أطباء مقيمين."

قالت بيت: "نعم، نحن في حاجة الى مقيمين. لكن الدكتور هاركنس يهتم لتخريج جراحي أعصاب متفوقين. اني على ثقة من تقديره أنك ستكون جراحاً أفضل اذا أمضيت سنة اضافية من التمرين."

- أتظنني في حاجة إلى سنة أخرى؟

"لا. لديك القدرة الطبيعية واللمسة الحساسة داخل الدماغ. أرغمه على الوفاء بوعده وإلا فانتقل الى مركز تخصص آخر."

- حسناً يا بيت. سأفكر في الأمر.

بعد عشرة أيام كفلت التخصص في مستشفى في سانت لويس بولاية ميسوري. دخلت مكتب الدكتور هاركنس ذاك المساء مشمئزاً من اعلان قراري. وبعدما أطلعته على خطتي انحنى الى الامام في كرسيه وحدق إلي ضارباً كومة من وصفات المرضى بمطرقة مطاطية وسألني: "أتعلم أن أستاذي أبقاني سنة إضافية في فترة تخصصي؟"

- لا يا سيدي.

"قررت أن أسمح لك بانهاء مدتك خلال أربع سنوات اذا كانت هذه رغبتك. لكني سأكثف السنوات الخمس في أربع. من الأفضل أن تتوجه إلى المستشفى اذا كنت راغباً في البقاء حياً."

- حاضر يا سيدي.

حياة جديدة

في يونيو (حزيران) أنبأني الدكتور هاركنس بأن مناوبتي التالية كانت ستة أشهر في علم الاعصاب في مستشفى ادارة قدماء المحاربين بمدينة ممفيس. وكان بيت عُيّن هناك كبير الاطباء المقيمين.

قلت لبيت: "سأضجر من دون اجراء جراحات طوال هذه المدة."

فردّ: "إستغل الفرصة. من المستحسن الاطلاع على بعض أمراض الجهاز العصبي كالشلل الرعاشي والانحلال والتهاب السحايا والسكتات الدماغية وغيرها. ستصبح متمكناً من جراحة الاعصاب إن كنت طبيباً كفياً للأمراض العصبية."

خلال هذه الفترة تسنى لي من وقت الى آخر تمضية المساء في المنزل. فأتناول العشاء مع جولي ونركّز حديثنا على مهنتها في تدريس مادة تربية الاطفال في جامعة ممفيس. كنا نحلم ونخطط لانجاب أطفال.

في إحدى أمسيات الخريف الباردة بدت جولي سعيدة أثناء نزهتنا في الجوار. فجأة استدارت ونظرت إلي. لمعت الدموع في عينيها وعانقتني بحرارة ثم همست في أذني أنها حامل.

غمرتني الدهشة: "رائع! ترى متى حدث ذلك؟"

أجابت ضاحكة: "لدي فكرة واضحة. أنتَ لم تأوِ الى المنزل سوى مرة واحدة خلال الاسابيع الستة الاخيرة."

في ١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨ أكملت مناوبتي في دراسة الامراض العصبية في المستشفى وفرحت لانتهائي من هذا العرض المكثف للأمراض المستعصية. كنت متشوقاً للعودة الى عملي في جراحة الاعصاب حيث يمكنني أن أخبر المرضى كيف تمكن مساعدتهم بدلا من اخبارهم كيف سيموتون. ومع أن الدكتور هاركنس طلب مني تمضية ثلاثة أشهر في مختبر للابحاث حيث تبتكر تجارب لدراسة السكتات، الا أن المشروع أخفق سريعاً اذ تبين أنني أشكو من حساسية لفرو الحيوانات الاختبارية. وأعيد تعييني في المستشفى المعمداني التذكاري.

في ٢٧ مارس (آذار) ١٩٧٨ تمام الاولى والنصف بعد منتصف الليل وبعد ساعتين من المخاض، ولدت جولي طفلنا الأول: ابنة معافاة سوداء الشعر والعينين وتزن ٣،٦ كيلوغرامات. سميناها لورا بيج. قبلتهما ثم حملت لورا وحاولت إزالة علامات الكلّاب عن وجهها. وعندما غطت جولي في النوم حملت كتاباً وبدأت الدرس، اذ كانت تفصلني ثلاثة أيام عن الامتحان الكتابي للهيئة الامريكية لجراحة الاعصاب.

بعد ستة أسابيع بلغني نبأ نجاحي. ما زالت هناك سنتان من التخصص وكثير من ليالي السهر وعشرات الجراحات. ولكن في ذاك النهار الربيعي قررت صرف الذهن عن كل هذه الامور لبضع ساعات.

سألت طبيباً مقيماً آخر أن يحل مكاني وأسرعت الى المنزل للخروج مع جولي ولورا لتناول العشاء.

ورم خفي

عندما أتم بيت بون فترة تخصصه في يوليو (تموز) ١٩٧٨ وبدأ الممارسة الفعلية أصبحت أنا الطبيب المقيم الاول في جراحة الاعصاب في المستشفى المعمداني التذكاري. فسنة التخصص الثالثة هي انتقال من سنوات المراقبة المستمرة والمساعدة في الجراحة الى سنة من التطبيق التام لكل الجراحات، وحيداً في معظم الاحيان. وكان الطبيب المقيم الاول في المستشفى المعمداني يعين دائماً لمساعدة الدكتور هاركنس الذي يعالج في المستشفى ما يراوح بين ٣٥ و٤٠ مريضاً.

وتعتبر دورة الستة الاشهر في خدمة الدكتور هاركنس الأصعب في فترة التخصص التمرينية. ولا يصبح المتخصص كبير الاطباء المقيمين الا برضا الدكتور هاركنس عن انجازاته، عندئذ ينحصر عالم المتخصص في غرفة الطوارىء وغرفة العمليات وأجنحة المستشفى. ما من حاجة الى ثياب صيفية وثياب شتوية. كنت أراقب تبدل الفصول من نوافذ المستشفى وأتابع نمو لورا من خلال الصور التي تلتقطها جولي.

في السابعة صباح كل خميس كان الدكتور هاركنس يباشر برنامج جراحات مرهقاً. وكثيراً ما أمضى طوال ١٢ أو ١٤

ساعة في غرفة العمليات، لكنه لم يتذمر من التعب قط. ولاقى كل مريض العناية نفسها. كان جراحاً بارعاً، لكنه سريع الغضب وقليل الصبر. وكان يصب نقمته دائماً على مساعده، الطبيب المقيم الاول.

وفي حين كانت الساعات الاثنتا عشرة من الجراحة مع الدكتور هاركنس يوم الخميس شاقة جداً، فان الساعة الوحيدة معه في مؤتمر ليلة الاثنين هي الاسوأ، اذ يقف عندها الطبيب المقيم الاول على منصة قاعة الاجتماعات في المستشفى ليدافع عن أساليبه في معالجة المرضى في القسم المجاني. وفي مؤتمري الرابع ذات ليلة اثنين، مارس الدكتور هاركنس ضغطه المؤلم.

بدأت عرض حالة سادي واتسون، وهي مريضة كهلة شخّص الاطباء، خطأ، أنها مصابة بداء "ألزهايمر" الشبيه بالخرف مما أدى الى احتجازها في دار للعجزة مدة ١٢ سنة.

قلت: "يكشف التصوير الطبقي ورماً غير خطر في النصف الايسر للدماغ. وقد أجريت لها البارحة جراحة دامت ثلاث ساعات، وهي الآن بخير. إنها لا تتكلم، لكنها تبدو أقل اضطراباً."

دقق الدكتور هاركنس في صور الأشعة ثم تفحص تخطيط الشرايين.

سألني: "كم استغرق استئصال هذا الورم؟"

أجبت مسروراً بهذه الفرصة لاثبات براعتي الجراحية: "ثلاث ساعات."

صرخ الدكتور هاركنس: "اذاً، أنت لم تستأصله بكامله!"

غرقت القاعة في صمت رهيب فيما وقف هاركنس أمامي على المنصة غاضباً: "لا أحد يستطيع إزالة ورم كهذا في ثلاث ساعات فقط!" وأمر باجراء تصوير طبقي بعد الجراحة واعتبر علاجي "غير مقبول" واندفع خارجاً من القاعة.

جمعت صور الاشعة فيما تقدم الطبيب المقيم راوول بيريز من المنصة. قلت له: "كنا معاً يا راوول! لقد استأصلت ذلك الورم بكامله!"

رد راوول: "أعرف ذلك، إهدأ الآن. أحضر صور الفحص الطبقي وأثبت له أن الورم أزيل تماماً، ثم انسَ الأمر. أراك في ما بعد."

في الجناح المجاني شرحت لأولاد سادي أن الدكتور هاركنس طلب فحصاً بعد الجراحة للتأكد من استئصال الورم تماماً. وبعد إجراء الفحص وضعت الصورة في إطار المعاينة وأضأت الانوار. غمرتني موجة من الغثيان. لقد استأصلت نصف الورم فقط. وبقي الجزء الآخر، وهو بحجم كرة مضرب، في فلقة أخرى من الدماغ. أوقفت الاستئصال عند "العنق" الذي يصل الكرتين.

"يا إلهي! ماذا ستفعل؟"

نظرت الى الخلف فرأيت راوول يتأمل الصورة. قلت: "سأستأصل بقية الورم. الآن."

"حسناً، إذا كنت ستفعل ذلك الليلة فسأبقى لأساعدك."

بدأنا في تمام الثامنة والنصف مساء. راقبت بالمجهر خطاً رفيعاً من ورم رمادي تسلل في قناة شقّها أثناء نموه في الدماغ، وبعد عمق عشرة سنتيمترات

انتشر ليشكّل كتلة مميتة. كانت مهمتي استئصال الورم من دون تمزيق نسيج الشرايين حوله. في الثانية والربع صباحاً أنهيت إزالة الكتلة بأجمعها. كان الورم بحجم دراقة وبوزنها.

قال راوول: "عظيم! لا شك في أنه أزيل نهائياً الآن."

- آمل أن تعود الى وعيها.

أطبق راوول الرأس وعدت الى حجرة الطوارىء واستلقيت ساعة على سرير خالٍ في انتظار استيقاظ سادي من تأثير المخدر. وفي الرابعة صباحاً أيقظتني الممرضة لتخبرني أن سادي استعادت وعيها. وقفت إلى جانب سريرها وطمأنتها الى نجاح العملية.

همست: "أشعر بالبرد."

إنها تتكلم للمرة الاولى منذ ست سنوات!

في الخامسة صباحاً لحقت بالدكتور هاركنس اثناء جولاته الصباحية.

واجهني بفظاظة: "ماذا نتج من التصوير الطبقي لمريضتك ذات الورم الدماغي؟"

- أظهر أن قسماً كبيراً من الورم لم يُستأصل.

"ومتى ستعيد إجراء الجراحة؟"

- أجريتها أنا وراوول الليلة الماضية.

"وهل هي تتكلم الآن؟"

- أجل يا سيدي.

"أحسنت." ومنذ ذلك الحين لم يذكر تلك الحالة قط.

في ١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩ عدت الى مستشفى ممفيس لانهاء دورة من ستة أشهر في التخصص العالي. إنها مثل العودة الى البيت. فالجراحون هناك يعرفونني أكثر من أولئك في المستشفى المعمداني، وفي وسعي اجراء جراحات أكبر وأهم. وبعد انتهاء الاشهر الستة كنت أجريت جراحات أنورسما أكثر من جميع المتخصصين الذين سبقوني في البرنامج.

في شهر يونيو (حزيران) أثناء مؤتمر عام لجميع جراحي الاعصاب في ممفيس، كنت أعرض مشكلة جراحية صعبة حين أعلن الدكتور هاركنس فجأة أني سأكون كبير الاطباء المقيمين في السنة التالية. أشرق وجهي. وبعد انتهاء الجلسة كان عدد من الاطباء المقيمين ينتظرونني في الردهة. وزعوا السيجار احتفاء وهنأوني.

قلت: "أشكركم جميعاً. لكن هذا ليس بالحدث العظيم."

قال راوول مبتسماً: "بلى إنه كذلك. لقد رزقت صبياً يزن أربعة كيلوغرامات."

لقد ولدت جولي طفلنا الثاني: جون كنيون الابن. أشعل راوول سيجاراً لي وابتسم مادّاً ذراعه ورافعاً كفّه. دسست جهاز الارسال في يده وأسرعت نحو المصعد وتوجهت الى مستشفى التوليد.

"لا تستسلم"

كان مستشفى جون غاستون، حيث تمرنت على معالجة اصابات الحوادث، يحتوي على ٥٢٣ سريراً لضحايا البؤس: مرضى مصابون بطلقات نارية وطعنات خناجر وحوادث سير وذات الرئة وضعف الكلى وداء الزهري والسرطان. وكان المستشفى يعاني عجزاً مالياً وطبياً. كانت الساعات مرهقة.

على أي حال، تميزت أيام الاثنين بالهدوء بعد نهاية اسبوع حافلة بالاصابات. خلال هذا الهدوء الموقت كنا نبحث عن المصابين بأورام الدماغ وجلطات الدم الذين عجزنا عن التعرف اليها بسبب اعراض مضللة.

في إحدى أمسيات الاثنين كنت أراجع بعض الصور الطبقية لمرضى نفسانيين. كانت إحداها إيجابية: إمرأة في الخامسة والخمسين تدعى ميلدرد فارمر تعاني التهاباً سحائياً كبيراً، وهذا ورم في الدماغ قابل للمعالجة. وشخص مرضها، خطأ، على أنه داء ألزهايمر وهو مرض شبيه بالخرف.

حين قابلت ميلدرد فارمر كانت مسترخية في كرسي ذي عجلات تحك رأسها بكلتا يديها. وعلى رغم انها لم تتكلم فقد كان واضحاً أن رأسها يؤلمها.

وحين فحصتها تبين لي أنها تعاني ضغطاً شديداً داخل الدماغ. تلك الليلة باشرت علاجاً مكثفاً من الكورتيزون لتخفيف التضخم في الدماغ. وصباح الاربعاء نقلتها الى غرفة العمليات.

كان موقع الورم في الجهاز البطيني، وهو الفجوة التي تحوي السائل الشوكي في وسط الدماغ. والوسيلة الفضلى للوصول اليه فتح أعلى رأسها وفصل نصفي الدماغ. أمضيت ثماني ساعات أفتّت طريقي نحو الورم. وبواسطة الملقط الكهربائي في يدي اليسرى رحت أكوي الشرايين التي تغذي الورم ثم أمصّ – أو أقطع – أجزاء منه بيدي اليمنى.

أخيراً وصلت الى الجزء الاخير، في حجم كلّة (بلّة)، المتبقي من الورم الذي بلغ حجمه الاجمالي قبضة اليد. لقد تأكّل في مؤخر الجهاز البطيني والتصق بجذع الدماغ. كنت على يقين من أني لن ألام اذا تركته، لأن إزالته تعرّض حياة المريضة لخطر شديد. لكني اذا استطعت استئصال بقاياه من جذع الدماغ، فستعيش مريضتي ثلاثين سنة أخرى بدلا من عشر. قررت المحاولة.

ببطء ودقة بدأت أنزع جزيئات الورم عن جذع الدماغ. فجأة ومن دون إنذار أخذ الدماغ ينتفخ بشدة حتى اني اضطررت الى إمساكه بكفّي لأبقيه داخل رأسها. لم يكن سبب الانتفاخ واضحاً، ولكن من المؤكد أن ميلدرد ستموت خلال ثلاث دقائق أو أربع إن لم تُعكس العملية.

صرخت للطبيب المخدر: "أخفض ضغط الدم حالا! لا أستطيع إبقاء دماغها في الداخل."

– الضغط لا ينخفض، وقد حقنتها جميع العقاقير الممكنة.

"إرفع رأسها إذاً. ربما خفف ذلك من الضغط."

أمسك الطبيب المخدر رأس ميلدرد ورفعه، ثم وضع وسادتين تحت عنقها. الا أن الدماغ استمر في الانتفاخ مثل بالون يمتلىء تحت حنفية (صنبور).

قلت للطبيب المخدر: "لدي ثلاث دقائق بعد، ثم ينفجر الدماغ. تفحص كل الأنابيب والحقن الوريدية."

– جميع الانابيب في مواضعها الصحيحة. هل هي تنزف من الورم؟

"لا، اللعنة! ألا تظن أني كنت سأرى الدم يتدفق من دماغها لو كانت مصابة بنزف؟"

- نبضات القلب تخف. سوف تموت!

"لا تستسلم! يمكننا انقاذها. أعطها المزيد من الأوكسيجين!"

- لا أستطيع ذلك. إني أضغط الكيس بشدة لكن الهواء لا يدخل رئتيها.

"إفحص الانبوب في القصبة الهوائية." بينما كان الطبيب المخدر يفحص الانبوب وضعت كلتا راحتيّ على سطح الدماغ ودفعته داخل الرأس.

صرخ الطبيب المخدر: "يا إلهي! الانبوب مفتول في قصبتها الهوائية!"

"قوِّمه! ما زالت لدينا فرصة لانقاذ هذا الدماغ!"

بعد ثلاثين ثانية خمد انتفاخ الدماغ وعاد سريعاً الى حجمه الطبيعي وبدأ ينبض وتراجع الى داخل الرأس. نزعت بقية الورم وأطبقت رأس ميلدرد وانتظرت معها في حجرة التماثل. استعادت وعيها بسرعة وعادت تتكلم بوضوح وشفيت من الشلل بعدما تخطت أصعب جراحة للورم الدماغي.

عندئذ فهمت ملاحظة وجهها إلي ذات يوم جراح أعصاب في المستشفى الميثودي: "الجراح البارع يعرف كيف يتخطى المشاكل، والجراح الابرع يعرف كيف يتجنبها."

أربع ساعات بعيداً

على رغم العمل الشاق في مستشفى جون غاستون، اتخذت قراراً بالتعطيل يوماً واحداً من وقت الى آخر. أذكر صباح يوم أحد، بعد وقت قصير من التحاقي بالمستشفى، حين بدأت العمل في الثالثة صباحاً لكي أعود الى البيت باكراً.

إنما في الساعة التاسعة أرسل في طلبي الى غرفة الطوارىء لمعالجة مصاب بطلق ناري. تمتمت: "كيف تُطلق النار على المرء صباح يوم أحد؟"

عدت إلى المنزل في الرابعة بعد الظهر. كانت لورا في شهرها السابع عشر وجون في شهره الثاني. وضعت لورا في عربتها الحمراء ومشينا على الرصيف فيما دفعت جولي عربة جون. وبعد جولة في المتنزه عدنا الى البيت، فأطعمت جولي الولدين وغسلتهما فيما توليت أنا شيّ قطع اللحم خارجاً. قرابة الثامنة غفوت في مكتبي وصحني ما زال على حضني. قادتني جولي الى غرفة النوم وساعدتني على انتزاع ثيابي وغطتني في السرير. ثم قبلتني على خدي وهمست: "شكراً، كان نهاراً رائعاً."

فكرت وأنا استسلم للنـوم: أربع ساعات فقط، إنها لا تطلب الكثير.

في إحدى أمسيات ديسمبر (كانون الأول) رفعت سماعة الهاتف لأتحدث إلى جولي لكني لم أستطع تذكر رقم بيتنا. أخيراً وجدته مدوناً على رخصة القيادة. وحين ردت جولي بدا صوتها تعباً وسمعت بكاء لورا وجون. حاولت أن أتكلم إلّا أن جولي كانت مرهقة من عملها في التعليم وعنايتها بالطفلين. ردّت على أسئلتي لكنها لم تركّز على الحديث. ودَّعتها وسألتني كالعادة: "هل تريد مني شيئاً؟"

كانت صادقة في سؤالها، لكننا كلانا كنا ندرك الحقيقة. فهي لا تستطيع مساعدتي كما أني لا أستطيع مساعدتها.

في ليلة الميلاد دعا الدكتور هاركنس جميع جراحي الأعصاب والاطباء المقيمين إلى حفلة في منزله. عيَّنت وراوول موعداً لجراحة طويلة كي نعتذر عن عدم الحضور. وفي الاسبوع التالي بعد مؤتمر ليلة الاثنين طلب الدكتور هاركنس من جميع الاطباء المقيمين المكوث لعقد اجتماع.

صرخ في الحاضرين: "مقيم واحد حضر حفلتي ليلة الميلاد! هذا منتهى اللؤم والفظـاظة! أنتم لا تملكـون الحس الاجتماعي، وقد وضح لي الآن أن ثمانية أو عشرة منكم منفصلون أو مطلقون. لن أجيز ذلك. أريد جراحين جياداً ورجالا جياداً أيضاً." ثم استدار نحوي: "متى كانت زيارتك الاخيرة للبيت؟"

أجبت: "قبل أسبوعين. كان الجميع نياماً لدى عودتي في الحادية عشرة ليلا ولم يستيقظوا قبل مغادرتي في الرابعة صباحاً. لا مبرر للذهاب الى البيت."

قال: "ليس من السهل أن تصبح جراح أعصاب، وليس من حيلة في شأن ثقل العمل." وفي وقت لاحق أضاف هاركنس طبيبين مقيمين إلى فريقنا وطلب مني ومن راوول التأكد من منح كل مقيم عطلة أسبوعين في السنة.

في يونيو (حزيران) قبل ثلاثة أيام من إنهائنا فترة التخصص، دعانا الدكتور هاركنس إلى العشاء مع عدة جراحي أعصاب وزوجاتهم. ذهبنا بمفردنا. فقد غادرت زوجة راوول الى مكسيكو قبل ثلاثة أيام، وكانت جولي تمضي عطلة مع والديها في أتلنتا ومعها طفلانا. لم يتوقع أحد دعوة عشاء من الدكتور هاركنس.

كنا ١٢ شخصاً وتمتعنا بعشاء شهي على ضوء الشموع. وبعد الحلوى قدم الدكتور هاركنس الى كل منا هدية ملفوفة. وكنت مازحت راوول في شأن الحصول على ٥٠ ألف دولار علاوة حين نتم فترة التمرين. لم يبدُ ذلك كثيـراً بالمقارنة مع الارباح التي وفرنـاها بإنجازنا أعمالا مختلفة، من تصوير النخاع الشوكي الى اجراء جراحات بدلا من الجراحين الكبار في المستشفى. فتحنا الهدايا وأخرجنا منهـا ربطتي عنق زرقاوين ثمن الواحدة ٢٠ دولاراً وعليها شارة الطب السريري. تكلفنا الابتسام امتناناً.

قال الدكتور هاركنس: "حين اخترتكما للتخصص قبل أربع سنوات كنت واثقاً بأنكما رجلان مخلصان. وأثبتت السنوات صحة ذلك. سلّما بما لا تعرفانه أو تعجزان عنه واطلبا المساعدة. تذكرا، متى كان

الطبيب مخلصاً تحسنت نوعية الطب وأفاد المريض."

بعد ثلاثة أيام انتهت فترة تخصصنا. شعرنا بفخر مدهش ونحن نضع ربطتي العنق الجديدتين قبل أن نتوجه الى ادارة المستشفى لتسليم بطاقتي الموقف وجهازي الاتصال والمفاتيح. في الاول من يوليو (تموز) ١٩٨٠ تمام العاشرة صباحاً غادرنا المدخل الرئيسي لمستشفى جون غاستون. سألت راوول: "ماذا تريد أن تفعل؟"

لم يجب. لكني عرفت ما كان يفكر فيه. أسرعنا الى المستشفى المعمداني وصعدنا السلم الى غرفة العمليات ووقفنا بهدوء في إحدى الزوايا نراقب الدكتور هاركنس يستأصل ورماً خبيثاً في الدماغ.

غرف فارغة

قررت ممارسة الطب في ممفيس. وانضممت الى مجموعة من خمسة أطباء في المستشفى الميثودي برئاسة الدكتور شلتون، وهو جراح أعصاب في عامه الثاني والخمسين أدى دوراً مهماً في فترة تخصصي. ورفعت الممارسة الخاصة دخلي السنوي من ١٤ ألف دولار أثناء التخصص إلى ٧٥ ألف دولار الآن. كما اني أعالج المرضى بحرية من دون إشراف أعلى دقيق. لكني ذهلت لطريقة عمل الطبيب المتمرس.

كان كل جراح يعالج نحو ٢٥ مريضاً في عدة مستشفيات، ويفحص عشرين حالة مرضية أسبوعياً في خمس أو ست عيادات، ويجري جراحات لعشرة مرضى أسبوعياً، ويقوم بجولات في ثلاثة أو أربعة مستشفيات مركزية يومياً. يبدأ يوم العمل قبل السادسة صباحاً وينتهي قرابة السابعة مساء. وهناك أيام العطلة، لكن الابتعاد عن العمل صعب جداً.

في عيد الميلاد تلك السنة بينما كنت أجهز نفسي لمغادرة ممفيس إلى أتلنتا في عطلة تدوم أسبوعاً، أجريت جراحة لمريض يعاني أنورسما متفجرة. كانت الجراحة مباشرة وغير معقدة، إلاّ ان تشارلي لاندون استغرق وقتاً طويلا ليستعيد وعيه. ولم يكن يقظاً ونشطاً كما يجب. وأظهر التصوير الطبقي ورماً في دماغه. ليس عدلا تركه في عهدة جراح آخر، كذلك ليس عدلا أن تفوتني عطلة الميلاد مع عائلتي. بدا الخياران ظالمين.

ذاك المساء جلست أمام الموقد في مكتبي وقرأت عدة مقالات حول معالجة الورم الخطر في دماغ تشارلي لاندون. وفي التاسعة نزلت لورا لتقبلني قبل النوم. ضمتني وأمسكت يدي واضعة كفها على كفي مقارنة حجميهما.

ثم همست وهي تنزلق عن حضني: "تصبح على خير." لم أرد على الطفلة، فتفكيري مركز على الرجل الذي يجاهد ليشفى من جراحة دماغه.

في وقت مبكر من صباح اليوم التالي كنت أفحص تشارلي في جناح العناية الفائقة. كانت حاله مستقرة لكنها لا تخلو من الخطر. أعطيت الممرضة وصفة بالادوية اللازمة وتوجهت الى حجرة الانتظار لاتحدث الى زوجته. كان واضحاً أنها تتمنى بقائي للعناية بزوجها. اتخذت قراري عفواً وأنا أربت ذراعها مؤكدا أملي بشفاء تشارلي.

قدمت أعذاراً عدة لتغيبي عن العطلة، لكن جولي والولدين عجزوا عن اخفاء خيبتهم. يبدو أن مرضاي دائماً يتقدمون عائلتي. بعد الظهر ساعدت جولي في توضيب الامتعة ولوحت مودعاً فيما توارت سيارتها. بعد ذلك أكلت شطيرة وأويت الى الفراش. وفيما أنا أبسط الاغطية وجدت بطاقة من لورا على وسادتي. كان داخلها رسم لشكل يدها ورسالة جاء فيها: "هذا لتذكير أبي عندما أصبح كبيرة وطويلة أني كنت مرة فتاة صغيرة يداها صغيرتان جداً."

تساءلت: هل سأرى لحياتي قيمة بعد سنوات اذا قلّبتُ ماضيَّ ولم أذكر فيه سوى مئات المرضى الذين أنقذتهم ونسيت لمسة يد لورا؟

خلال أسبوع تلاشى الورم في دماغ تشارلي لاندون واستعاد نشاطه وعاد الى منزله.

مع الوقت ازداد ثقل عملي. وفي العام ١٩٨٢ رُشحت للامتحانات الشفهية في الهيئة الامريكية لجراحة الاعصاب. واحتوى طلبي على أكثر من ٤٠٠ إصابة في النخاع الشوكي و٢٠٠ إصابة في الجمجمة.

كانت شهادة الهيئة العقبة الاخيرة لأي اختصاصي. من متطلباتها التخرج في كلية طب معترف بها، وأربع سنوات (خمس في وقت لاحق) من التخصص في جراحة الاعصاب في الولايات المتحدة أو كندا، واجتياز الامتحانات الخطية، وسنتان (الآن سنة واحدة) من ممارسة جراحة الاعصاب مدعومة بالوثائق، والنجاح في الامتحان الشفهي.

كل صباح خلال الاشهر الثلاثة التي سبقت الامتحان كنت أستيقظ في الرابعة لأقرأ بعناية كتاب "جراحة يومن للاعصاب"(٤) بمجلداته الاربعة وصفحاته الاربعة آلاف. كنت أكب على الدرس كل ليلة بعد العشاء والى منتصف الليل. وكان الدكتور هاركنس وغيره من الاطباء يطرحون علي أسئلة شفهية هازئة. أخيراً في الخريف توجهت إلى "عيادة مايو" في روشستر بولاية مينيسوتا لأخضع للامتحان.

عندما تسلمت نتيجة الامتحان بواسطة البريد المضمون فتحت الرسالة وقرأت الاخبار السعيدة بمفردي. لقد انفصلنا، أنا وجولي، وأنهينا زواجاً دام ست سنوات. لم أمنحها السند والاستقرار اللذين تحتاج اليهما. انتقلَتْ مع طفلينا الى أتلنتا وهي تبحث عن عمل هناك.

ما زلت أذكر يوم الفراق. أرادت جولي الانطلاق باكراً لأن الرحلة طويلة. وكان جون ولورا مغفيين داخل كيسي نوم أمام الموقد في غرفة المكتب. نقلنا الاثاث الى الشاحنة. وانحنيت على لورا وجون وقبلتهما على جبينيهما.

تململ جون لكنه بقي نائماً. نحن لم نخرج معاً إلا بضع مرات، بما فيها نزهة الى مخزن بقالة بعد ظهر يوم خريف بارد. ليس هناك الكثير أتذكره، كما أن جون لن يتذكر شيئاً. ألقيت برنس الحمام الازرق على كتفيه واستدرت مبتعداً بسرعة.

استيقظت لورا وقالت: "نحن ذاهبون الى أتلنتا يا أبي. متى ستلحق بنا؟"

كانت لورا في سنها الرابعة وجون في

(٤) Youman's Neurological Surgery

الثالثة. لم يدركا ما كان يجري. كانا يعتبرانه مغامرة.

أجبت: "لست أدري يا حبيبتي. لكني سأزوركم قريباً."

إنهمكت في العمل الى وقت متقدم ذلك اليوم، ولكن لا مفر من العودة الى البيت في النهاية. كان البيت بارداً والغرف فارغة والصوت يصدر صدى. بحثت في غرفة لورا، وأخيراً وجدت قطعة معدنية من إحدى لعبها في زاوية خزانتها. وعثرت في غرفة جون على قطعة من مكعباته الخشبية وكرة مضرب. وضعت القطعتين على التلفزيون ودحرجت الكرة الى وسط الغرفة لأتوهم أن ولديّ ما زالا يلعبان.

ثم استلقيت في فراشي مرهقاً.

وقت للموت

الرفيق الوحيد الثابت لجرّاح الاعصاب هو الموت. فالسكتات والاورام الدماغية والانورسما والنزف وجلطات الدم تتحدى قدرة الجراح على إنقاذ المرضى. ولكن لا يمكن هزم الموت في الحقيقة، بل تجنبه فقط. فعلى رغم أن الطب أطال فعلا مدة حياة المرء، فإن معدل الوفيات لم يتغير أبداً. يبقى المعدل وفاة واحد لكل امرىء، لكن أساليب الموت تختلف.

حين التقيت بوبي هوبر للمرة الاولى بدا مثل سائر المرضى. كان شاباً لطيفاً في السابعة والعشرين، قصير القامة قوي البنية يعمل في تفريغ حمولة الشاحنات. بعد سنتين من معرفتي به أصبحنا صديقين. قد يكون ذلك خطأ مني، لأنه على طريق الموت مذ التقيته.

يدرب الاطباء أنفسهم على التحفظ والتجرد، هذا الكبت العاطفي ضرورة ماسة عند معالجة مرضى على شفير الموت. إنما أثناء معالجتي بوبي ضعف دفاعي.

عانى بوبي آلاماً حادة في الرأس وصعوبة في التنسيق بسبب ورم خبيث في الدماغ. كان الورم الخطير ينمو بسرعة ويضغط الجزء الخلفي من الدماغ. وعندما علم بوبي بنتيجة التشخيص كان رد فعله الاول الاهتمام بمصلحة زوجته بعد وفاته. لم تبدُ عليه أمارات شفقة على نفسه.

نجحت جراحته الاولى. استأصلت ثلاثة أرباع الورم الواقع في المخيخ. لم أتمكن منه كله. وانتشر قسم من الورم في جذع الدماغ، وسحبه قد يسبب سكتة قلبية. كنت آمل أن تتقلص بقية الورم بفعل أشعة كوبالت وتمنح بوبي فترة أطول من الحياة.

بعد ذلك بدأنا نلعب الشطرنج لأساعده على تمضية الوقت. خلال تلك الساعات أصغيت الى آراء شاب يعاني سكرات الموت بالسرطان. تحدث كثيراً عن قدرة الاطباء على الشفاء بعون الله. كان مؤمناً بذلك من كل قلبه. لكن مرضه لم يزل في بدايته.

بعد بضعة أشهر من مغادرة بوبي المستشفى الميثودي عاد اليه بسبب ازدياد آلام رأسه. أثبت التصوير الطبقي تراكم السائل الشوكي في الدماغ، وأجريت جراحة لسحبه. تحسنت حال بوبي وعدنا نتبادل الاحاديث بعمق أكبر. تحدث عن الموت، لكنه نظر اليه كامتداد للحياة.

أحزنه ابتعاده الموقت عن عائلته لكنه لم يرهب الموت قط.

وذات يوم فيما كنت أتأمل طاولة الشطرنج أجهش بوبي في البكاء. لم يسبق أن شعر بالأسف على نفسه، فحيرتني رؤيته حزيناً.

سألته: "ما الامر؟"

دفع الي ورقة مجعدة وقال: "أنظر ما قرأت في الصحيفة اليوم."

قرأت في القصاصة عبارة للكاتب والمصور والتر رندر: "نحن نأتي الى الارض بمفردنا ونغادرها بمفردنا، فهذا الوقت الذي يسمونه الحياة هو فرصة للمشاركة."

نظر بوبي الي وقال: "كنت آمل أن أشارك في الحياة أكثر مما فعلت."

حدقت خارج نافذة المستشفى مفكراً في لورا وجون وهما يعيشان الآن في أتلنتا. لم أرهما الاّ قليلا. وعلى رغم صمتي أدرك بوبي أني فهمت قصده.

ذات صباح حين أتيت المستشفى بدا لي واضحاً أن بوبي يعاني سكرات الموت. تعذر عليه تركيز عينيه، وكان تنفسه متثاقلا. فكرت في وخز إبرة في دماغه لسحب مزيد من السائل لتخفيف الضغط. لكني أدركت أن من غير المجدي محاربة القدر المحتوم. تأملت كلمات الصحافي الامريكي ستيوارت ألسوب في "إرجاء الاعدام" الذي كتبه وهو ينازع الموت من داء ابيضاض الدم (اللوكيميا): "المنازع يحتاج الى الموت مثلما يحتاج النعسان الى النوم، ويحين الوقت عندما تصبح المقاومة خطأ وغير مجدية."

راقبت بوبي يلفظ أنفاسه قبل فجر اليوم التالي. كانت زوجته ووالداه الى جانبه وعملوا على تعزيته.

أسرار عاطفية

في مساء صيفي في يونيو (حزيران) ١٩٨٤ رحلت عن ممفيس بعد ثماني سنوات من المكوث هناك. وبينما كنت أراقب أضواء المدينة تتلاشى في مرآة سيارتي تدفقت الذكريات الى رأسي: سنوات زواجي الاولى السعيدة، لورا وجون، ٢٤ ساعة يومياً من العمل، طلاقي، جراحات ناجحة. توجهت جنوباً نحو أوبرن في ألاباما حيث ولدت وبدأت دراستي وصممت أن أصبح طبيباً. لقد قايضت عملي في ممفيس التي يبلغ عدد سكانها مليون نسمة بمزاولة خاصة للطب في أوبرن وهي بلدة لا يتجاوز عدد سكانها العشرين ألفاً. كذلك سأصبح رئيس قسم الجراحة في المركز الطبي لشرق ألاباما.

وصلت في السابعة صباحاً، وكان السير خفيفاً في الشوارع. مررت بالبيت القرميد الجميل حيث نشأت وترعرعت. بدا متيناً بعد ترميمه. لقد تأكل مثلي مع السنين.

في بداية مزاولتي الجديدة التقيت مزارعاً يدعى تشارلي هندرسون. كان في عامه الثامن والسبعين لكنه بدا في الستين. توفي والده وهو في السادسة عشرة فتسلم أعمال المزرعة والماشية. في الثامنة عشرة تزوج روث لانكستون ابنة الطبيب البيطري في المنطقة. رزقا ثلاثة أولاد: ابناً غادر البلدة لاحقاً، وآخر توفي بداء السل، وابنة مطلّقة.

أخبرني كل هذه الامور وغيرها أثناء

اقامته ثلاثة أسابيع في المستشفى حيث كان يتعافى من سكتة دماغية. كذلك بحثنا في موضوع طلاقي وولديّ المقيمين في أتلنتا. لمَ هذا الاهتمام بي؟ هل بسبب افتقاده أولاداً يتحدث اليهم؟ أم انها نصائح لم يستطع تقديمها الى أحد؟ ربما. كان ينهي حديثنا دائماً بابتسامة وغمزة قائلا: "سأخبرك يوماً سر الزواج السعيد."

صفر حزام ضغط الدم بينما كنت أنفخه وقرأت القياس: ٥٠/٨٠. إنه منخفض جداً. لقد شلّت السكتة الجزء الأيسر من جسمه وغشّت نظره لكنها لم تؤثر في ضغط دمه. كما انه لا يشكو ألماً في صدره أو معدته. أخذت عينة من دمه لفحصها في المختبر، لكن دمه كان طبيعياً مما يدل على انه لا يعاني نزفاً داخلياً. لا بد من مسبب آخر للضغط المنخفض. رجعت الى غرفته لافحصه بدقة أشد.

من المدخل الخارجي رأيت روث هندرسون تساعده على الجلوس في السرير. ولدى انتصابه أسند جسمه بذراعه اليمنى السليمة، وهو رجل طويل القامة (١٩٣ سنتيمتراً) وقوي الذراعين. بدأت روث تدلّك ظهره عندما انحنى رأسه فجأة وهوى على الارض. أسرعت لأساعدها على حمله الى الفراش. ثم طلبت من ممرضة أن تأتيني بالسائل الوريدي وآلة تخطيط القلب. وضعت القطب الكهربائي على صدره وانتظرت.

أذهلتني النتيجة. أظهرت الصورة البيانية إصابته بنوبة قلبية حادة من نوع غريب صامت لا يرافقه ألم في الصدر. فهمت الآن سبب انخفاض ضغطه. لقد أتلفت النوبة عضلات كثيرة في القلب مما جعله عاجزاً عن ضخ الدم.

كذلك أدركت أن تشارلي سيموت.

جلست على طرف السرير وأخبرته أنه تعرض لنوبة قلبية وعليه البقاء في الفراش مدة أطول.

سألني: "الامر أسوأ من ذلك، أليس كذلك؟"

"بلى."

"كم من الوقت؟"

"بضع ساعات،" أجبت برقة.

مدّ هندرسون ذراعه اليمنى ووضعها حول عنق زوجته وضمها اليه. حقنت عقار "دوبامين" في السائل الوريدي لأقوي نبضات القلب وأرفع ضغط الدم.

راقبني تشارلي وقال: "لا تحاول وسائل مستحيلة."

"حسناً يا سيدي."

استمر هندرسون معانقاً زوجته يلاعب شعرها الابيض بأصابعه الكثيرة العقد. ثم لمس خديها وشفتيها.

وعندما انهمرت دموعها على صدره مسح عينيها بيده، تلك اليد الخشنة العاملة الرقيقة بلمساتها.

"لقد أمضينا معاً ٦٠ عاماً سعيداً يا روثي، أليس كذلك؟"

- بالتأكيد.

"كنت دائما أجمل فتاة في الجوار."

- في العام ١٩٢٠ يا تشارلي كنت الفتاة الوحيدة في الجوار.

"حسنا ما زلت الأجمل." كان يرتعش وبدأت البرودة تشتد في جسمه لانخفاض ضغطه. وفي وقت وجيز لاذ بالصمت ولم أعد ألاحظ سوى تحركات أصابعه في شعر

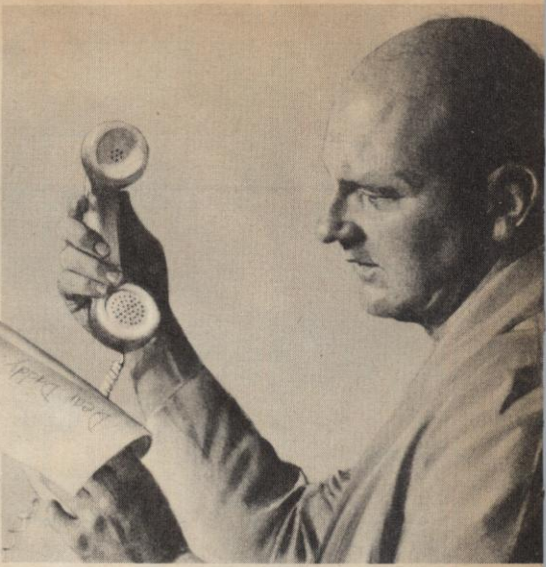

زوجته. ثم رأيت يده تسقط إلى جانبه.

أخذت روث خارج الغرفة إلى حجرة الانتظار. كانت ابنتها هناك وحاولت روث تعزيتها قائلة: "أمضينا معاً حياة رائعة يا عزيزتي، وحبنا سيبقينا معاً على رغم افتراقنا."

قلت بهدوء: "يا سيدة هندرسون، أتسمحين لي بسؤال: لقد اعتاد السيد هندرسون أن يقول لي انه سيخبرني يوماً سر الزواج السعيد. لكنه لم يفعل أبداً. أيمكنك أن تخبريني ما كان سيقول؟"

أجابت: "لا أعرف بالتأكيد. لكني أعلم أنه عاش حبه كل يوم ولم يخف أبداً من إظهار عواطفه نحوي."

– فهمت.

"وسأخبرك أمراً آخر، ولا أظن أن تشارلي قد يمانع. معظم الليالي كنت آوي الى الفراش قبله. وعندما يأتي هو كنت أغلق كتابي وأطفىء النور وأمسك يده. كان يقبلني قبل النوم ثم يهمس في أذني: "روثي، هذا أفضل جزء من يومي."

ذات يوم صيفي حار عدت الى البيت في السابعة مساء. بقيت لي ساعة متبقية من نور النهار. وجدت رسالة في علبة البريد وميزت خط ابنتي المخربش.

كالمعتاد وجهت رسالتها الى "والدي رينر." قعدت على السلم وبدأت القراءة مستمتعاً بكل كلمة.

"والدي العزيز، أفتقدك كثيراً. ذهبت للسباحة اليوم. أستطيع القفز من اللوح العالي. أرجوك، تعال حالا. أحبك. لورا."

داخل المنزل بحثت عن منديل لأجفف دموعي ثم توجهت الى مكتبي. عليّ أن أعلم لورا كم أحبها. يجب أن أعيش حبي كما فعل تشارلي هندرسون.

كتبت: "عزيزتي لورا،" لكن رنين الهاتف قاطعني. إنها ممرضة تتصل بي من غرفة الطوارىء.

"لدينا مريض مصاب بطلق ناري في رأسه، وطبيب غرفة الطوارىء يحتاج اليك، بسرعة."

سأصل حالا.

قفزت من مكاني ووقفت بجانب طاولتي أنظر الى الرسالة التي بدأتها. ثم فكرت: غداً. سأكتب الى لورا وجون في الغد.

الدكتور ج. كنيون رينر

ترجمة أسنسيون فيصل

□ الحياة قماشة كبيرة رائعة، فانثروا عليها ما أمكنكم من ألوان.

دانى كاي، ممثل فكاهي امريكي

□ عندما تنتابك الهموم ترتاح الى كلبك، لأنه لا يلح في معرفة السبب.

صحيفة "ناشونال إنكويرر"

□ بعض الناس يحتفظون بجمالهم مهما تقدّم بهم العمر، فاذا غاب الجمال عن وجوههم انتقل الى قلوبهم.

م.ب.

□ كل ما يبقي السياسي متواضعاً هو حسن للبلاد.

م.ك.

□ من قدَّم فكرة بناءة الى أحدهم فقد أغناه الى الأبد.

أ.م.

□ احدى الصفات اللاإنسانية في الدماغ الالكتروني أنه يعمل بأمانة تامة عندما يبرمج بدقة.

اسحق عظيموف، كاتب وبيوكيميائي روسي المولد

□ الضمير هو ذلك الصوت الخافت الذي يدوّي أحياناً فيقض عليك مضجعك.

ب.م.

□ يبدو ان القطط تعتمد المبدأ القائل بأن لا ضير في ان تطلب ما تحتاج اليه.

جوزف كراتش، كتاب "الفصول الاثنا عشر"

اكتب واربح

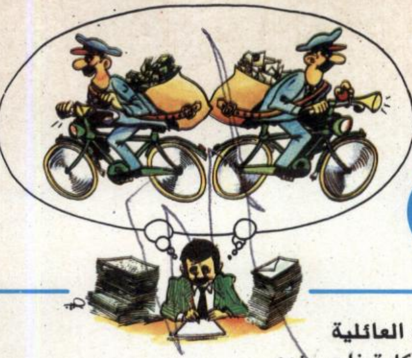

هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية
او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى
وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٤٨، المتن الشمالي، لبنان.

Courtesy: The Glenn C. Janss Collection

"البوابة الحمراء" غواش للرسامة الامريكية إيلينا بورستين